كتاب ترجمة نصيحة الملوك بالعربية للغزالي
وكتاب النهج المسلوك في سياسة الملوك

١٧
سلس

٢ ياصوفيه

٨٦٠

١

هو له اسم لبيله زبان
مثلث الحكاية صو اندم

صدر سن دكر ... ام اندلينسوالي
عونا دصديح ٨ ... كه كاتب اسم ايدم

تحقيق ... دكم وار نوجلد دا
ابتدا وارد سيم خرج اغا كه

لايعرف الكتب الامن يعانيها

ولا الاباية الامن يعانيها

شود کلوبغلبیون کم بتحدن ساز اولا قوز
بن الکنج بیوحی وصفن ه کی اول خودی توغو
یشه کو بوکلوی بوزکون غوق اورم
باغدالی صر اورربوکلکون بکر جکنی

(ایضاً)

صاقب دوم سمی للرسول المجتبی
شید الذکر المعلی لافتیات والدعا
قد تنار تا باغام نار البغیة
فایلی تاریخه منا تقبل دنیا

شهری که در و شاه صفت مقیم باشد
نکر که در آن شهری چه نشوش باشد
یکی که در و شکیبنه و شکیبل باشد
می دان که در آن دیکر چه جوش باشد

فقدت زمان الوصل والمرء جاهل
بقدر تذید العیس قبل المصائب
افی نار ت لین لعینیک منة
فذا اعول الی قوا تلک ثانیه

خواجکان از بهی زر جان می دهد
وز برای سیم خواجه زادکان
در و عشق ذخدا بهی تو خوام بدعا
نا فوا که شوی از درد که بس بی درمی
نی بوسی تبهی ملحان منی بدلرو زرا لیکن
ازان نی هم که بیش آید فی ایکر روزن من
کو کلم فی ارقلدی بو اقیه یوزدلی
اول آقیه یوز که بن دلوم آقیه یوزدلی

بسر بوسوی کہ کان ندہد
بذر اورا ز قہر نانی ندہد
چو در موی سیاہ امد سپیدی
بدید آمد نشانی نامیدی

اشکال کوی ترا بخانہ فرستد جہود طلسم او لنا
قہا مصطفی الاشکال دلو الیاس و دو آشنمند لو او غلند

١٧

كتاب نصيحة الملوك
بالمعروف بالامام الغزالي
بالعربية وكتاب النهج المسلوك
في سياسة الملوك

هذه النسخة الجليلة سلطانية الاعظم مالك
عبادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
العادل محمود خان وفقه صحيح شرعا من طابع
واسر سنده واماله واسعد جده الله
ملكه الامجد حرس الله
المقدس عن وقاعت الحرمين الشريفين

مولانا جلال الدين الرومي

سر كل سر دانندهٔ هست كه باكرد نده كرد انندهٔ هست

كتاب نصيحة الملوك

تأليف الشيخ الإمام العالم

العلامة زين الدين شرف الأنام

الإسلام أبو حامد محمد بن

محمد بن محمد الغزالي الشافعي نفعه

منها

لسنا نغفر له ولكنه

في فؤادي جمة

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على انعامه وافضاله والصلوة على سيدنا محمد وآله وبعد فيقول مولانا
الامير الاسفهسالار الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد المؤيد
معين الاسلام سعد الدولة والدين فخر الملة والحق مجد الملوك والسلاطين
امير الحاج والحرمين ابن قتلغ تمر بن ايلك ابو منصور قاماز الزيني
معين امير المؤمنين اعز الله نصره وانفذ امره وخلد سلطانه وشيد
اركانه وبسط على الكناف البسيطة عدله واعلى في الدارين منزلة
ومحله لخادمه وعذى انتمائه وريب مكارمه ابي الحسن علي بن
المبارك بن موسوب ان ينقل هذا الكتاب وهو كتاب تقويم
الملوك فامتثل المملوك رسمه وقابل الطاعة حكمه وفصله على ترتيبه
وصورته ولم يغير شيئا من وضع الكتاب وصنعته واجتهد في تسهيل
عباراته وايضاح اشاراته قصدا لمستعمل الكلام ليكون اقرب الى
الافهام بقدر ما بلغته بلاغته وافصحت عنه فصاحته وزينته
بما استشهد به مؤلف الكتاب من الاشعار العربية اشارة الى
معانيها وتلويحا الى مقاصدها ومغازيها والا فالاعتذار من تقصيري
غاية الاعتذار لو لم اكن من نسيان هذا المضمار فليتجاوز عن تقصيري

بطولهم الكرماء وليصفح له عن تعصب لفضل العلماء ومن وجد في كلامه
خللا فترة او اصاب زللا فغيره حقيق بذلك جميل الذكر
وجزيل الاجر وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

الشيخ الامام حجة الاسلام شرف الائمة خير الانام
ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي عليه الرحمة والرضوان وهو يخاطب السلطان
محمد بن ملكشاه طال عمره اعلم ايا سلطان العالم وفقك
الله للحق انه تعالى عليك نعما ظاهرة والآء متكاثرة
يجب عليك شكرها وتتعين اداءها ونشرها ومن لم يشكر نعم الله
جل ثناؤه فقد عرض تلك النعم للزوال وعجل من تقصيره يوم
القيامة وكل نعمة تفنى بالموت فليس لها عند العاقل قدر
ولا عند اللبيب خطر لان العمر وان تطاولت مدته لا ينتفع طوله
اذا انقضى امده وفي عدده فان نعم صلى الله عليه وسلم عاش
الف سنة ونيفا ومذ موته الى الآن خمسة الف سنة وكأنه
لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام وتدوم مدى الليالي
والايام وهي نعمة الايمان الذي هو بذر السعادة الموبدة
والنعمة المخلدة والله جلت آلاؤه قد خولك هذه النعمة وزرع
بذر الايمان في صفاء صدرك واودعه في قلبك وشرحك

والمآل

مغانيها

سبوب ٥

من تربيته ذلك البذر واعلم ان تسقيه ماء الطاعة حتى يصير شجرة
اصلها في قعر الارض السفلى وفرعها في السموات العلى كما قال عز
من قايل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها
ثابت وفرعها في السماء واذا لم تثبت اصل الشجرة وهي شجرة الايمان
ولم يكمل فرعها يخاف عليها من رياح الموت وغواصف الفوت
فتقلع عند النفس الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان
ويلقى ربه بغير احسان واعلم ايها الملك ان لهذه الشجرة
عشرة اصول وعشرة فروع فاصلها الاعتقاد بالجنان
وفرعها العمل بالاركان وعدا الداعي لما صادق العقول من الخلل
شرح من العشرة الاصول والعشرة الفروع ليشتغل سلطان العالم
بتربية هذه الشجرة وانما يصح له ذلك اذا افرد يوما من ايام الاسبوع
لعبادة ربه والاشتغال فيه بكمال الاخرة وهو يوم الجمعة فانه
عيد المؤمنين وفيه ساعة كل من سال الله تعالى فيها حاجة بنية
حاضرة وسريرة طاهرة فانه جل ذكره يقضي حاجته ولا يخيب
دعوته وماذا عليك لو افردت من سبعة ايام يوما واحدا
لخدمة ربك فانه في المثل لو كان لك عبد وامرته ان يشتغل في كل
اسبوع يوما واحدا لخدمتك لم تعب له تقصيره في الايام الستة

فاذا

فما لقد ذلك العبد كيف كان يكون حاله عندك مع ان العبد لست تخالقه واما
سوء عبدك مجازا وانت ايها الملك مخلوق للخالق تعالى ذكره وعبده على الحقيقة
فلم ترضى من نفسك ما لا ترضاه من مملوكك فانو الصيام من ليلة الجمعة وان
اصفت الليلة الخميس كان اولى وقم يوم الجمعة صبحا واغتسل والبس
من الثياب احلاها ثلث صفات احداها ان يكون حلالا وان يكون مما يجوز
فيه الصلوة وان لا يكون ابريسما في القميص الدبيقي والعصب والنوري
والكتان وفي الشتاء الخز والقطن والصوف الروقي وكل ثوب على
غير هذه الصفة فان الله لا يرضاه وصل الصبح في جماعة ولا تكلم الى
ان تطلع الشمس ولا تحول وجهك عن القبلة وخذ السبحة بيدك وقل
لا اله الا الله محمد رسول الله الف مرة فاذا طلعت الشمس فاقرا
يقرا عليك هذا الكتاب وكذلك فليقرا عندك كل جمعة ليحصل
في محفوظك فاذا فرغ القاري من قراءة الكتاب فصل اربع ركعات
وسبح الى وقت الضحى فان ثواب هذه الصلاة عظيم وخاصة
يوم الجمعة وبعد فلك ان كنت على تخت الملك او في الخلوة فقل
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد متواترا ومهما قدرت ان تتصدق
به في هذا اليوم تصدق واجعل هذا اليوم الواحد من ايام الاسبوع
لله تعالى ليجعل الله باقي الاسبوع مكفرا عنك وانا احكم

مبدأ قاعدة الاعتقاد الذي هو اصل الايمان

اعلم ايها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم
وانه موجود وحي في العالم وانه واحد لا شريك له فرد لا مثل له
كان في الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء
وجوده في الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود
بذاته وكل احد اليه محتاج وليس له احد لاحتياج وجوده به وجود كل شيء

الاصل الثاني في تنزه الخالق تعالى

اعلم ان الباري تعالى وتقدس ليس له صورة ولا قالب فانه لا يتزل في قالب
في قالب وانه تعالى منزه عن الكيف والكم ولم وانه لا شبه له شيئا ولا يشبهه
شيء وكل ما يخطر في الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فانه منزه عن
ذلك لان تلك الصفات من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف
بها وانه تعالى جل ليس في مكان ولا على مكان لان المكان لا يحصره وكلما
في العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره وانه قبل خلق العرش
كان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم اللطيف
وقدرته وانه متقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وانه
متصف بالصفة التي كان عليها في الازل ولا سبيل للتغير والانقلاب الى صفات
وهو متقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو في الدنيا معلوم وفي الآخرة مرئي

كما يعلم في الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك نراه في الآخرة بلا مثل ولا شبه
لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شيء ٥

الاصل الثالث في القدرة ٥

وانه تعالى على كل شيء قدير وان قدرته وملكه في نهاية الكمال ولا سبيل
اليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل وان السموات
السبع والارضين والعرش والكرسي في قبضته وقبضة قدرته وتحت
قهره وتسخيره ومشيته وهو مالك الملك لا ملك الا ملكه ٥

الاصل الرابع في العلم ٥

وانه تعالى عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شيء وليس شيء من العلى الى الثرى
الا وقد احاط به علمه لان الاشياء جميعا بعلمه ظهرت وبقدرته ابتدعت
وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الامطار وورق الاشجار
وغوامض الافكار وان دارت الرياح والهوا في علمه كالمرة مثل عدد النمال

الاصل الخامس في الارادة ٥

والله جميع ما في العالم بارادته ومشيته وليس شيء من قليل او كثير صغير او كبير
خير او شر نفع او ضر زيادة او نقصان راحة او نصب صحة او مرض
الا بحكمه وتدبيره ومشيته وتقديره ولو اجتمع الانس والجن والملائكة
والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها او ينقضوا منها
او يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء

كان وما لا يشاء لا يكون ولا يريد مشيئة شيء ومهما كان
ويكون وهو كائن فيما يأمره وتدبيره وتسخيره تعالى

الاصل الثالث في السمع والبصر

وكما ان عالم بجميع المعلومات فانه سميع بكل مسموع بصير بكل مرئي وان
الغيب والبعيد في سمعه متماثل والضياء والظلام في بصره سي واحد وان
يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ملا يخفى عليه ولا يعزب عن سمعه
صوت الدودة تحت اطباق الارض وان سمعه ليس باذن وبصره ليس بعين
كما ان علمه ليس بصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدة ٥

الاصل السابع في الكلام ٥

وان امره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب ومهما اخبر به من وعد
او وعيد فانه حق واخباره كلامه وكما انه عالم مريد قدير سميع بصير فهو متكلم
وكلامه بغير خلق وباللسان ولا فم واسنان والقرآن والتورية
والانجيل والزبور والكتب المنزلة الى الانبياء عليهم السلام جميعها
كلامه وكلامه صفته وكل صفة قديمة لم تزل وكما ان الكلام عند
الآدمي حرف وصوت فكلام الله مقدس منزه عن الحرف والصوت

الاصل الثامن في افعاله ٥

وجميع ما في العالم مخلوق له وليس معه شريك هو لا خالق بل هو الخالق
الواحد ومهما خلقه من تعب او مرض وفقر وجوع وجهل فعدل منه ولا يمكن

الظلم من افعاله لان الظالم هو الذي يتصرف في ملك غيره والخالق تعالى
لا يتصرف الا في ملكه وليس معه مالك سواه وكل ما كان ويكون فهو كائن
فهو ملكه له وهو المالك لا شبيه ولا شريك له ليس لاحد عليه اعتراض
بلم وكيف لكن كل شيء في افعاله الحكم والامر وهو المالك الخلق غير التسليم والنظر
الى صنعه والرضا بقضائه

الاصل التاسع في الهدى والضلال ٥

وانه تعالى خلق العالم من نوعين من شخص وروح وجعل الجسد مسكنا
للروح ليأخذ زادا للآخرة من هذا العالم وجعل لكل روح مدة
مقدرة تكون في الجسد وآخر تلك المدة هو اجل تلك الروح من غير زيادة
ولا نقصان فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد واذا وضع
الميت في قبره اعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال
منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان فيسألانه من ربك
ومن نبيك فان استجمع ولم يحر عذباه وملا قبره حيات
وعقارب ويوم القيامة يوم الحساب والمكافات والمناقشة
والمجازات ترد الروح الى الجسد وتنشر الصحف وتعرض الاعمال
على الخلايق فيعطى كل انسان في كتابه فيرى اعماله وياشد اعماله
ويعلم مقدار طاعته ومعصيته وتوزن اعماله في ميزان الاعمال

ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة
وأحد من السيوف فكل من كان في هذا العالم على الطريق
المستقيم الصالحة وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط
وجاوزه في راحة واستراحة ومن لم يكن على السيرة المحمودة
والأعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع سواه فانه لا يجد
الطريق على الصراط ولا يهتدي إلى الجواز ويقع في جهنم والكلاب
يوقفون على الصراط ويسألون عن أفعالهم فيسألون الطيارون
عن صدقهم ويمحص المنافقون والمراؤون ويفضحون من الناس
قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون بالرقة
والمحاسبة والمسامحة وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة
والمحاقة ثم تسحب الكفار إلى نار جهنم بحيث لا يجدون خلاصا
ويدخل أهل الإسلام المطيعون الى الجنة ويأمر بالعصاة الى النار
فكل من نالته شفاعة الأنبياء والعلماء والأكابر من الصلحاء
عفي عنه وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار إثمه وعذب بقدر
جرمه ثم يدخل الجنة ان كان قد سلم معه إيمانه إلى الآخرة

الأصل العاشر في ذكر الرضى عن الله تعالى وتحقيقه

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل أفعال الإنسان وأحواله

والكسابة وأعمالها منها ما هو سبب لشقاوته ومنها ما هو سبب
لسعادته والإنسان لا يقدر ان يتوقى ذلك من تلقاء نفسه
خلق الله تعالى بحكم فضله ورحمته وطوله وسنته ملائكة وأنبيهم
الى الأشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الأزل وبعث الأنبياء عليهم السلام
فأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طريق السعادة والشقاوة
ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
أخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وأوضح سنته الى درجة الكمال فلم يبق
فيها بيان ولا إجمال ولهذا جعله خاتم الأنبياء فلانه تبين وأوفر
الخلائق من الجن والانس بطاعته واتباعه وجعله سيد
الأنبياء وجعل أصحابه خير أصحاب الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله أجمعين

ذكر فروع تحتوي عليها الايمان اشارة اليها

اعلم أيها السلطان انه كما كان في قلب الانسان من
معرفة واعتقاد فذاك أصل الايمان وما كان جاريا على
أعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فروع الايمان
فاذا كان الفرع ذابلا ذاويا دل على ضعف الأصل وانه
لا يثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب
والاعمال التي هي فروع الايمان هي تجنب المحارم ولوازم الواجبات

وما قسمان احدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلوة
والزكوة والحج واجتناب شرب الشراب والعفة عن
والاخر ما بينك وبين الخلق ومى العدل في الرعية والكف
عن الظلم والاصل في ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الحق ما
من طاعة امره والانزجار بزجره ما تختار ان تعمله
عبدك في حقك وان تعمل فيما بينك وبين الناس ما توثر ان
الا تعمل معك من سواك اذا كان غير ك السلطان وكسب
واعلم انه ما كان بينك وبين الخلق فانه لا يتجاوز به عنك
على كل حال يوم القيامة وخطره عظيم ولا يسلم بهذا الخطر
احد من الملوك الا ملك عمل بالعدل في رعيته اذا كان الامر
على ذلك فالمهم ان نوضح اصول العدل لتعلم كيف يطلب
العدل والانصاف منك في القيامة واصول العدل والانصاف
عشرة الاصل الاول من ذلك وهو ان تعرف اولا
قدر الولاية وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من قام بحقها نال
من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعدها ومن قصر
عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها
الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها

ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان
يوما واحدا افضل من عبادة ستين سنة وقال عليه السلام اذا
كان يوم القيامة لا يبقى ظل الا ظل الله ولا يستظل
بظله الا سبعة الناس سلطان عادل عدل في رعيته وشاب
نشأ في عبادة ربه ورجل يكون في السوق وقلبه في المسجد ورجل
تحابا في الله ورجل ذكر الله في خلوته واخرى دعته امراة
ورجل دعته امراة ذات حال ومال الى نفسها فقال اني
اخاف الله ورجل تصدق سرا بيمينه ولم تشعر بها شماله
وقال عليه السلام احب الناس الى الله واقربهم منه السلطان
العادل وابغضهم اليه وابعدهم عنه السلطان الجائر وقال
عليه والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى
السماء من العمل مثل عمل جميع رعيته وكل صلوة يصليها
تعدل سبعين الف صلوة فاذا كان كذلك فلا نعمة اجل ان
يحظى العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر
غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة وليشتغل بظلامة وسواه
يخاف عليه ان يجعله الله من جملة اعدائه ومما يدل على عظم خطر
الولاية ما روي ابن عباس ان رسول الله صلى الله اتى بعض

الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان في البيت نفر من قريش
فقال عليه السلام يا سادات قريش عاملوا رعاياكم واتباعكم
بسلامة الصدر، اذا سألوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم
فاعدلوا فيهم واعملوا بما يقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة
الله والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا وقال عليه السلام
من حكم في خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال عليه السلام
ثلثة لا يبغضهم الله يوم القيمة سلطان كاذب وشيخ
زان وفقير متكبر يعني انه يتكبر للطمع وقال عليه السلام
للصحابة سيأتي عليكم يوم تفتحون جانبي المشرق والمغرب
ويصير في ايديكم فكل عمالك تلك الاماكن في النار الا من
اتقى الله وسلك سبيل التقوى وادى الامانة وقال عليه السلام
ما من عبد ولاه الله امر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم
يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال عليه السلام من ولي امور
المسلمين ولم يحفظهم كحفظه اهل بيته فقد تبوأ مقعده
من النار وقال عليه السلام رجلان من امتي محرمان شفاعتي
ملك ظالم ومبتدع غال في الدين يتعدى الحدود وقال عليه
اشد الناس عذابا يوم القيامة السلطان الظالم وقال عليه

خمسة قد غضب الله عليهم فان شاء امضى غضبه ومقتهم
امير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من ظلمه ولا يرفع
الظلم عنهم قد نبش قوم يطيعونه وسئل ايا دي الغوي
والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأخذ اهله اولا
بطاعة الله ولا يعلمهم امور الدين ولا يبالي من اين اطعمهم
ورجل استأجر اجيرا فتم عمله ومنعه اجرته ورجل ظلم زوجته
في صداقها يروى عن عمر الخطاب شيع جنازة فتقدم
رجل وصلى على الجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده
على قبره وقال اللهم ان عذبته فيحقك لانه قد عصاك وان
رحمته فانه فقير الى رحمتك فطوبى لك ايتها الميت ان لم تكن
اميرا او عريفا او كاتبا او عوانيا او جابيا فلما تكلم صاحب
الكلمات غاب شخصه عن عيون فامر عمر بطلبه فطلب فلم يوجد
فقال عمر هذا الخضر عليه السلام وقال صلى الله عليه وآله ويل للامراء
وويل للعرفاء، وويل للعوانية فانهم اقوام يحلفون في القيامة
من السماء بذوائبهم يودون لو لم يعملوا عملا قط وقال عليه
ما من رجل ولي امر عشرة من الناس الا اتى به يوم القيامة
ويداه مغلولتان بغل الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل

عنه وان كان عليه شيئا زيد عليه غل آخر وقال علي بن طالب
كرم الله وجهه ويل لقاضي الارض من قاضي السماء حين
يلقاه الا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل
مع اقاربه ولم يدل حكما لخوف او طمع لكن يعمل كتاب الله
مرآته وينصب عينيه ويحكم عافيه وقال رسول الله صلى الله عليه
يوتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله جل وعلا انتم كنتم
رعاة خلقي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ظلمت
عبادي فوق الحد الذي امرت به فيقول يارب لانهم
عصوك وخالفوك لاينبغي ان يسبق غضبك غضب ثم يقول
للآخر لم عاقبت عبادي اقل من الحد الذي امرت به
فيقول يارب رحمتهم فيقول كيف تكون ارحم مني فخذوا
الذي زلفه والذي نقص فالحشوا بهما زوايا جهنم وقال حذيفة
انا لا اثني على احد من الولاة سواء كان صالحا او غير صالح
لانني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوتى بالولاة
العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط
فيوحي الله الى الصراط ان لقطهم الا انا رمثل من جار في الحكم
فاخذ رشوة على القضاء او اعان سمعه لاحد الخصمين

دون الآخر فيسقطون من الصراط فيتهوون سبعين سنة
في النار حتى يصلوا الى قرارها وقد جاء في الخبر ان داود عليه
كان يخرج في الليل متنكرا الحيث لا يعرفه احد وكان يسأل
كل من يلقاه عن سيرة داود عليه السلام سيرة الخطاء فجاءه جبريل عليه السلام
يوما في صورة رجل فقال له ما تقول في داود فقال نعم الرجل
داود الا انه ياكل من بيت المال ولا ياكل من كده ويتعب
يده فعاد داود عليه السلام الى محرابه باكيا حزينا وقال
الهي علمني صنعة اكل بها من تعبي وكد يدي فعلمه الله تعالى
عمل الزرد وكان عمر الخطاب يخرج كل ليلة يطوف مع العسس
حتى يرى خللا يتدارك له وكان يقول لو ترك عمر جرباء
على جانب سافية لم تدر من لحشيت ان اسئل عنها
يوم القيامة فانظر ايها السلطان الى عمر مع احتياط
وعدله وما وصل احد من الادمتين الى تقواه وصلابته
كيف يتفكر ويتخوف من سؤال القيمة وانت قد جلست
لامر عن اخوال رعيتك غافلا عن اهل ولا تيك قال عبد الله
بن عمر وجماعة من اهل بيته انا كنا ندعوا الله تعالى
ليرينا عمر في المنام فرأيته في المنام بعد اثنتي عشرة سنة

كانه قد اغتسل وهو ملتفع بازار فقلت يا امير المؤمنين كيف رايتك
يا حسنة من حسناتك جازاك فقال يا عبد الله
كم لي منذ فارقتكم فقلت اثنتي عشرة سنة فقال منذ
فارقتكم كنت في الحساب وخفت ان اهلك الا ان
الله غفور رحيم جوادٌ كريم فهذا حال عمر ولم يكن له في
دنياه شيء من اسباب الولاية سوى درة

حكاية ارسل قيصر ملك الروم رسولا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لينظر احواله ويشاهد افعاله فلما دخل المدينة سأل
اهلها وقال اين ملككم فقالوا ما لنا ملك بل لنا
امير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه
فرآه نائما في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد
وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه
الى ان قد بل الارض فلما رآه على هذه الحالة وقع
الخشوع في قلبه وقال رجل يكون جميع الملوك لا يفزعهم
قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت
فامنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم انه لا يزال امامنا
خائفا اشهد ان دينكم الدين الحق ولولا اني اتيت رسولا

لاسلمت ولكن ساعود بعد هذا واسلم ان شاء الله تعالى

اتها السلطان خطر الولاية عظيم وخطرها جسيم والخوض
في ذلك طويل ولا يسلم الوالي الا من رزقه الله علما نافعا
ليعلموه طرق العدل ويسهلوا عليه خطر هذا الامر

الاصل الثاني

ان اشتاق ابدا الى رؤية علماء الدين وحرص على استماع نصحهم وان
تحذر من رؤية علماء السوء الذين يحرصون على الدنيا فانهم يتزينون
عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعا فيما في يدك من خبيث
الحطام ونيل الحرام ليحصلوا منه شيئا بالمكر والحيل والعالم
الصالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال وينصحك في الوعظ
والمقال كما يقال ان شقيقا البلخي دخل على هارون الرشيد فقال انت
شقيق الزاهد فقال انا شقيق ولست بزاهد فقال له اوصني
فقال ان الله تعالى قد اجلسك مكان الصديق وانه يطلب منك
مثل صدقه واعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب
منك الفرق بين الحق والباطل مثله واقعدك مكان النورين وانه
يطلب منك حيائه وكرمه واقعدك موضع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وانه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه فقال له زدني من وصيتك

فقال نعم انى وجدت تعالى دارا تعوق بهم وانه قد جعلك بوابا لتلك الدار
واعطاك ثلثة اشياء بيت المال والسوط والسيف وامرك ان
تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت
المال ومن خالف امر ربه تعالى فادبه بهذا السوط ومن قتل نفسا
بغير حق فاقتله بالسيف ياذن ولى المقتول فان لم تفعل ما امرك
فانت تكون الزعيم لاهل النار والمتقدم الى دار البوار فقال لقوني
من الوصية فقال انما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال فى العالم
كمثل السواقى فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقى واذا كان
المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقى حكاية خرج هارون الرشيد
والعباس ليلا الى زيارة الفضيل ابن عياض فلما وصل الى بابه وجده
يتلو هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات الآية فوقف عند الآية لينظر الذين يكتسبون الخطايا
ويعملون الاعمال المذمومة ان تساوى بعضهم فى الآخرة وبين الذين يعملون
الخيرات وهم مؤمنون كلا ولما فقال هارون ان كنا قد جئنا لطلب الموعظة
فكفى بهذا موعظة ثم اراد العباس ان يطرق عليه الباب فطرق بابه
وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل ما يصنع عندى امير
المؤمنين فقال له اطلع امير المؤمنين وافتح وكان ليلا والمصباح يتقد

فطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصل
الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد
الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال يا امير المؤمنين استعد
لجواب الله تعالى يوم القيمة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة
ويطلب منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء اشديدا فقال
له العباس مهلا يا فضيل فقد قلت امير المؤمنين فقال
له الفضيل انت وقومك ما ملكتموه وتقول لى مهلا
فقد قلته فقال الرشيد للعباس ما جعلك يا مان الا وقد علمك
فرعون ثم وضع الرشيد بين يديه الف دينار وقال خذ
من وجه حلال من صداقى وميراثها فقال له الفضيل اما اذا كان
ان ترفع يدك عما فيها وتعود الى خالقك وانت تلقيه
الى ولم يقبلها وخرج من عنده **حكاية** عمر بن عبد العزيز
مجتنب كعب القرظى فقال صف لى العدل فقال كل مسلم
اصغر سنا منك فكن له ابنا ومن كان اكبر سنا منك فكن
له ولدا ومن كان مثلك فكن له اخا وعاقب كل مجرم على
قدر جرمه واياك ان تضرب مسلما سوطا واحدا على الحقد
منك عليه فانه يصير كل الى النار **حكاية** حضر بعض الزنادقة

بين يدي خليفة الوقت وقال له عظني فقال اعلم يا امير المؤمنين
اني سرت الى الصين وكان ملك الصين قد اصابه
صمم فدخلت عليه فرأيته يوما يبكي ويقول ما ابكي على صمي
وانما ابكي لاجل مظلوم يقف بين يدي بابي ويستغيث ولا
اسمع استغاثته ولكن الملك لله الذي يبصري سالم وامر
مناديا ينادي في كل من كانت له ظلامة فليلبس ثوبا
احمر وكان يركب الفيل كل يوم فكل من رأى عليه ثوبا
احمر دعاه واستمع شكواه وانصفه من خصماه فانظر يا امير
المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر على عباد الله وانت مؤمن
ومن اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فانظر كيف يكون شفقتك
خبر ابو قلابة لما دخل عمر بن عبد العزيز فقال
له عظني فقال من عهد لقوم ليلي يوما سيدا لم يبق خليفة
سواك فقال نوني فقال انت اول خليفة يموت
فقال نوني فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان
لم يكن الله معك فالى من تلجي فقال حسبي ما قلته كان
سليمان عبد الملك خليفة فتفكر يوما وقال قد تمتعت
في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الآخرة وانفذ الي

ابي حازم وكان عالما بالاخبار والاشعار وقال اريد
شيئا من موعظتك التي تنفع عبدا اتعظ به ما قد الى ظليلا من كلمة
شوانا وقال صدقا فطوبى فلما رأى سليمان ذلك بكى وانتو
قلبه الخشوع فاثر اكثر افصام ثلثة ايام وطوى ثلثة ايام
وافطر الليلة الثالثة على ملك الصين المشوه فيقال انه
انه في تلك الليلة تغشى اهله وكان منهم عبد العزيز جد
الملك عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه في عدله وانصافه
وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقيل ان ذلك بسبب كثرة صيامه واكله من خلك
الطعام سئل عمر بن عبد العزيز ما كان
سبب توبتك فقال كنت يوما اضرب غلاما لي
فقال لي اذكر تلك الليلة التي يكون صبحها القيامة
فعمل ذلك الكلام في قلبي زاي بعض الاكابر ما رفا الرشيد
في عرفات وسوط جلاد حاسر قايم في الرمضاء الحارة
وقد رفع يديه وهو يقول الهي انت انت وانا انا ذل
كل يوم ان اعود الى عصيانك وودك ان تعود علي بعفوك
ورحمتك فقال الكبير آه انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدي

مختار الحمامي لعمر بن عبد العزيز يوما لابي حازم الموعظة
فقال له ابو حازم لو انك تعلم ما صنع الموت تحت راسك وكلما تختار
ان ياتيك الموت وانت مصر عليه فالزمه وكلما لا تؤثر ان ياتيك
الموت وانت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريبا
لصاحب الولاية ان يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وان يقبل المواعظ
اليه وعظ بها غيره وكلما راى عالما سأله ان يعظه وينبغي للعالم
ان يعظ الملوك على صدق المواعظ ولا يغرنهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق
وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم الاصل الثالث ان لا تقلع برفع
يدك عن الظلم لكل تهذب على نفسك واطهر بك وعمالك ونوابك والا ترضى
لهم بالظلم فانك تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلم نفسك كتب عمر
بن الخطاب رضي الله عنه الى عامله ابي موسى الاشعري اما بعد
فان اسعد الولاة من سعدت به رعيته وان اشقى الولاة من
شقيت به رعيته واياك فالتبسط فان عمالك يقتدون بك
وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى خضرا فاكلت كثيرا حتى سمنت
فكان سمنها سببا لهلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتوكل وفي
التورية مكتوب كل ظلم عمله السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك
الظلم منسوبا اليه ويؤخذ به وعوقب عليه وينبغي للوالي ان يعلم انه

ليس احد اشد غبنا ممن باع دينه بدنيا غيره وجميع
الجهال والعثمان لاجل تضييعهم من الدنيا يغرون الوالي ويحسنون الظلم
عنده فيلقونه في النار ليصلوا الى اغراضهم واي عدو اشد عداوة
ممن يسعى في هلاكك لاجل درهم حرام يكسبه ويحصله وفي الجملة ينبغي ان يعلم
حفظ العدل على الرعية ان يرتب عمالا وعمالة للعدل ويحفظ احوال
العمال وينظر فيها كما ينظر في احوال اهله واولاده ويميز له ولاية ذلك
الا بحفظ العدل اولا من باطنه وذلك ان لا يسلط شهوته وغضبه
على عقله ولا يجعل عقله ودينه اسيري شهوته وغضبه بل يجعل شهوته
وغضبه اسيري عقله ودينه واكثر الخلق في خدمة شهواتهم فانهم
يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون
ان العقل من جنود الملائكة ومن جند الباري جلت قدرته
وان الشهوة والغضب من جنود الشيطان فمن يجعل جند الله
وملائكته اسيرا لجند الشيطان كيف يعدل في غيره
واول ما تظهر شمس العدل في الصدر ثم تنتشر نورا في اهل البيت
وخواص الملك فيصل شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع
من غير الشمس فقد طلب المحال وطمع فيما لا ينال واعلم انها
السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل

ان ترى الاشياء كما هي وتدرك حقايق باطنها و
بظاهرها مثلا ان كنت تجوز على الناس لاجل الدنيا فتنظر
اي شيء مقصود كل من الدنيا فان كان مقصود كل اكل الطعام
الطيب فيجب ان تعلم ان هذه شهوة بهيمية وصورة بهيمية
فان الشره الى الاكل من طباع البهايم وان كان مقصود كل
لبس الديباج فانك امراة في صورة رجل لان الزين والزعونة
من اعمال النساء وان كان مقصود كل ان يقضي غضبك
على اعدائك فانت اسد او سبع في صورة آدمي لان احضار
الغضب القلب من طبع السباع وان كان مقصود كل
ان يخدمك الناس فانك حمار في صورة عاقل
لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك انما يخدم
وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى
تناول شهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك
انهم لو سمعوا ارجافا ان الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك
لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفي اي موضع
علموا الدراهم فخدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة
ليست هذه خدمة وانما هي ضحكة والعاقل من ينظر ارواح

الاشياء

الاشياء وحقايقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه
ما ذكرنا واوضحنا فكل من يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن
لم يكن عاقلا لم يكن عابدا ومقره النار فلهذا السبب
كان رأس مال كل السعادات العقل

الاصل الثاني

ان الوالي في الاغلب يكون متكبرا ومن التكبر يحدث عليه
السخط الداعية الى الانتقام والغضب غول العقل
وعدوه وافته وقد ذكرنا علاج ذلك في كتاب الغضب
في ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغي ان يميل
في الامور الى جانب العفو ويتعود الكرم والتجاوز فاذا
صار لك عادة ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت
امضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب

حكاية ان جعفر المنصور ام بقتل رجل
والمبارك ابن المفضل حاضر فقال يا امير المؤمنين
اسمع مني خبرا قبل ان تقتله روت الحسن البصري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم
القيامة وجمع الخلايق في صعيد واحد نادى منادي من كان

الى العمل الرفيع

لم عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى عن الناس فقال
اطلقوه فانى قد عفوت عنه واكثر ما يكون غضب الولاة
على من ذكر منهم وطول لسانه عليهم فيستعون فى دمه قال
عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا عليهما السلام اذا ذكرك
رجل بشئ وقال فيك صحيحا فاستكثر الله وان قال كذبا
فازدد فى الشكر فانه يزيد فى ديوان اعمالك وابت مسرة
يعنى الحسنة تكتب فى ديوانك وذكر عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوى وشجاع
فقال كيف ذلك فقالوا انه يقوى بكل احد وما صارع
احدا الا صرعه فقال عليه السلام القوى الشجاع من قهر غضبه
لا من صرع غيره وقال عليه السلام ثلثة من كانت فيه فقد كمل
ايمانه من كظم غيظه وانصف فى حال رضاه وغضبه
وعفا عند القدرة وقال عمر رضى الله عنه لا نعتمد على
خلق رجل حتى نجربه عند الطمع حكاية خرج زين العابدين الغضب
على بن الحسين رضى الله عنهما يوما الى المسجد وشبه رجل
فقصده ليضربه ويوثبه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا
ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ما لا تعرفه

بما لا يليق بشانهم

بنى اكثر مما قد عرفته فان لك حاجة الى ذكره ذكرته لك
فخذ فلك الرجل واستحى وخلى زين العابدين عليه السلام
وامر له بالف درهم فمضى الرجل وهو يقول اشهد ان هذا
الشاب ولد رسول الله وروى ان زين العابدين
عليه السلام استدعا غلاما وبيده اداة مرتين فلم يجبه فقال
له اما سمعت ندائى فقال بلى قال فلم لا اجبتنى فقال
امنت منك وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله اذ
قد امن منى عبدى ويروى ان زين العابدين عليه السلام
كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت
هذا فقال كسرتها عمدا لاغيظك فقال له وانا اغيظ
الذى علمك وسوا بليس اذهب فانت حر لوجه الله
ويروى عنه ايضا ان رجلا سبه فقال له زين العابدين
يا هذا بينى وبين جهنم عقبة ان انا جزتها فما ابالى بما قلت
وان انا لم اجزها فانا اكرم مما تقول وقال رسول الله صلى
قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل
يكتب فى جريدة الجبارين ولا ولاية له ولا حكم الا فى امار
منزله وقال عليه السلام لجهنم باب لا يدخله الا من اتبع غضبه

خلاف الشرع ويروى ان ابليس عليه اللعنة راى موسى عليه
فقال له يا موسى اعلمك ثلاثة اشياء وتطلب لي ثمن ذلك
حاجة فقال موسى ما الثلثة اشياء فقال يا موسى احذر
من الحدة والحرص ان يكون خفيف الرأس وانا العب
به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من النساء فاني
ما نصبت شركا اعتمد عليه النساء واحذر من البخل
فاني افسد على البخيل دينه ودنياه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان لا يكظمه ملاء
الله قلبه يوم القيامة بالامن والايمان ومن لبس ثوب باطويلا خوفا من
التكبر والخيلاء وتواضع لله البسه الله تعالى حلل
الكرامة وقال عليه ويل لمن يغضب وبئس غضب الله
تعالى عليه وجاء رجل الى النبي عليه فقال علمني
عملا ادخل به الجنة قال لا تغضب فقال وما ذا قال
استغفر بعد صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب
سبعين سنة فقال لي ذنوب سبعين سنة فقال لامك
فقال وما لامي وذنوب سبعين سنة قال لابيك قال وليس لابي
ذنوب سبعين سنة فقال لاخوتك وروى ان سعد رضي الله

مثل

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يقسم مالا فقال رجل ما هذه
القسمة لله يعني انها ليست بالنصافي فحكيت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيئا سوى ان
قال رحم الله اخي موسى قد اوذي فصبر على الاذى
هذه الجملة من الحكايات والاخبار تقنع في نصيحة الولاة
اذا كان ايمانهم ثابتا اما فيهم هذا القدر فان لم ينفع ما
ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلو قلوبهم من الايمان وانه
ما بقي من ايمانهم الا الحديث باللسان عمارة
بنا ولهذا زوال المسلمين في كل سنة كذا كذا الف دينار
ودرهم لاجل غيره وتبقى في ذمته فيطالب بها في القيمة
ويحصل لمنفوعها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب
يوم المرجع والمآب كيف تورث عنده من الاسباب
وهذا نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف الخلة

الاصل الخامس

انك في كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك اما ان تقوم
انك واحد من جملة الرعية وان الوالي سواك فكما

لا ترضاه لنفسك لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت
لهم بما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت
امامك ولا تيك يروى ان رسول الله صلعم كان قاعدا
يوم بدر تحت ظل فهبط جبريل عليه وقال يا محمد اتقعد
في الظل واصحابك في الشمس فوثب بهذا القدر
وقال رسول الله صلعم من احب النجاة من النار
والدخول في الجنة فليحب ان يكون بحيث لو اجاءه الموت
وجد كلمة الشهادة وكل ما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد
من المسلمين وقال علي من اصبح وفي قلبه مثقال شعرة هوى الله
فليس من الله في شيء ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

الاصل الخامس

ان لا تحقر انتظار ارباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر
من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا تشتغل
بنوافل العبادات فان قضاء الحوائج للمسلمين افضل
من نوافل العبادات كان عمر رضي الله عنه يوما يقضي
حوائج الناس فجلس الى الظهر ثم قام فتعب ودخل
بيته ليستريح من تعبه فقال لولده ما الذي يومئك

ان يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة وانت
مقصر في حقه فقال صدقت ونهض فعاد الى مجلسه

الاصل السابع

انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب
الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة
في جميع الاشياء فلا عدل بالقناعة سئل عمر بن الخطاب رض
بعض الصالحين وقال هل رأيت من اخواني شيئا كرهته فقال
سمعت انك وضعت رغيفين على مائدتك وان لك قميصين
احدهما لليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين شيء قال
لا فقال والله ان هذين ايضا لا يكونان

الاصل الثامن

انه مهما امكنك ان تعمل الامور بالرفق واللطف فلا تعملها
بالشدة والعنف قال النبي صلعم كل وال لا يرفق برعيته
لا يرفق يوم القيمة ودعا عليه اللهم فقال اللهم الطف بكل
وال يلطف برعيته واعنف على كل وال يعنف على رعيته
وقال على الكم الولاية والامانة حسنتان لمن قام بحقهما وسيئتان
لمن قصر فيهما كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني امية

فسأل بعض حاذم وكان من العلماء فقال له التدبير من النجاة من امور
الخلافة فقال ان تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال وان تضعه
في موضع حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب في
نعيم ويرهب من عذاب اليزال

الاصل التاسع

ان تجتهد ان ترضي عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع قال
رسول الله صلعم لاصحابه خيار امتي الذين يحبونكم وتحبونهم
وشرار امتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم
وينبغي للوالي ان لا يغتر بكل ما وصل اليه واني عليه وان
يعتقد ان جميع الرعية مثله راضون عنه فان الذي يثنى عليه
من خوف منه ينبغي عليه بل ينبغي ان يرتب معتمدين يسألون
عن احواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من السنة الناس

الاصل العاشر

ان لا تطلب رضا احد من الناس بمخالفة الشرع فان من
سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه كان عمر بن الخطاب رض
يقول اني اصبح كل يوم ونصف الخلق علي ساخط ولا بد
لكل من يوخذ منه الحق ان يسخط ولا يمكن ان يرضى الخصمان واكثر

الناس

واكثر الناس جهلا من ترك رضى الحق لاجل رضى الناس كتب
معاوية الى عايشة رضي الله عنها ان عظيني عظة مختصرة فكتبت
اليه سمعت رسول الله صلعم يقول من طلب رضى الله في سخط
الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن طلب رضى الناس
بسخط الله مثل ان لا يامرهم بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم
الحرام ويمنع الاجير اجرته والمراة مهرها سخط الله عليه وسخط عليه الناس

جناية العينين اللتين هما شرب شجرة الايمان

واذ قد عرفت اصول شجرة الايمان وعلت فروعها فاعلم
ان لها عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاول معرفة
الدنيا وما شيتها وما لم اوجد فيها الانسان اعلم ايها السلطان
ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على
صورة مسافر فاول منازله بطن امه واخر منازله لحد قبره
وانما وطنه وقراره وملكه واستقراره بعقبى فكل سنة تنقضي
من عمر الانسان فكالمرحلة وكل شهر ينقضي عنه كالاستراحة
المسافر في كل اسبوع فكقرية تلقاه في طريقه وكل يوم كفرسخ
يقطعه وكل نفس كخطوة يخطوها وبقدر كل نفس
تنفسه يقرب من الآخرة ومن الدنيا قطرة فمن عبر العقبة

ان كنت في مدة الليلة تزورها فانك لا تعود تراها ابدا وان عبرت
عنها مدة الليلة تسلت الف الف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه
وان كان عشقه لها عظيما وصبره عنها اليما يهون عليه صبره على بعده
عنها ليلة لينال قربها الف ليلة ومدة الدنيا ليست واحدا
من الف من مدة الاخرة بل ليست بشئ في جنب الاخرة ولا نسبة
بينهما لان الاخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها وقد افرد ما
في صفة الدنيا كتابا لكنا نقتنع الآن بما نوردها من احوال
الدنيا وقد اوضحنا حالها على عشرة امثلة ٥

المثال الاول

في بيان سحر الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا
فانها اسحر من هاروت وماروت واول سحرها انها تريك
انها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تاملتها خلتها
ساكنة وهي دائبة منك نافرة عنك على الدوام وانما تسلك
على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا مثل
الظل اذا رأيته حسبته ساكنا وسوف يمر فانما تمر
عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة
وكذلك الدنيا تودعك وتهرب منك وانت غافل لا تدري وذا هل ٥

لا تشعر ٥

وتشتغل بعمارتها في كل زمان وتنسى المنزل الذي اليه مصيرك
وتبني كاتبة وكأنها بالغ عاقل والمنزل العاقل الذي لا يشتغل في دنياه
الا بما يعد زاده لمعاده ويكتفي منها بقدر حاجته وهما
جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمنى ان يكون جميع خزائنه
وسائر ذخائره ودفائنه رمادا او ترابا فضة وذهبا
ولو جمع منها جمعا فانما نصيبه منها ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما
يخلفه يكون عليه حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فيطول
حسابه وحرها عذاب فان كان قد جمعه من حلال طال منه
الحساب وان كان جمعه من حرام وجب عليه العذاب وكان
اشد عليه من حسرته طول العذاب به في حفرته وآخرته ومع سزا
جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما بخفرة الديان فلا وجه لايسه
من الرحمة والغفران فان الله غفور رحيم جواد كريم ٥
واعلم ايها السلطان ان راحة الدنيا ايام قلائل
واكدارها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت
راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا فناء له
ولا نهاية فسهل على العاقل ان يصبر في مدة الايام القلائل
لينال راحة دائمة بلا انقضاء لو كان لانسان معشوقة وقيل له

ومن سحرها انها تظهر لك محبة لتعشقها وتركنها لك
مساعدة وانها لا تشغل عنك الى غيرك ثم تعود عداوة
لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال
حتى اذا عشقوها ودعتهم الى بيتها فاغتالتهم واهلكتهم
رأى عيسى عليه السلام الدنيا في صورة عجوز شمطاء
مرمة فقال لها كم كان لك زوج فقالت لا يحصون
كثرة فقال لها اما توا عنك ام طلقوك قالت بل انا
قتلتهم وافنيتهم فقال يا عجبا لها ولا لجمع الآخرين الذين
يشاهدون ما بسوا اسم صنعت وبهم فيك يرعبون
وبغيرهم لا يعتبرون المثال الثالث ومن سحرها انها
تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محبتها مقابحها في باطنها
لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة
المنظر تخفي وجهها وتلبس احسن الثياب وتتزين وتتجمل
لتفتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا غطاءها وخمارها
والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من
قبايحها وعاينوا من فضايحها وقد جاء في الخبر ان الدنيا

يؤتى بها يوم القيمة في صورة عجوز قبيحة زرقاء العين وحشية
الوجه قد قعرت عن انيابها وكشفت عن اسنانها فاذا
رآها الخلايق قالوا نعوذ بالله منها ما هذه القبيحة فيقال
فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تحاسدون وللاجلها
كنتم تتحاقدون وتتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون
ارحامكم وتغترون برخرفها ثم يؤمر بها الى النار
فتقول الى اين احبائي فيؤمر بهم فيلقون معها في النار
المثال الرابع ان يحسب الانسان كم كان من الازل قبل
ان يوجد في الدنيا وكم يكون مدة علمه بالموت وكم قدر
هذه المدة التي بين الازل والابد وهي مدة حيوته في الدنيا
فيعلم ان مثال الدنيا كطريق المسافر اول المهد وآخره
اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة تكزل
وكل شهر كفرسخ وكل يوم ميل وكل نفس خطوة وهو
يسير دايما فيسبق لواحد من طريقه فرسخ ولآخر اقل وآخر
اكثر وهو قاعد دامل وساكن غافل كانه مقيم لا يبرح
وقاطن لا يبرح قد اشتغل بتدبير اعمال لا يحتاج اليها
بعد عشرة سنين وربما حصل بعد عشرة ايام في الرابع

المثال الخامس اعلم ان مثل الدنيا وما يكتسب
اهلها فيها للشهواتهم ولذاتهم من الفضائح التي يتعاسدون
في الآخرة كمثل انسان اكل فوق حاجته من طعام حلو
سمين الى ان ساء مضمه وماصت معدته فراى في قصعته من
مال اكل معدته ونتونة نفسه وكثرة بلادته وحاجته فندم بعد
فوات الوقت وبقاء فضيحته وكذلك كلما ألف الانسان
لذات الدنيا كانت عاقبته اصعب ويتبين له ذلك
عند نزعه وخروج روحه لان كل من كان له نعم كثيرة ودنب
وفضة وجوار وغلمان وكرم وبستان كان الم روحه عليه
اصعب من الم من ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب
لا يزول بالموت بل يزيد به لان تلك المحبة صفة القلب والقلب
بحاله لا يموت المثال السادس اعلم انها السلطان
ان امور الدنيا اول ما تبدو ايظنها الانسان قريبة مختصرة
ويخال ان شغلها لا يطول وربما كان من بعض اشغالها
واحوالها امر يتسلسل منه مائة امر وتنفق فيه بضاعة
العمر قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر
كلما ازداد شربا ازداد عطشا فلا يزال يشرب منه الى ان يهلك

ولا يروي قال النبي عليه السلام كما لا يمكن من خاض البحر ان لا يبتل
البلل كذلك لا يمكن من خل في امور الدنيا ان لا يتدنس
المثال الثامن مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي
الى مأدبة وعادة المضيف ان يزين للاضياف داره
ويدعوا اليها قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج ويصنع بين ايدي الضيافة
طبقا من ذهب مملوا بالجواهر ومجمرة من فضة فيها عود وزنجبيل
ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحتها ثم يغادرون الطبق
والمجمرة بحالها لما لها ليدعوا غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا علم
برسم الدعوات وضع من فلك البخور على النار وتطيب
وانطلق ولم يطمع في ان يتناول المجمرة والطبق وتركهما
بطيبة من قلبه وشكر لصاحب البيت ودعا له وانصرف راشدا
ومن كان احمقا ابلها توهم ان فلك الطبق والمجمرة قد اعدا
له وانهم يريدون ان يهبوهم له فلما هم بالخروج من الدار رض
الطبق والمجمرة فاستعاد ومما منه فضاق صدره وتعب قلبه
وطلب الاقالة اذا ظهر ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة
ليتزودوا الطريقهم ولا يطمعوا فيما في الدار المثال التاسع مثل
اهل الدنيا واشتغالهم باشغالها واستمامهم باحوالها ونسيان

الآخرة ولهما لما كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا الى الجزيرة
لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح
ينادي بهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولا تشتغلوا
بغير الوضوء والصلاة فان المركب سايرة فمضوا وتفرقوا
في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وبادروا
في الطهارة وعادوا الى المركب فاصابوا الاماكن خالية فجلسوا
في اظهر اماكنها واوفقها وطيب مواضعها وارفقها ومنهم قوم
نظروا الى عجايب تلك الجزيرة ووقعوا يتفرجون في زهرها
واثمارها وروضها واشجارها ويستحسنون طيب ترنم اطيارها
ويتعجبون من خصيصاتها الملونة واحجارها فلما عادوا الى المركب
لم يجدوا فيه موضعا ولا زادوا متسعا فقعدوا في اضيق مواضعه
واظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالفرجة ولم يقتصروا على الفرجة
لكنهم جمعوا من تلك الخصيات الملونة وحملوا معهم الى المركب
فلم يجدوا امكانا فقعدوا في اضيق المواضع وحملوا اما احسنوه
من تلك الاحجار على اعناقهم فلم يمض الا يوما او يومان حتى
تغيرت تلك الاحجار واسودت وفاح منها اكره رايحة
ولم يجدوا خلاصا من الغرام ليلقوا اثقالها عن اعناقهم فندموا على ما فعلوا

وحصل نقل الاحجار على اعناقهم اذ كانوا يطيلونها استثقلوها
ومنهم قوم وقعوا في عجايب تلك الجزيرة وتجاوزوا في الرجوع
لم يتفكروا حتى سار المركب بعدا واعنه وانقطعوا وبقي
اماكنهم تخلفوا اذ لم يصيحوا الى المنادي ولم يسمعوا قولهم
من هلك من الجوع ومنهم من اكله السباع وناشرة الضباع
فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون
الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة
وسلموا اكلتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال جل جلاله الذين
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة واطمانوا بها واما الجماعة
المتوسطون هم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان ولم يكفوا
لم يكفوا ايديهم عن الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من
تمتع مع فقره وحاجته الى ان ثقلت اوزارهم وكثرت اوساخهم واوحالها

المثال التاسع روي ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال لعيسى
يا ابا هريرة تريد ان اريك الدنيا فقلت نعم فاخذ بيدي وانطلق
حتى وقف بي على مزبلة فنهار رؤس الآدميين ملقاة فقال يا
ابا هريرة هذه رؤس الناس التي تراها كانت مثل رؤوسكم محلوة
من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من طول

الاعادي ماتوا حون وكانوا يجلون في جمع المال وعمارة الدنيا
كما تجلون فاليوم تغيرت عظامهم وتلاشت اجسامهم كما ترى
وهذه الرمق كانت انوامهم التي كانوا يتزينون بها عند
التجمل ووقت الزينة والزي فاليوم قد اكلتها الرمة والبلى
وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها اقطار الارض
وهذه النحاسات كانت اطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون
في تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض فقد القوما عنهم بهذه الفصيحة
التي لا يقوم بها احد من نبيها فهذه جملة احوال الدنيا كما تشاهد
وترى فمن اراد ان يبكي على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء
قال ابو هريرة فبكى جماعة الحاضرين المثال العاشر كان في زمن
عيسى عم ثلثة سايرين في طريق فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا
فليمض واحد منا ويبغ لنا طعاما فمضى احدهم ليأتيهم بطعام
فقال الصواب ان اجعل لهم في الطعام سما في تلا ليأكلاه
فيموتا وانفرد بالكنز دونهما ففعل ذلك وتم الطعام واتفق
الرجلان الاخران انه اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه واتفردا
بالكنز دونه فلما وصل ومعه الطعام المسموم قتلاه واكلا من الطعام
فماتا فاجتاز عيسى عليه بذلك المكان فقال للحواريين هذه الدنيا

فانظروا كيف قلبت هذه الثلثة وبقيت بعدهم وبالطلب
الدنيا من الدنيا المثال الثاني معرفة النفس الاخير
اعلم ايها السلطان ان بني آدم طايفتان طايفة نظروا
الى ثنا مد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا
في النفس الاخير وطايفة عقلا جعلوا النفس الاخير
نصب اعينهم ليتفكروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون
من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي ينزل بهم
الدنيا في قبورهم وما الذي يتركونه لاعاديهم من بعدهم ويبقى
عليهم وبالله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق
على الملوك وامثال الدنيا اوجب لانهم كثيرا ازعجوا قلوب الخلق
واتعبوا الى الناس الغلمان بالتسببات وفزعوا الخلق
وقتل الخليقة ولم خلوا في قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالى
ذكره غلاما يقال له عزرائيل يعرف بملك الموت لا مهرب
لاحد من مطالبته وتسببه موكلي الملوك ياخذون حلهم ضنا
وطعاما وصاحب هذا التوكيل لا ياخذ سوى الروح جعلا
وسايز موكلي السلاطين ينفع عندهم الشفاعة وهذا
الموكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يميلون

من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يهمل نفسا واحدا
وعجائب احواله كثيرة الا انا نذكر من احواله خمس حكايات
الحكاية الاولى وهي ما رواه وهب بن منبه وكان من علماء
اليهود واسلم روي انه كان ملك عظيم اراد ان يركب يوما
في جملة اهل مملكته ويرى الخلائق عجائب ربوبيته فلما اراد
ان يركب امر بالركوب ليظهر للناس سلطنته فامر
باحضار فاخر الثياب وامر بعرض خيوله الموصوفة
وعتاقه المعروفة فاختار من جملتها جوادا يوصف بالبين
ركبه بالركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض
الحصان بين عسكره ويفتخر بهيئته وتجبره فجاء ابليس
لعنه الله فوضع فمه على منخره ونفخ سوا الكبر في انف نفسه
فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء
ويرمي بالخيلاء ولا ينظر لاحد من تيهه وكبره وعجبه وفخره
فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد
سلامه فقبض على عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك
لا تدري بعنان من امسكت فقال لي اليك حاجة فقال اصبر
الى ان انزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند

نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها يسيرة ولا تؤخرها الا في
اذنك فاصغى بسمعه اليه فقال انا ملك الموت اريد ان اقبض
روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى بيتي واودع اولادي
وزوجتي فقال كلا لا تعود ترا سهم فانك قد فنيت مدة
عمرك واحدر روحه على ظهر الفرس فمات فعاد ملك
الموت من مناكل فاتى رجلا صالحا قد رضي ربه عنه
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال لي اليك حاجة دون
سر فقال الصالح قل حاجتك فاذني فقال انا ملك
الموت فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت
كثير الشوق والترقب لوصولك ولقد طالت علي غيبتك
وكنت مشتاقا الى قدومك فقال ملك الموت ان كان
لك شغل فاقضه فقال ليس لي شغل اهم عندي من لقاء
ربي فقال له كيف تحب ان اقبض روحك فاني امرت
ان اقبض روحك كيف آثرت واخترت فقال اذا كنت
رئيتما اتوضا واصلي فاذا انا سجدت فخذ روحي وانا
ساجد ففعل ملك الموت ما امر به ونقلا الى رحمة ربه

الحكاية الثانية يروى انه كان ملك كثير المال قد جمع

مالا عظيما واختشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع
اليه فنفسه ويتفرغ لاكل اجمع فجمع لها طايلة وبنى قصرا
عاليا مرتفعا سليما يصلح للملوك والامراء والاكابر العظماء
وركب عليه بابين محكمين واقام عليه الغلمان الاجلاد
ذوي الحرسة والاجناد والبوابين كما اراد وامر بعض
الايام ان يصطنع له من طيب الطعام وجمع اهله
وحشمه واصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس
على سرير مملكته واتكى على وسادته وقال يا نفس قد جمعت
لك الدنيا ياسرنا فالآن افرغي بالك وكلي من هذه النعم
مهناة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به
نفسه حتى اتى رجل من خدام القصر عليه ثياب خلقة ومزق
في عنقه معلقة على عنقه سائل يسأل الطعام فجاء وطرق
حلقة باب القصر طرقة عظيمة تايلة بحيث تزلزل القصر
وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب
وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضعيف ما هذا الخرق
وسوء الادب اصبر الى ان ناكل ونعطيك مما يفضل فقال
لهم قولوا لصاحبكم يخرج الي فلي اليه شغل مهم واحر ملم فقالوا له

يا ايها الضعيف ما اثقلك وما اتمك وما اجهلك بالملوك
فقال انتم عرفوه ما ذكرت فلما عرفوه قال لهم ثقوه وجروه
عليه وزجروه ثم طرق حلقة الباب اعظم من الدقة الاولى
فنهضوا من اماكنهم بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه
فصاح بهم صيحة وقال للرفوا اماكنكم فانا لملك الموت
فزعت قلوبهم وطاشت حلومهم ولما تعدت فراصهم
وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ
بدل مني وعوضا عني فقال ما اخذ الا لك ولا اتيت
الا لاجلك لا فرق بينك وبين النعم التي جمعتها والاموال
التي حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله
هذا المال الذي غرني واضرني ومنعني عن عبادة ربي
وكنت اظن انه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي
صفر اليدين منه وبقي لاعدائي فانطق الله تعالى المال
حتى قال لاي سبب تلعنني العن نفسك فان الله تعالى
جبلك خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود
بي الى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتتزكى على الضعفاء
ولتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون

عوناك فى اليوم الآخر وانت جمعتنى وحرمتنى ولى مواك
انفقتنى ولم تشكر حتى بل كفرتنى فالآن تركتنى لاعذابك
وانت بحسرتك وبلايك فاى ذنب لى فسبنى ولعننى
ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل اكل الطعام فسقط
عن سريره صريع الحمام **الحكاية الثالثة** قال يزيد الرقا
كان فى بنى اسرائيل جبار من الجبابرة كان بعض الايام
جالسا على سرير مملكته فراى رجلا قد دخل من باب الدار
ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه
وهيبت قدومه وبث فى وجهه وقال له من انت ايها
الرجل ومن اذن لك فى الدخول الى دارى فقال امرنى صاحب
الدار وانا الذى لا يحجبنى حاجب ولا احتاج فى دخول
على الملوك الى اذن ولا ارهب سياسة سلطان ولا
يفزعنى جبار ولا لاحد من قبضتى قرار فلما سمع منه ذلك
خر على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده وقال انت
ملك الموت قال نعم قال اقسم عليك بالله الا امهلتنى بقدر
واحد الاتوب من ذنبى واطلب العذر من ربى واردّ
الاموال التى اودعتها خزائنى الى ارباباها ولا احمل تبعة

عذابها فقال كيف اهملك وايام عمرك محسوبة واوقاته
مضبوطة مكتوبة فقال امهلنى ساعة فقال ان الساعة فى الحساب
وقد عبرت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفيت
انفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندك
اذا انقلبت الى الحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال
مالى عمل قال لم لا جرم يكون مصيرك فى النار ومصيرك الى
غضب الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع وعلا
الضجيج من اهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير اليه
من سخط ربه لكان يبكى وسم عليه الكرب وعويلهم اوفر
الحكاية الرابعة يروى ان ملك الموت عليه السلام
دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد بصره
ويطيل نظره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك
النديم من كان هذا الذى دخل فقال ملك الموت فقال
اخاف انه يريد قبض روحى فخلصنى من يده فقال كيف
اخلصك قال تامر الريح ان تحملنى منذ الساعة الى اقصى
بلاد الهند لعله يضل عنى ولا يجدنى فامر سليمان الريح
فحملته الى اقصى بلاد الهند فى الوقت والحال فعاد ملك الموت

ودخل على سليمان فقال لاي شيء كنت تطيل النظر
الى ذلك الرجل فقال كنت اتعجب منه لانني امرت ان
اقبض روحه في ارض الهند وكان بعيدا عنها الى ان
اتفق بحمل الريح له الى ها لك ما قدره الله سبحانه وتعالى
حكاية اخرى يروى ان ذا القرنين اختار يوما لا يكون
شيء من اسباب الدنيا وقد حفروا قبورا ونصبوا عليها ابوابا
ودورهم وهم في كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها
وينضفونها ويزورونها ويعبدون الله بها ولم يأكلوا الطعام
الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذو القرنين رجلا
يستدعي ملكهم فلم يجبه فقال ما ل اليه حاجة فجاء ذو
القرنين اليه وقال له كيف حالكم فاني لا ارى لكم شيئا من
ذهب ولا فضة ولا ارى عندكم شيئا من نعم الدنيا فقال
نعم لان نعم الدنيا لا يشبع منها احد قط فقال لم حفرتم
القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر
اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا
فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تاكلون الحشيش
قال لانا نكره ان يحمل بطوننا مقابر للحيوان ولان لذة

الطعام لا يجاوز الحلق ثم مد يده الى الطاقة فاخرج منها قحف
راس آدمي فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم من
كان صاحب هذا القحف قال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من
ملوك هذه الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء في
زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا
راسه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له اتعرف
هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا شفيقا على رعيته
محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته
ثم انه وضع يده على راس ذي القرنين وقال ترى اي هذين
الراسين يكون هذا الراس فبكى ذو القرنين بكاء شديدا
وضمه الى صدره وقال له ان رغبت في صحبتي فاني اسلم اليك
وزارتي واقاسمك مملكتي فقال ما لي في ذلك رغبة فقال لم
قال لان جميع الخلق اعداك بسبب المال والملك وجميعهم
اصدقائي بسبب القناعة والصعلكة والله معك فالان
يجب ان تعلم حكايات النفس الاخير وتدبرها وتيقن بموتها
وتتصورها وتعلم ان اهل الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون
استماع حديث الموت ليلا يبرد حب الدنيا في قلوبهم ويثقل

علیهم لذة ما کوا بهم ومشروبهم وقد جاء فی الخبر ان من اکثر من ذکر
الموت وجد الموت کان قبره روضة من ریاض الجنة ومن نسی
الموت وغفل عن ذکره کان حفرة من حفر النیران کان رسول
الله علیه افضل الصلوات واکمل التحیات یصف یوما ثواب
الشهداء واجر السعداء الذین قتلوا فی معرکة حرب الکفار
فقالت عائشة رضی الله عنها ما ینال مثل ثواب الشهداء من
لم یمت شهیدا فقال من ذکر الموت کل یوم عشرین مرة کان
له مثل اجر الشهداء فی درجتهم وقال علیه السلام اکثروا من ذکر
الموت فانه یمحو الذنوب ویزهد فی الدنیا فی القلوب وقیل
علیه السلام من اخزم الناس واعقلهم قال اعقل الناس اکثرهم
للموت ذکرا واحزمهم احسنهم له استعدادا له شرف الدنیا
وکرامة الآخرة من عرف الدنیا کما ذکرناه وکرر فی قلبه ذکر
الموت ولنفیس الاخیر سهلت علیه امور دنیاه وقوی اصل
شجرة الایمان فی قلبه واخذ فی النمو والزیادة ونمت فروع
الشجرة والقی الله ایمانه سالما والله جلت قدرته وعلت
کلمته ینور بصیرة سلطان العالم لیری الدنیا والآخرة علی
ما علیه ویجتهد فی امر آخرته فیحسن الی عباد الله وبریته فان

فی رعیته مائة الف الف من الخلایق اذا عدل فیهم کان الکل
شفعاؤه ومن شفع فیه مولاه الخلایق من المومنین کانوا
آمنا یوم القیامة من العذاب وان ظلمهم کان الکل
خصماؤه ومن کان مولاه الخلایق کلهم خصماؤه عاد
امره عظیم الخطر شدید الوزر واذا اضاع وشفع خصما کل الامر

الباب الاول فی العدل والجور وذکر الملوک وسیرهم

اعلم وتیقن ان الله جل اسمه اختار من بنی آدم فریقین و
علی سایر خلقه وهما الانبیاء علیهم السلام والملوک فاما الانبیاء
فارسلهم لیبینوا العبادة الی العبودیة الدلیل ویوضحوا لهم
الی معرفة السبیل واختار الملوک لیحفظوا العباد من اعتدا
بعضهم علی بعض ولیکفوا ارجة الابرام والنقض ویربطهم
مصالح الخلق فی معایشهم بحکمته واحلهم اشرف محل بقدرته کما سمع
فی الاخبار السلطان ظل الله فی ارضه فینبغی ان تعلم ان من
اعطاه الله تعالی رتبة الملک وجعله ظله فی الارض فانه حجة
علی الخلق حجته ویلزمهم متابعته وطاعته ولا یجوز لهم بغضه
ومنازعته قال الله تعالی اطیعوا الله واطیعوا الرسول
واولی الامر منکم فیتعین علی کل من اتاه الله الدین ان یحب الملوک

والسلاطين وان يطيعهم فيما يامرون به ويعلم ان الله تعالى
يعطي السلطنة والملكة وانه يعطي ملكه من يشاء، قوله تعالى قل
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
والسلطان العادل من عدل بين العباد وحذر من الجور
والفساد والسلطان الظالم مشوم لا يبقى ملكه ولا يدوم
لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
وفي التواريخ ان المجوس ملكوا امور العالم اربعة الف
سنة وكانت المملكة فيهم والنجاحات لهم المملكة بعدهم
بين الرعية وحفظهم الامور بالسوية وانهم ما كانوا يجيزون
الجور والظلم في ملتهم جائزا وعمروا بعدلهم البلاد وانصفوا
العباد وقد جاء في الخبر ان الله جل ذكره اوحى الى داود عليه السلام
ان انه قومك عن ست ملوك الجور فانهم عمروا الدنيا بخرابي
عبادي فينبغي ان تعلم ان عمارة الدنيا وخرابها من الملوك
ولو كان السلطان عادلا انعمرت الدنيا وامنت الرعايا
كما كانت في عهد اردشير وانوشيروان وبهرام كور وكسرى
انوشيروان ولو كان السلطان جائرا خربت الدنيا
كما كانت عليه في عهد الضحاك وافراسياب ويزدكرد شكار

الاثم وامثال هؤلاء فان اشكل ما ذكرنا على احد وقال كيف
يجوز ان تلي المجوس امور العالم اربعة الف سنة وانهم علوا
بالعدل ولم يروا الجور والظلم والخرف والعشم فانا قد
اوضحنا في كتابنا هذا احوال الملوك الذين ذكرناهم ومددوا
لايامهم واعمارهم وسيرهم واخبارهم كل ملك منهم على حدته
وكيف عامل رعيته في ايام حياته ومدته ليزول الاشكال
عن مقالته ويعلم مقدار دولة كل ملك منهم ولما مات من جلس
بعده في المملكة ومن كان اول ملوكهم فقد ذكرنا ذلك مرتبا
صحيحا اسما اسما وظهرا عن ظهر ان شاء الله تعالى

ذكر انساب الملوك وسيرهم وتواريخهم

يروى في الاخبار ان آدم عليه السلام لما كثر اولاده اختار
جميعهم اثنين احدهما شيث والآخر كيومرث واعطاهما
اربعين صحيفة وقيل صحيفة من كبار صحفه ليعملا بما فيها
ثم ولى شيثا حفظ امور الدين والآخرة وولى كيومرث
امور الدنيا والمملكة فكان اول ملوك الارض وكان ملكه
ثلثين سنة وكان بعده سوشنك وكان ملكه اربعين سنة
ومن بعده طهمورث وكان يحارب الجن وكانت مدة ملكه
ثلثين سنة وبعده جمشيد وهو الذي اظهر السلاح والريش

وعدد الحروب وكانت له الاعمال العظيمة ومدة ملكه سبع
سنة • ومن بعده پوراسپ الذي يعرف بالضحاك ذي الكيتين
وكان صاحب المكر والدواهي والسحر وكان طالما جائرا
متعديا غاشما وكانت مدة ملكه الف سنة • ومن بعده
افريدون وكان جيد الاسم حسن السيرة والرسم وله حسن
الصيت وافاضة العدل وكان ملكه خمسمائة سنة • وبعده
منوچهر صاحب العلم والاعمال الكثيرة والامور العظيمة وكانت
مدة ملكه مائة وعشرين سنة • ومن بعده نوذر وملك اثنتي عشرة
سنة • ومن بعده افراسياب الذي ملك ايران وكان الاراك
تسميه كبكا آلت وله الشجاعة وتسيير العساكر بالليل وتنويش
البلاد بالرجل والخيل وكان ملكه في ايران شهر اثني عشرة سنة
ومن بعده زوبن طهماسب وكان له الشجاعة وطيب الخلق
وكان ملكه خمس سنين • ومن بعده كيقباد وكان صاحب تعبية
العساكر وتدبير الجنود والشفقة على الرعية وكان ملكه مائة
وعشرين سنة • ومن بعده كيكاوس وكان صاحب الهمة العالية
وكان ملكه مائة وعشرين سنة • ومن بعده كيخسرو وكان له حسن القيام
والقعود وتمشية الكبار من الامور والرصد في الاشياء بعد نيل
المراد منها وكان ملكه ستين سنة • ومن بعده لهراسب وكان صاحب

التاج والكبر والبنية والفخر وكان ملكه اربعين سنة • ومن بعده
كشتاسب وكان يعتقد مذهب زرادشت وكان ملكه
مائة وعشرين سنة • ومن بعده بهمن اسفنديار وكان صاحب
الحقد والجهد في الحرب وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة •
ومن بعده ابنته همماي وكانت صاحبة الراي والتدبير وكان
ملكها سبع عشرة سنة • وكان من بعد ما دارا ابن دارا
وكان له قود العساكر وترتيب الجيش واقطاع الولايات
وكان ملكه خمسين سنة • ومن بعده اسكندر
الرومي وسودو القرنين وكان له الطواف في
العالم والاسفار البعيدة وفتوح البلاد وقهر الملوك
وتلثيث سنة • ومن بعده الشر ساسان
وكان ملكه ثمانية وسبعين سنة • ومن بعده سابور
بن اردشير وكان ملكه ثلث وثلثين سنة • ومن
بعده اورمزد وكان ملكه عشر سنين • ومن بعده بهرام
بهراميان وكان ملكه اربعة اشهر • ومن بعده نرسي
وملك تسع سنين • ومن بعده هرمز بن نرسي وكان ملكه سبعين سنة

وخمسة اشهر ومن بعده سابور ذوالاكتاف وكان ملكه
سبعين سنة ومن بعده اخوه اردشير وكان ملكه عشرين
ومن بعد سابور بن سابور وكان ملكه خمس سنين ومن بعد
بهرام بن سابور وكان ملكه اثنى عشر سنة ومن بعده يزدكرد
بزه الاثيم الكافر وكان صاحب الجود والنظم والفضل وكان ملكه
ثلثين سنة ومن بعده بهرام كور وكان له الحظ التام فى اجوا
الوعيد والرمى عن القوس والصيد والاشتغال بالفرح
واللعب والعشرة والشرب وكان ملكه ثلثا وثمانين سنة
ومن بعد يزدكرد بهرام وكان ملكه ثمانية عشر سنة
ومن بعده هرمز وكان ملكه تسعة اشهر ومن بعده فيروز
بن هرمز وكان ملكه احدى عشر سنة ومن بعده اشك وكان
خمس سنين وشهرا ومن بعده كيقباد وملك اربعين سنة
ومن بعده جاماسب الحكيم وكان صاحب علم النجوم وله
فيه الاحكام الصحيحة وملك سنة وستة اشهر ومن بعده
كسرى انوشروان فخر ملوك ايران صاحب العدل والانصاف
والاحسان والاسعاف وكان ملكه ثمان واربعين سنة
ومن بعده هرمز وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ومن بعد خسرو

پرويز وما وصل احد من الملوك الى درجته فى الملك وجمع الخزائن
والآلات وكنز الكنوز واستعمال اللذات مالو وصفناه
لطال الكتاب وكان ملكه ثمان وثلثين سنة ومن بعده شيرويه
بن خسرو وكان غدارا قليل الوفا وكان ملكه سبعة اشهر
ومن بعده اردشير وملك سنة وستة اشهر ومن بعده كسرى
خمس وخمسين سنة ويوما ومن بعده فاذخت وملك ستة اشهر
ومن بعده ارزمى دخت وملك ار[illegible] ومن بعده فرخ
زاد وملك شهرا واحدا ومن بعده يزدكرد ابن شهريار
آخر ملوك العجم وكان ملكه ستا وثلثين سنة وبعد ذلك
استولى اهل الاسلام وغلبوا العجم وازاحوهم عن البلاد
والملك وقويت دولة دين الاسلام بركة نبينا محمد عليه الصلوة
والسلام وذلك فى عهد خلافة عمر رضى الله عنه فاعلم وفقنى الله
ان هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا اصحاب الدنيا
وملوك الارض وانهم بلغوا من الدنيا مرلوم وصرفوا اعنانها
اوقاتهم ومضوا وبقيت اسماؤهم وسيرانهم كما عددناه من
افعالهم واوصفناه من خصالهم واعلم ان الناس انما هم احدوثة
الذى تبقا بعدهم فكل انسان يذكر [illegible] علمه وينسب الى ما

كان يسهله ان خيرا فخير وان شرا فشر فيجب على الانسان
ان يرفع بذر الاحسان وان ينفي عن نفسه العيوب الفاحشات
والخطايا الموبقات لاسيما الملوك ليبقى بعدهم حسن الاسم
موضاح الرسم وليلا يذكروا بالقبيح وقد حلوا في الضريح

حكاية قال الشاعر

اقرب من الشر وتب بافتى • وان بدا منك فعد وادمم
وانف عن نفسك ما شانها • ومن مساوى الدهر خف تسلم
بعدك يبقى الذكر لا غيره • فكن حديثا حسنا تغنم
ويقال ان ذكر الرجال بعد موتهم سوجياتهم اثنانية
في الدنيا فواجب على العقلاء قراءة اخبار سولاء الملوك
والنظر في احوالهم واحوال هذه الدنيا الغليل وفاؤها
الكثير بلاؤها وان لا يعلقوا قلوبهم بامانيها فانها
لا يبقى عليها صالح ولا يسلم منها طالح وليجتهد العاقل
ان لا يكثر خصومه فان الخصوم صعب مائل والباري
تعالى حاكم عادل لابد ان ينصف في القيامة بين
الخصوم ويأخذ من الظالم للمظلوم فلا تساوي الدنيا
باسرها ان يتحمل انسان خصوما لاجلها كما جاء في بعض الحكايات

حكاية كان ابو علي الدقاق بن الياس سپاه سالار

وكان زاهد زمانه وعالم اوانه فقعد على ركبتيه بين يديه
وقال له عظني فقال ابو علي ايها الامير اسالك مسئلة
واريد الجواب عنها بغير نفاق فقال افعل فقال ايما
احب اليك المال او العدو فقال المال احب الي من
العدو فقال له كيف تترك مالك بعدك وتستصحب العدو
الذي لا تجنبه معك فبكى الامير ودمعت عيناه وقال الموعظ
صدق وجميع الوصايا واه الحكم تحت هذا الكلام والخالق جلت
قدرته ارسل نبينا محمدا صلعم حتى عادت ببركته دار
الكفر دار الايمان واظهره في اسعد وقت واوان وعمر
الدنيا بشريعته وختم الانبياء بنبوته وكان الملك في ذلك
الزمان كسرى انوشروان وهو الذي فاق جميع ملوك الارض
بعدله ونصفته وتدبره وسياسته وذلك جميعه ببركة
نبينا عليه السلام لانه ولد في زمانه ووجد في اوانه وعاش
انوشروان بعد مولده عليه السلام سنتين والنبي عليه
افتخر بايامه وقال ولدت في زمن الملك العادل وانما
سماه ملكا العدله لتعلم ان الصيت الحسن والاسم الجيد
خير الاشياء والملوك الذين ذكرناهم قبله كانت همتهم في

عمارة الدنيا والعدل بين الرعية وحفظ الحشم بالسياسة
وحسن الايالة واثار عمارتهم التي اثروها الى اليوم ظاهرة
في العالم فملك بلد يعرف باسم صاحبه وملكه لانهم عمروا
المواضع وبنوا الضياع والمزارع واستخرجوا الاقنا،
والمصانع واظهروا ما كان خافيا من مياه العيون
وجميع ما ذكرناه كان انوشروان يعمره بالعدل والانصاف
وتجنب الاسراف والاعتساف **حكاية** يقال ان
انوشروان اظهر يوما من ايام ملكه انه مريض وانفذ
نفقاته وامناؤه وآمرهم ان يطوفوا في اقطار مملكته
واكناف ولايته ويتطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة
ليتداوى بها وذكر لاصحابه ان الاطبا، وصفوا له
ذلك فمضى اصحابه وطافوا جميع ولاياته وعادوا فقالوا
ما وجدنا في جميع المملكة مكانا خرابا ولا لبنة عتيقة
ففرح انوشروان وشكر الله وقال انما انوث بهذا
ان اجرب ولايتي واعتبر ايالتي لاعلم هل بقي في المملكة
موضع خراب لاعمرة فالآن لم يبق مكان الا وهو عامر
فقد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة

الى درجة الكمال فاعلم ان اولئك الملوك القدما كانت همتهم
واجتهادهم في عمارة بلادهم لعلمهم انه كلما كانت الولاية
اعمر كانت الرعية اوفر والعسكر اكثر وكانوا يعلمون ان الدنيا
قالت الحكما، ونطقت به العلما، صحيح لا ريب فيه وسوق لهم
ان الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة
البلاد وعمارة البلاد بالعدل في البلاد والعباد فما كانوا
يوافقون احدا على الجور والظلم ولا يرضون لحشمهم ما يخوف
والغشم على منهم ان الرعية لا يثبت على الجهد وان الاماكن
والبلاد تخرب اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق اهلها
الولايات ويهربون الى ولايات غيرنا ويقع النقص في
الملك ويقل في البلاد الدخل وتخلوا الخزائن من الاموال
ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يكبون جايرا ولا يزال
دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه دوائر
بملكته قال مؤلف الكتاب الظلم نوعان احدهما ظلم
السلطان لرعيته وجور القوي على الضعيف والغني
على الفقير والشاذ ظلمك لنفسك وذاك من شوم
سيئتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء في الحكاية ٥

حكاية يقال انه كان في بحر اسرائيل رجل يصيد السمك
ويقوت بصيده اطفاله وزوجته فكان في بعض الايام
يصطاد فوقعت في شبكته سمكة كبيرة ففرح وقال امضي
بهذه السمكة الى السوق فابيعها واخرجها في نفقات الاولاد
فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع من السمكة فقال الصياد
في نفسه ان قلت له نعم اشترانها مني بنصف ثمنها فقال ما
ابيعها فغضب العواني فضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ
السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي
خلقتني مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لي بحقي
منه في هذه الساعة فما اصبر الى الاخرة ثم ان ذلك الغاصب
انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها
فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة مد يده ليأكل
منها ففتحت السمكة فاها ونكرت اصبعه نكرة سلبت
قراره وازالت بشدة عضتها اصطبان فقصد الطبيب
وشكى اليه حاله وذكر له ما نالها فقال له الطبيب ينبغي لي
تقطع هذه الاصبع ليلا يسري الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه
فانتقل الوجع الى يده وانواد تالمه وزال قراره فقال الطبيب

ينبغي ان تقطع اليد من المعصم ليلا يسري الى الساعد فقطع
يده فتوجع ساعده فقال الطبيب ينبغي ان تقطع ساعده
ليلا يسري الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه
فخرج من مكانه مارا على وجهه داعيا الى الله ليكشف ما
نزل به فرأى شجرة فانكفأ اليها فاخذه النوم فنام ورأى
في منامه قائلا يقول له يا مسكين بالي كم تقطع يدك امض
وارض خصمك فانتبه من نومه وتفكر وتذكر وقال انا
اخذت السمكة غصبا واوجعت الصياد ضربا ومضى الى
نكريتي فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده
فوقع بين يديه والتمس الاقالة واعطاه شيئا من ماله وتاب
من فعاله فرضي عنه خصمه ففي الحال سكن المه وبات تلك
الليلة على فراشه وقد تاب واقلع عما كان يصنع ونام
على توبة خالصة ففي النوم الثاني تدارك ربه برحمته ورد
يده كما كانت بقدرته فنزل الوحي على موسى عليه السلام ان يا موسى
وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضى خصمه لعذبته بهما
امتدت به حياته **حكاية** كان موسى عليه السلام يناجي
ربه في الطور فقال في مناجاته الهي اريني عدلك وانصافك

فقال الله تعالى يا موسى انت رجل حاد حرى لا تقدر ان تصبر
فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية
واختف اذا انها والظر الى قدمي وعلى ما يغيب فخض
طريقي عليه وطبعد الى تل بازاء تلك العين وقد مختفيا
فوصل الى العين فارس فنزل عن فرسه وقرب من العين
وقرب من غايتها وحل من وسطه هميانا فيه الف دينار
ووطئه الى جانبه وصلى ركعتين ثم قام ونبى الهميان
وركب وسار فجاء بعد صبي صغير فشرب من الماء
واخذ الهميان الموضوع فجاء بعد الصبي شيخ اعمى فشرب
من الماء وتوضأ، ووقف في الصلاة وذكر الفارس
الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى
قائما وقال اني نسيت هميانا فيه الف دينار في هذا
الموضع في هذه الساعة وما جاء الى هذا المكان احد
سواك فقال له انا رجل اعمى كيف ابصرت هميانك فغضب
الفارس من ذلك وجذب سيفه وضرب به الاعمى
فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه ومضى فقال
موسى عليه السلام قد نفد صبري وانت عادل فرقني كيف

هذه الاحوال فهبط جبريل عليه وقال الباري جلت قدرته
يقول انا عالم الاسرار اعلم ما لا تعلم اما الصغير الذي
اخذ الهميان فانه اخذ حقه وملكه لانه كان ابو سبعين
اجير الذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر ما في الهميان
فلان وصل الصبي الى حقه واما ذلك الشيخ الاعمى فانه قتل
ابا ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل الى
كل ذي حق حقه وعدلنا وانصافنا خفي لا يعلم الا من
اطلعناه عليه ومن الحكاية اويونا لتعلم العقلاء
وتتصور في عقولهم وان الله جل ذكره لا يخفى عليه شيء
وانه ينصف المظلوم في الدنيا ولكنا نحن غافلون
اذا جاءنا بلاء لا نعلم من اين جاء سئل ذو النون عن
اي شيء من مملكتك انت به اكثر سرورا فقال اثنتين
احدهما العدل والانصاف والثاني ان اكافئ
من احسن الي باكثر من احسانه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان في كل شيء حتى انه
يحب انسانا اذا ذبح شاة فليحد لها المدية ويريح
خلاصها من الم الذبح وقال ابن عمر ان رسول الله صلى

قال لم يخلق الله في الارض شيئا افضل من العدل والعدل
ميزان الله في ارضه من تعلق به اوصله الى الجنة وعن
ابن عمر رض قال قال رسول الله صلعم ان للمحسنين في الجنة
منازل لحق المحسن الى اهله واتباعه وقال قتادة
تفسير هذه الآية الا تطغوا في الميزان ارادوا به العدل
فقال يا ابن آدم فكر كل فيك يكفيك وعن ابن عمر رض ان
رسول الله صلعم قال ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الارض
اوحى الله اليه اربع كلمات وقال يا آدم عملك وعمل جميع
ذريتك على هذه الكلمات الاربع وهي كلمة لي وكلمة لك
وكلمة بيني وبينك وكلمة بينك وبين الناس اما الكلمة
التي هي لي فهي ان تعبدني ولا تشرك بي واما الكلمة التي
هي لك فاني اجازيك بعملك واما الكلمة التي بيني وبينك
فمنك الدعاء ومني الاجابة واما الكلمة التي بينك وبين الناس
ان تعدل فيهم وتنصف بينهم قال فقال الظلم
ثلثة اضرب ظلم لا يغفر لصاحبه وظلم لا يدوم وظلم يغفر
لصاحبه فاما الظلم الذي لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تع
قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما الظلم الذي لا يبقى فانه

ظلم العباد بعضهم لبعض واما الظلم الذي يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد نفسه
بارتكاب الذنوب ثم يرجع الى ربه ويتوب فان الله يغفر له برحمته ويدخله
الجنة بفضله ومنه الدين والملك توأمان فينبغي ان يكون الملك
دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل اخوين وولدا في بطن واحد
فيجب ان يهتم الملك بامور الدين ويؤدي الوظائف في اوقاتها ويجتنب
اللهوى والبدعة والمنكر والشبهة وكلما يرجح بنقصان الشرع
وان علم ان في ولايته من يتهم في دينه ومذهبه فليأخذ باجتثاثه
وتبديده وزجره ووعيده فان تاب واناب والا اوقع
به العقاب ونفاه عن ولايته ليطهر الولاية من اغوائه ويجتنب
ويخلو من اهل الاهوية ويعز الاسلام ويستديم عماره بالتغور
بانفاد العساكر والحماة اليها والمجتهد في اعزاز الحق وحماته
في اعادة رونق السنة النبوية والسيرة المرضية ليتحمد عند
الله تعالى بطريقته وتعظم في القلوب هيبته ويخاف سطوته
اعداؤه ويعلو اقدره ومنزلته وبهاؤه ويكبر في عيون
اضداده ويعظم عند اخلاقه ويجب ان يعلم ان صلاح الناس
في حسن سيرة الملك فينبغي للملك ان ينظر في امور رعيته
ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته

فى الافعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وان يثبت
على الفعل الجميل ويمنع من الفعل القبيح الوسل ويعاقب على
او كان العفو ولا يحابى من اخترع القبيح ليرغب الناس
فى الخيرات ويحذروا من السيئات ومتى كان السلطان
بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على لهوه
افسد سائر امور فى بلاده وقالت الحكماء ان طباع
الرعية تتبع طباع الملك لان العامة انما يتحلون ويتكلمون
الفساد فتضيق اعينهم اقتدائهم بملوكهم فانهم يتعلمون
منهم ويلزمون طباعهم الا ترى انه قد ذكر فى التاريخ ان الوليد
بن عبد الملك من بنى امية كان معروف الهمة فى العمارة
والزراعة وكان سليمان بن عبد الملك مهتما فى كثرة الاكل
والمشرب وتطييب المطعم وقضاء الاوطار وبلوغ الشهوات
وكانت همة عبد العزيز فى العبادة والزهادة قال محمد بن
على بن المفضل وقيل الفضل ما كنت اعلم ان امور الرعية
تجرى على عادة ملوكها حتى رايت الناس فى ايام الوليد
بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين
واستتموا ابناء الدور وعمارة القصور ورايتهم فى زمان
سليمان بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وتطييب الطعام

حتى كان الرجل يسأل صاحبه اى لون اصطنعت وما الذى اكلت
ورايتهم فى ايام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لتلاوة
القرآن واعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم فى كل
زمان يقتدى الرعية بالسلطان ويعلمون باعمالهم ويقتدون بافعالهم
من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادراك اللذات كما
يقال

حكاية ذكروا ان فى زمن الملك العادل
كسرى انوشروان ان اتباع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا
فمضى سريعا الى البايع واخبره بذلك فقال انما بعتك الارض
ولا اعلم ما فيها والكنز الذى وجدته فهو لك ومبارك عليك
فقال لا اريده ولا اطمع فى اموال الناس فترافعا بهذه
الدعوى الى الملك العادل كسرى فضحك انوشروان بذلك
فقال صل لكما اولاد فقال احدهما لى ابن وقال الآخر
لى بنت فقال انوشروان احب ان يكون بينكما قرابة وصلة
وان تزوجا البنت بالابن ويبقى هذا الكنز فى جهازهما
ليكون الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما امرهما وتراضيا بما
رسم لهما والآن لو كان الرجلان فى زمن سلطان جاير
لقال كل واحد منهما الكنز لى ولكنهما لما علما ان ملكهما عادل

طلب الحق وايثار الصدق وقالت الحكماء الملك كالسوق وكما
يجلب الى السوق ما يعلم انه فيه نافق غير كاسد وما يعلم انه
كاسد لا يجلب الى تلك السوق وآثار الرجحان للذان وحدا
الكبر وتر افعال السلطان على ان الزهد والعدل والصدق
يتزعزع عند ذلك السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك
حملاه اليه وعرضاه عليه اما الآن في هذا الزمان فكلما
يجري على ايدي امرائنا والسنة ولاتنا فهو جزاؤنا
واستحقاقنا فكما انا رديئو الاعمال قبيحو الافعال دوخيانة
وقلة امانة فامراؤنا ظلمة جايرون وعشيرة متعدون كما
تكونوا يولى عليكم فقد صح بهذا الحديث ان افعال الخلق
عايدة الى افعال الملوك الا يرى انه اذا وصف بعض
البلاد بالعمارة وان اهله في امان وراحة ودعة
وعبطة فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن نيته
مع رعيته وان ليس ذلك من الرعية فقد صح ما قالته
الحكماء ان الناس بملوكهم اشبه منهم بزمانهم وقد جاء في الخبر
الناس على دين ملوكهم وكان من سياسة انوشروان بحيث لو
ان رجلا القى في مكانه حملا من ذهب وبقي مهما يبقى في موضعه

لم يقدم احد على اخذ شيء من مكانه الا صاحبه وكان يوما في وزير
انوشروان فقال له يوما لا اكتمك موافقا للاشراف فتحبني ولا تبغضك
وتحقر رعيتك فتصير حينيذ ما لك الخراب وسلطان القول
ويقبح اسمك في الدنيا فكتب انوشروان الى عماله ان خبرت
انه قد بقي في مملكتي ارض خراب سوى ارض سبخة لا يقبل الزرع
صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض من شيئين احدهما
عجز السلطان والثاني جوره وكان الملوك في ذلك
الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية

حكاية ارسل ملك سندوستان رسولا الى انوشروان
وقال انا اولى بالملك منك فانفذ لي خراجك ولا تبغك فامر
انوشروان بانزال الرسول ثم جمع باليوم الثاني ارباب دولته
واعيان مملكته واذن للرسول في الدخول اليه فلما دخل اليه
ومثل بين يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم امر انوشروان
باحضار صندوق ففتحه فاخرج منه صندوقا صغيرا واخرج
منه قبضة من كسر وسلمها الى الرسول وقال هل في ولايتكم
شيء من هذا فقال نعم من هذا عندنا كثير فقال له انوشروان
ارجع وقل لملك الهند يجب عليك ان تعمر ولايتك فانها خراب

ثم تطلع بعد ذلك فى ولاية عامرة فانك لو طفت جميع
اطراف ولايتى وطلبت اصلاً واحداً من كبر لم تجده ولو سمعت
ان فى موضع من ولايتى اصلاً واحداً من كبر لصلبت عامل
تلك الولاية فيجب على السلطان ان يسلك طرايق الملوك
الذين يقتدون به فى سننهم فى الخير ويقرا، كتب مواعظهم
ووصاياهم لانهم كانوا اطول اعماراً واكثر تجارباً واعتباراً
وانهم فرقوا بين الجيد والردى وعرفوا الجلى من الخفى وكان انوشروان
مع حسن سيرته يقرا، كتب المتقدمين ويطلب استماع
حكاياتهم ويمضى على منهاجهم وسننهم ويقول هذا الزمان اجدر
ان يفعلوا افلك **حكاية** سأل انوشروان عادل يوماً بوزرجمهر
يونان وقال اريد ان تخبرنى بسيرة الملوك المتقدمين فقال الوزير
يونان تريد ان امدحهم بثلثة اشياء ام بشيئين ام بشئ واحد
فقال امدحهم بثلثة اشياء، فقال يونان ما وجدت لهم فى شغل
من الاشغال ولا فى عمل من الاعمال قط كذباً ولا رأيت
لهم بشئ جهلاً ولا رأيت لهم فى حال من الاحوال غضباً فقال
امدحهم بالشيئين فقال كانوا دايماً يسارعون فى اعمال الخير
وكانوا ابداً يحذرون من اعمال الشر فقال امدحهم بشئ واحد

فقال يونان كانت سلطنتهم وجرأتهم على انفسهم اكثر مما كانت
على غيرهم فطلب انوشروان الكاس وقال هذا الكاس سرورنا
بالكرام الذين ياتون بعدنا ونملكون تاجنا وتختنا ويذكرونا
كما نذكر من تقدمنا واشقى الناس من اغتر بملكه وعمر الدنيا
وسو لا يدرى كيف ينبغى ان يعيش فيها فيتعبر دنياه بالتعب وتحصيل
فى الاخرة بالندم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصد
اولئك الملوك واجتهادهم فى عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم
طيب الذكر مدى الايام والدهر كما جاء فى الحكاية **حكاية** كان
لانوشروان كرم يوقف بهذا كام فاجتمع فيه يوماً قيصر الروم
وفغفور الصين وملك سندوستان وضيافه انوشروان فتكلم
كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شئ فى هذه الدنيا
اجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر
بصاحبه دايماً فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله فقال انوشروان
تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر فى الخير فقال قيصر اذا تفكرت
فى الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال فغفور
الصين الله تعالى يبعد عنا فكره ان ظهرت استحيينا وان ذكرناها
خجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان اى شئ احب

يعفور ام

اليك فقال احب الاشياء الي ان اقضي حاجة من رأى
لقضاء حاجة اما لا فقال قبحك اما احب ان لا اذنب
حتى لا اخاف مملوك يكون مذ اكلامهم انظر كيف كانت
سيرتهم مع رعيتهم بالسلطان الاسلام يحب ان تسمع اقوال مولاه
الملوك وتنظر اعمالهم وتقرا احكامهم من الكتب وما شرط
فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم
الجاري على السنة الخلق الى يوم القيامة كان امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رض من العدل والسياسة الى حد اقام فيه الحد
والعقاب على ولده حتى مات وكان اذا انفذ عماله الى
اعمال قال لهم اشترطوا عليكم واسلحتكم من ارزاقكم ولا تمدوا
ايديكم لا بيت المال للمسلمين ولا تغلقوا ابوابكم دون ارباب
الحوائج قال عبد الرحمن بن عوف دعاني عمر بن الخطاب ذات
ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة واخاف عليهم اذا
ناموا ان يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا
قال لي نم انت نم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته
وقال عمر رض يجب علي ان اسافر لاقضي حوائج الناس من المسلمين
في اقطار الارض لان بها ضعفاء لا يقدرون على قضاء

حوائجهم لبعد المكان فينبغي ان اطوف لاشاهد احوال العمال
واستبر سيرتهم واقضي حاجات الناس فلا يكون في سيئ عمري
ابرك من مدة السنة حكاية قال زيد بن اسلم رأيت ذات
ليلة عمر بن الخطاب رض يطوف مع العسس فتبعته وقلت له
اتأذن لي ان اصحبك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا
من بعد فقلنا ربما يكون قد نزل هناك مسافر فقصدنا النار
فرأينا امرأة ارملة ومعها ثلثة نفر اطفال صغار ومعها قدر يغلي
وقد وضعت لهم قدرا على النار وهي تقول الهي انصفني من عمر
وخذ لي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر ذلك تقدم
وسلم عليها وقال اتأذنين لي ان ادنو اليك فقالت المرأة
ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم عمر وسألها عن حالها وحال اطفالها
فقالت وصلت يا مولاي الاطفال معي من مكان بعيد وانا جائعة
والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع وقد منعهم عن
الجوع وقال عمر واي شيء في هذه القدر فقالت ترك فيها ماء
اشاغلهم به ليظنوا انه طعام فيصبروا قال زيد فعاد امير المؤمنين
وقصد دكان بياع الدقيق فابتاع منه مملأ جراب ومضى الى
دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على كاهله وحمله

يطلب به المراة والاطفال فقلت يا امير المؤمنين يا ولينه
عنك فقال اذ جلست عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن يحول بيني وبين
دعاء تلك الجارية علي وجعل يسح ويبكي الى ان وصلنا الى المراة
فقالت المراة جزاك الله عني خير الجزاء فاخذ الحمر جراب الدقيق
وشيأ من الدسم ووضعه في القدر وجعل يوقد النار فكلما اراد
ان تحمد نفخها وكان الرماد يسقط على وجهه ولحيته حتى انطبخت
القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال للاطفال كلوا فاكلت
المراة والاطفال فقال عمر ايتها المراة لا تدعين على عمر فانه
لم يكن عندنا منك ومن اطفالك خبز واول من دعي بامير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضه لان ابا بكر رضه دعوه بخليفة رسول الله
فلما وصل الامر الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول
الله فكان يطول ذلك فقال يا ايها المؤمنون سموني اميرا فاني
اميركم وان دعوتموني امير المؤمنين فانه ذلك ابن الخطاب

حكاية سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت
المال فقال كان في اول الامر اذا لم يكن له شيء تقوت به انفق
قليلا برسم القوت فاذا حصل له شيء اعاده الى بيت المال وخطب
يوما فقال يا ايها الناس قد كان الوحي ينزل علينا في عهد رسول الله

فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجديد سمتهم وزيهم والآن فقد انقطع
الوحي عنا فنحن ننظر من كل احد الا علانيته والله اعلم بسريرته وانا على
الجهد وعلى ان لا نأخذ شيأ بغير حق فان شئت ان تعلم ان عدل
السلطان ولقيته سبب لجميل ذكره ونيل فخره فانظر في اخبار
عمر بن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بني امية سواه ولا يغتر الا
عليه لانه كان عادلا تقيا كريما حسن السيرة نقي السريرة

حكاية كان في عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه
وفد من العرب واختاروا رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل
يا امير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد بيست
جلودنا على اجسادنا لفقد الطعام واختفانا في بيت المال
وهذا المال لا يخلو من ثلثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله
او لك فان كان لله فان الله غني عنه وان كان لعباد الله فانتم
ايأه وان كان لك فتصدق به علينا ان الله يجزي المتصدقين
فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع وقال صوكما كرمي
وامر ان تقضى حوائجهم من بيت المال فهم الاعرابي بالخروج
فقال له عمر ايتها الانسان كما اوصلت حوائج عباد الله الي سمعتني
كلامهم فاوصل كلامي وارفع حاجتي الي الله فخول الاعرابي وجهه قبل

السماء، وقال الهي بعزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز
كصنيعه في عبادك فاستتم دعاوه حتى ارتفع عليهم فامطر
مطرا غزيرا اجاء في المطر برودة كثيرة فوقعت على اجرة فانكسرت
فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر
بن عبد العزيز من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان
ينظر ليلة في قصص الرعية وورد زناجم تهم في ضوء السراج فجاء غلام
له فجذوة في معنى سبب يتعلق ببيته فقال له عمر لطفئ السراج
ثم حدثني لان هذا الدهن من بيت المال ولا يجوز استعمالي الا في
اشغال المسلمين هكذا يكون حذر السلطان وتوقيه لو اكان
غاد لا كما جاء في الحكاية حكاية كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان
خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلث بنات فجيئه يوم عرفة
وقلن له غدا يوم العيد ونساء الرعية وبناتهم يلبسنا ويتقين
ابتن بنات امير المومنين ونراكن عرايا اقل من ثياب
بياض تلبسنا ويكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن
وقال اعطني مشاهرتي لشهر واحد فقال الخازن يا امير المومنين
تاخذ المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر
شهر فخذ مشاهرة شهر فتحير عمر فقال نعم ما قلت يا غلام بارك الله عليك

ثم قال لبناته اكظمن شهواتكن فان ناكحة لا يرضاها احد بغير مهر
لم كان الامر كذلك كان حواشيهم وحشمهم على قاعدتهم والعدل التام
سوان تساوي بين المجهول الذي لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه
المعروف في مقام واحد في الدعاوي وتنظر اليهما بعين واحدة
ولا تفضل احدهما على الاخر لاجل ان احدهما غني والاخر فقير
فان الجور والحيف في الاخرة بسر واحد ولا يحرق عاقل نفسه
بالنار لحشمة الاغيار ولو اكان لرجل ضعيف على سلطان من
السلاطين دعوى فينبغي ان يقوم من صدر مملكته ويعلم لوجه الله
تعالى وينصف ذلك الضعيف ويرضيه ولا يحيف ولا يسخط من
الحق ويعمل بقوى الله تعالى ويقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل
والاحسان وحقيقة ذلك ان كان للملك على احد حق ان يسامحه
ويمن به عليه ويامر عماله الثقات ان يقتدوا باعماله ويعملوا
ليلا يسال عن رعيته يوم القيامة فقد جاء عن النبي صلعم انه قال
كل راع يسال عن غنمه وكل سلطان يسال عن رعيته والحال على
هذه الصفة ليعلم ذلك حكاية يقال ان اسمعيل بن احمد
امير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في كل منزل ينزله ان يامر
المنادي ينادي في العسكر ان الجند ما لهم مع الرعية شغل فيضع
رجل من الخربندية من جملة اصحابه فدخل بستانه وتناول من

البطيخ قدرًا يسيرًا فجاء والى باب الملك واستغاثوا فامر الامير
باحضاره فاحضر بين يديه فقال لرلك علينا اجرة ام لا قال
نعم قال فما سمعت المنادى فقال قد سمعته قال فلاى سبب
رعيتى فقال اخطات قال انا لا اقدر لاجل خطاياك على دخول
النار وامر به فقطعت بين حكاية ويحكى ان اسماعيل
السامانى فى كتاب سير الملوك انه كان ينزل بحوى مولتان
وكان كل وقت يصل الى مدينة كندر يامر المنادى وقت العصر
ينادى فى الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويزيح
البواب لحق كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط
ويخاطبه ويعود مقتضى الحاجة وكان يقضى بين الخصوم مثل
الحكام الى ان تنفى الدعاوى ثم يقوم من موضعه ويقبض على
محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو السماء ويقول الهى سيدى
وطاقتى قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم منى نيتى ولا اعلم
على اى عبد من عبيدك حفت او لاى عبد ظلمت وما انصفت
انا او احد من اصحابى فاغفر لى يا الهى من ذلك ما لا اعلم
فلى كان نقى النية جميل الطوية لاجرم على امره وارتفع قدره
وكان عسكره الف فارس معتدين بالسلاح مقنعين
بالحديد وببركة ذلك العدل والانصاف لطفه الله تعالى

بن ليث وقبضه وفتح خراسان ثم ان عمرو بن ليث انفذ اليه
السجن وقال له بخراسان اموال كثيرة وكنوز موفورة
واما اسلم الجيء اليك فاطلقنى من السجن فلما سمع اسمعيل
ذلك ضحك وقال له الان لم يستقم معى عمرو بن ليث يريد
ان يحمل المظالم التى احتقبها والمآثم التى ارتكبها فى عنقى
ويخلص من ثقل اوزارها فى الآخرة قولوا له ما لى فى مالك
حاجة واخرجه من السجن وانفذه رسولا الى بغداد اذ كان
من امير المؤمنين الخلع والتشريف وجلس اسمعيل فى مملكة
خراسان امن البال حسن الحال وبقيت المملكة فى عقبه
السامانية مائة وثلثين سنة فلما انتقل الامر الى اصاغرهم
وصبيانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق فزال ملكهم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عدل السلطان يومًا واحدًا خيرٌ من عبادة
سبعين سنة وقال عليه نصفه المظلوم زكاة العقل
وقال عليه من سل سيف الجور سُل عليه سيف الغلبة ولازمه
الغم كما قال الشاعر • تقطب منك طلق الوجه يومًا
ترى بالعدل عن جور جزاءً • فقل للناس ما تهوى استماعا
ولا تقتل ان اخرت البقاء • جاء فى الخبر ان داود عليه السلام

كان ينظر يوما الى السماء فرأى شيأ مثل الخالة تنزل من الهواء
فقال الهي ما هذا فاوحى الله اليه ان يا داود صنع لعنبة انزلها
على بيوت الجبارين **حكاية** لما قعد انوشروان في المملكة الملك
كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم ايها الامير ان امور الملك
على ثلثة اشياء اما ان يضعف رعيته ولا ينتصف منهم فذلك
فضل ومنه الدرجة العليا او ينصف وينتصف فذلك عدل
ومي الدرجة الوسطى او ينتصف ولا ينصف ومنه درجة الجور
السفلى فانظر ايها الملك لاي منزلة من الثلثة واخراها انت
وانا اعلم ان الملك لا يختار الا الاولى **وقال انوشروان**
من انصف الناس ولم ينتصف بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثل ما انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافهم وكولا ينصفهم فهو الدني الحقير
نصيحة وعظة دخل سبن سنه يوما على المهدي فقال له
يا امير المومنين ان الله قد اعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا
من طيب عيشتك فقال المهدي وما الذي ينبغي ان يعطى للرعية
فقال العدل فانه اذا نامت الرعية في امن منك نمت امنا
في قبرك وقال احذر يا امير المومنين من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم

لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلا
وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فان في الخير لما يعبر به
احر زينة كقول الشاعر فحل نفسك بالحسنى اوزينها
فلن يعار تقى في الخير من رجل وليس تبلى يد المعروف فاحظ به
نزح كثير اورد ان المال لم يزل وصل كتاب من قيصر الروم
الى انوشروان يقول بماذا يكون دوام المملكة فكتب اليه
جواب كتابك اني لا ادرس شيأ بجهالة واذا امرت بامر تمهلت
ولا اترك لشيء ولا لخوف ولا لرجا، يريد اني اذا امرت شيأ
لا ابطله لاجل من رجاني او من خافني واني لا اغير شيأ
امرت به **سئل** ارسطاطاليس هل يجوز ان يدعا احد
ملكا الا الله تعالى فقال من وجدت فيه ستة الخصال وان
كانت عارية العلم والعدل والسخاء والحلم والرافة
وما ناسبها لان الملوك انما كانوا ملوكا بانظل الالهي
وضياء الحس وطهارة النفس وتزايد العقل والعلم وقدم
الدولة وشرف الاصل والدولة التي كانت في مجدهم واصولهم
فبذلك كانوا ملوكا وسلاطين ومعنى قولهم فرايزدي وهو
انظل الالهي وضياء الحسن يظهر في ستة عشر شيأ العقل والعلم

وحدة الذكاء، وادراك الاشياء، والصورة التامة والالهية والفروسية
والشجاعة والاقدام والثاني حسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة
الرعية واظهار الرعاية والاحتمال والمداراة في مكانهما والرأي
والتدبير في الامور والاكمل من قرأت الاخبار وحفظ سير الملوك
والفحص عن الاحوال والاعمال التي اعتمدها الملوك وعملوا بها لان
الدنيا بقيت دول المتقدمين الذين تملكوا ثم مضوا وانقرضوا
وصاروا اتذكارا للناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز
وللآخرة كنز وكنز من الدنيا حسن الثناء وطيب الذكر وكنز
الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر **حكاية** سأل الاسكندر
ارسطاطاليس ايهما افضل للملوك الشجاعة ام العدل فقال
ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة **حكمة**
كان للاسكندر بعض الايام قد ركب في جماعة اهل موكبه فقال
له رجل من مقدمي عسكره ان الله قد اعطاك ملكا عظيما فاستكثر
من النساء ليكثر اولادك فتذكر بهم بعدك فقال الاسكندر ليس
ذكر الرجال بعددهم بكثرة الاولاد لكن بحسن السيرة وعدل السنة
ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز ان تغلبه النساء **حكاية** عزل
الاسكندر عاملا من عماله عن عمل كبير خطير وولاه امر عمل حسين حقير

فاتى ذلك الرجل بعض الايام الى الدركاه فقال له الاسكندر
كيف تجد عملك فقال اطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف
بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال فوفقك بحسن السيرة والعفاف
والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر
مقاله فاعاده اليه اعمالا له **حكمة** قال سقراط العالم محرك من
العدل فاذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر **حكمة** وسئل بزرجمهر
فقيل له باي شئ يظهر عز الملك فقال بثلثة اشياء حفظ الالحاف
مع دفع العدو عن الحوزة واكرام العلماء واعزازهم وحب اهل
الفضل لانه كلما حاز السلطان خاف اهل الاطراف وان كان
نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ واذا كانت النعم قليلة
ساغت مع الامن كما جاء **حكاية** يقال انه انقطع
رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع في الرمل فجعل يسير
ليالي ان وصل الى خيمة فراى في الخيمة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا
نابيا فسلم الحاجي على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز
امض الى ذلك الولي واصطد من الحيات بقدر كفايتك حتى
اشوي لك منها واطعمك فقال الرجل انا لا اجسر اصطاد الحيات
فقالت العجوز انا اتصيد معك فلا تخف فمضت واياه وتبعهما

امرأة

العجوز

الكلب واحد وامن الحيات بقدر حاجتهم فاتت العجوز وجعلت تتوسى
الحيات ولم ير الحاجي بدا من الاكل لخوف ان يموت من الجوع والعزل
فاكل ثم انه عطش فطلب منها ماء فقالت دونك والعين فاشرب
فمضى الى العين فوجد ماء مرا منتنا ولم يجد من شربه بدا فشرب
وعاد الى العجوز وقال لها عجب منك اينها العجوز ومن مقامك في هذا
المكان واعتدائك بهذا الطعام فقالت العجوز كيف تكون بلادكم
فقال تكون في بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة
والمياه العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة
والعيون الغزيرة فقالت العجوز قد سمعت منذ اكلة فقل لي هل
تكون تحت يد سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب اخذ اموالكم ويتناول
اخوالكم واخرجكم من بيوتكم واملاككم فقال قد يكون ذلك فقالت
اذن يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلو ارش
مع الجور والظلم سما ناقعا وتعوه الطعام مع الامن مرارا قاتلا فعجبا
اما سمعت ان اجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن والاحسن
يكون من سياسة عدل السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة
وان يكون مع السياسة لان السلطان خليفة الله فيجب ان يكون سياسته
بحيث اذا رأته الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان

ليس كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة والسفهاء
واهل القساوة والشحناء، واذا كان السلطان والعياذ بالله
بينهم ضعيفا او كان غير ذي سياسة فلا شك ان ذلك يكون
سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا
وفي الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور بعض الرعية
على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليها
سلطانا جايرا وملكا قاهرا كما جاء في الحكاية حكاية اعطى
الحجاج بن يوسف بعض الايام قصة فيها كوت "اتق الله ولا تخف
على الناس كل هذا الجور فرقا الحجاج المنبر وكان فصيحا فقال
ايها الناس ان الله تعالى سلطني عليكم باعمالكم فان امنت
ولا تخلصون انتم من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان لله تعالى
امثالي كثيرا واذا لم اكن فيهم انا كان من هو اكثر شرا مني شعر
ومامن يد الا يد الله فوقها • ومامن ظالم الا سيبلى بظالم
سئل بزرجمهر اي الملوك اطهر فقال من امنه الظالمون
وخاف منه الخاطئون واما السلطان الذي لا سياسة له
فليس له في اعين الناس خطر ويكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه
كل وقت بالقبيح الا يرى ان الانسان اذا كان من عوام

الولاية وتولى عليها وارادان يطيب الحساب من الرعية
اول ما تكلمهم بالبسة ويظهر جاهه بالباسه اولا العلم
ان الرعية ينظرون بالعين الاذلة وفي هذا الباب حكاية
عجيبة حكاية كان لابان سفيان بن حرب ولد يدعى زيادا بن ابيه لانه كان قد ولد له في ايام الجاهلية
ثم بعاه وتبراء منه ابو سفيان وقال طويل بولد فلما وصل
الامر الى معاوية قربه اليه ولقاه واولاه ولاية العراق
فلما وصل زيادا الى عمل العراق وجد اهل العراق قوما عاتين
يفسدون ويسرقون فقصد زياد الجامع ورقى المنبر وخطب
خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج احد بعد العشاء
الاخرة من منزله لاخذن رأسه فليعلم الشاهد الغايب ثم
امر منادا ينادي بذلك ثلثة ايام فلما اقبلت الليلة
الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل ثلثة فركب وجعل يطوف
محال البلد فرأى رجلا اعرابيا ومعه غنم له وسوقايم فسأله
زياد ما تصنع ها هنا فقال الاعرابي اتيت مساء ولم اجد
موضعا استقر فيه فرأيت مكانا خاليا ان اصبح وابيع غنمي فقال
له زياد انا اعلم انك صادق وان اطلقتك خفت ان يذيع

الخبر عني ان زيادا يقول ولا يفعل فتفسد سياستي وتنكسر هيبتي
والله خير لك من متبنا وضرب عنقه ثم جعل يسير فكل من لقيه
ضرب عنقه فخر راسه فلما ايقن من الغد كان قد اخذ الناس الف
وخمسمايه رجل ثم جعلها على باب داره مثل البيدر فتهولة
الناس وخرجوا الى داره من بعله فلما كان الليل خرج وطاف
فلقي ثلثمايه رجل فاخذ رؤسهم فلم يقدم احد بعد فلك ان يخرج
من منزله بعد العشاء الاخرة فلما كان يوم الجمعة قال لهم
وقال لا يغلقن احد منكم بالليل باب داره ومحله كان
منكم كانت غرامته علي فلم يجسر احد ان يغلق في تلك الليلة
باب دكانه فلما كان من الغد اتاه رجل صيرفي وقال قد سرق
مني البارحة اربعمايه دينار فقال له زياد تقدر ان تحلف
على صحة قولك قال نعم فحلفه وغرم له اربعمايه دينار وقال
له اكتم هذا ولا تشعرن به احدا فلما كانت الجمعة الثانية
واجتمع الناس للصلوة صعد زياد المنبر وقال اعلموا انه قد
سرق من دكان فلان الصيرفي اربعمايه دينار عينا وانتم كلكم
حاضرون فان رددتم فلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم تفعلوا
ذلك فقد تقدمت الي لما يمكن احد منكم ان يخرج من الجامع وآمر
بقتلكم في هذه الساعة ففي الحال لزموا من كانوا يتهمونه بسرقة

وقد موصين لديه فرد الذهب الذى سرقه فامر بصلبه فى الحال ثم
انه سأل بعد ذلك اى محلة بالبصرة ليس فيها امن فقيل محلة بنى
الازد فامر ان يترك فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة
بحيث لا يراه احد فبقى اياما ملقا بحاله ولم يكن لاحد قرارة
ان يقربه ويقلعه من مكانه فقال له اقاربه بعد ذلك ان السياسة
خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين اولا واهلكت خلقا
عظيما فقال قد اخذت الحجة عليهم قبل ذلك ثلثة ايام ومن
شئوم اعمالهم لم ينتهوا والذى اصابهم كان من شئوم خلافهم

فصل ولا ينبغى للسلطان ان يشتغل ايما بلعب الشطرنج
والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد لان هذه تمنعه وتشغله
عن الاعمال ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الى خرابها
والسرور اخرانا فان الملوك القدماء قسموا النهار اربعة اقسام
منها قسم لعبادة الله تعالى وطاعته وقسم للنظر فى امور السلطنة وانصاف
المظلومين مع العلماء والعقلاء كثير التدبير الامور وسياسة
الجمهور وتنفيذ الاحكام والمراسم والاوامر وكتابة الكتب
وارسال الرسل وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا
واخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان
وما اشبه ذلك ويقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله

نصفين فى النصف الاول يقضى اشغال الناس وفى الثانى
كان يطلب الراحة ويقال انه فى جميع ايامه ما استغل يوما
تاما بعمل واحد وكان انوشروان العادل يامر اصحابه ان يصعدوا
الى اعلا مكان فى البلد لينظروا الى بيوت الناس وكل بيت لا يرى
منه دخان نزلوا وسألوا عن احوال اولئك القوم ومنا
خطبهم فان كانوا فى عز اعلموا انوشروان فكان يحمل عنهم ويزيل
مؤنهم ويجب على السلطان ان لا يرضى لغلمانه ان ياخذوا شيئا
من الرعية بغير حق كما جاء فى الحكاية **حكاية** يقال انه
كان قد ولى انوشروان العادل عاملا فانفذ العامل اليه
زيادة عن الخراج ثلثة الف الف درهم فامر انوشروان
اعادة الزيادة على اصحابها وامر بصلب العامل وكل
سلطان اخذ من رعيته شيئا بالجور او الغصب وخزنه
فى خزانته كان مثله كمثل رجل عمل اساس حائط ولم يصبر عليه
حتى يجف فوضع عليه البنيان وهو رطب فلم يبق الاساس
ولا الحائط وينبغى للسلطان ان يهتم بامور الدنيا كما يهتم
بامور بيته ليتمتع الدنيا وينبغى للسلطان ان ياخذ ما ياخذ
من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل احد

بدين الامر ان حرا او قدروا كاحدا في الحكاية حكاية فقال له
المامون ولي يوما اربعة نفر اربع ولايات فاعطى احدهم
منشورا بخراسان واعطاه خلعة بثلثة الف دينار واعطى
الاخر منشورا بولاية خوزستان واعطاه خلعة بثلثة الف دينار
وولى الثالث ولاية مصر وخلع خلعة بثلثة الف دينار وولى
الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلثة الف دينار ثم استدعا
موبد موبدان وقال له يا دمقان مال اعطى ملوك العجم في ايام
ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعتهم ما كانت تبلغ
اكثر من اربعة الف درهم فقال الموبد اطال الله بقاء الامير
المؤمنين كان لملوك العجم ثلثة اشياء ليست لكم احدها انهم
كانوا ياخذون ما ياخذونه من الناس بقدر ويعطونه بقدر
الثاني انهم كانوا ياخذون من موضع يجوز منه الاخذ
ويعطون لمن ينبغي ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا
المذنب فقال له المامون صدقت ولم يعد عليه جوابا ولا سال
سر افتح المامون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه
ونظر اليه سخة وجهه وصبي بها ما بليت والثياب عليه بحالتها
ما تمزقت ولا حلقت والخاتم في اصبعه فصه من ياقوت

احمر كبير الثمن ما راى المامون قبله فقصا خلعه وكان على فصه
مكتوب به به به به به معنى فلك الاجود اكبر ليس الاكبر وجود
فامر المامون ان يقطع ثوب نسيج بالذهب وكان مع
المامون خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المامون
فلما علم به امر بهلاكه واعاد الخاتم الى اصبع كسرى انوشروان
وقال كاد يفضحني بحيث كان يقال عني الى يوم القيامة ليت
المامون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من
اصبعه حكاية سال الاسكندر يوما جماعة من حكمائه
وكان قد عزم على سفر فقال اوصوا الي سبيلا من الحكمة
احكم فيه اعمالي واتقن به اشغالي فقال كبير الحكماء ايها الملك
لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضه لان القلب خلق صيقلا كما تسم
وانما سمي قلبا لتقلبه ولكن اعمل الفكر واتخذه وزيرا ورقيبا
العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون في ذلك مستيقظا
ولا تسرع في امر بغير مشورة وتجنب الميل والمحابات في وقت
العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الاشياء على
ايثارك وتصرفت باختيارك وينبغي ان يكون الملك حليما
وقورا وان لا يكون طايشا عجولا قالت الحكماء ثلثة اشياء قبيحة

وسئل فيثاغورث الحكمة في الملوك والحرص في العلماء والبخل
في الاغنياء حكمة كتب الوزير بوذان الى الملك العادل
كسرى وصايا ومواعظ فقال فيها يتبغي يا ملك الدنيا
ان يكون معك اربعة اشياء دائما العدل والعقل
والصبر والحياء وينبغي ان ينفي عنك اربعة اشياء
الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة
وقال اعلم يا ملك الدنيا ان الذين كانوا قبلك من الملوك
مضوا والذين يأتون بعدك لم يصلوا فاجتهد ان يكون جميع
ملوك الزمان ورعاياهم محبتك ومشتاقين اليك حكاية
يقال ان كسرى انوشروان ركب في بعض اتاي الربيع
على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة ويشاهد تلك
المثمرة وينظر الى الكروم العامرة فنزل عن فرسه شكرا لربه
وخر ساجدا واضعا خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع
راسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل الملوك
والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة
لله الذي قد اظهر حسن نيته لنا في سائر الاشياء وانما قال ذلك
لانه جربه في بعض الاوقات حكاية يقال ان انوشروان

العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره خلف الصيد
فراى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة
واتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية
بصرة وعادت الى البيت فدقت قصبة واخذت من قصب
السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته في قدح
وسلمت القدح الى انوشروان فراى فيه ترابا وقذى فسرب
منه قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شاد بماش
نعم الماء كان لولا حلك القذى الذي كدره فقالت الصبية
يا سر منك انا عمدا القيت فيه القذى فقال انوشروان
ولم فعلت ذلك قالت رايتك شديد العطش فلو لم اكن
في الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك
شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها
قالت ذلك عن ذكاء وفطنة فقال من كم قصبة عصرت ذلك
الماء فقالت من قصبة فتعجب وطلب جرين خراج تلك الناحية
فراى خراجها قليلا ففكر في نفسه وقال قرية يكون في قصبة
واحدة منها من السكر كذلك ويكون هذا الخراج خراجها فبعد
في نفسه انه اذا عاد امر بان يزاد عليهم الخراج ثم انه عاد

الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك البيت منفردا
وطلب ماء فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته وعرفته
وعادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستبطأها انوشروان
وقال لاي سبب ابطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج
من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد وقعت اليوم ثلاث
قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة
فقال انوشروان ما سبب هذا العجز فقالت بسبب تغير
نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان
على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك انوشروان ازال
ما كان في نفسه مما قد اضمره لهم وتزوج بتلك الصبية حالا لتعجبه
من ذكائها حكمة يقال ان الصادقين من الناس ثلثة
الانبياء عليهم السلام والملوك في كرم جنس والمجانين وقيل
ان السكر جنون وان المجنون يخاف من السكر لان المجنون
سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في سكر
الغفلة دائما قال الشاعر من اسكرته الخمر في سرعة
فما عليه ان صحا من خجل ومن يكن بالملك ذا سكرة
يصح اذا ما الملك عنه انتقل والمقتل جرا ان كان من سكر

سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة امينا وكان يضع
معينا وعلامة شكر السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج معوز
ثم يستدنيه ويتمسك به الى ان يزول حاجته وينقضي فاقته ثم
بعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربي طفلا صغيرا الى ان
يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال والقضاء الاشغال ثم يقتله
ويستاصله وقيل اربعة اشياء على الملوك من الفرائض وفي ابعاد
الادنيا عن مجالسهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ ارآء
المشايخ واولى بالحنكة والتجربة والزيادة في امر الملك بالاقلال
من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن
البصري ان اعني باصحابك فكتب الحسن اليه اما طالب الدنيا
فلا يصلح لك واما طالب الاخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز
للسلطان ان يسلم وزارته ولا عمله من اعماله الى من لا يعين ذلك
بامل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد افسد ملكه واهمل
امره وخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر
البيت اما حان منه خرابه ظهر التخلل من اساس الحايط
واذا تولى الملك عن اربابه ول الامور لكل قدم ساقط
ينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر حتى يصلح لخدمتهم

واحب الملوك ما ليس من الوفى الغر ملبس فاذا دخل اذا ما دخلت اعمى
واصم اذا ما رحت ما لون ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه
ولو كان ولده فليس لانبساط عليهم رفع منهم وجه كقول الشاعر
لو انك لك السلطان نحل قداره • وخف منه ان احببت اسكن سالما
ومثل لمن يبسط على السلطان كمثل الحوات الذى يكون فى فم
الحيات ياكل منها ويقعد منها ويقوم منها او كرجل فى البحر بين
التماسيح التى تبلع الآدميين فلا ينال بروحه فخاطر حكمة
قيل ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا
قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون احدا الا
من كانوا محتاجين اليه لعلمه او لشجاعته اذا اخذوا حاجتهم
منه لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفا، ولا حيا، واكثر
اشغالهم ريا، ويستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار
ذنوب غيرهم قال سفين الثورى لا تصحب السلطان واياك وخدمته
لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك واعطبك
ولا ينبغى لاحد ان يدخل الملوك اذا لم يكن لهم جواز كما جا، فى الحكاية
حكاية يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده
فى وقت لم يكن لاحد اذن فى الدخول فقال شهريار لبهرام امض

واضرب الحاجب الغلمان ثلثين خشبة واطرده عن الدركاه واقم غير
فلانا الحر وكان عمر مزوجره ثلثة عشر حينئذ فعلم ذلك الحاجب
لم ابعد الحاجب الاول عن الباب فعاد بعض الايام يريد جرد ويزدجرد
ان يدخل على والده فجعل الحاجب يده على صدره ورده على عقبه
وقال له ان عدت رايتك بعد ما مهنا ضربتك ستين سوطا
ثلثين لاجل الحاجب المعزول وثلثين ليلا تقوه تدخل على الملك
فى غير وقت الاذن وان كنت ولده ليلا تجلب لى الضرب والهوان
واصل الاشيا، للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه
لان كثيرا من الارواح تعلق بروحه وصلاح الرعية فى صيانة وكذلك
ينبغى ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على جميع الخلق ولا يجور للسلطان
وقيل للملك ان يجازف فى الاشغال ولا يتساهل فى الاعمال
ويجب ان ينتبه كل ليلة على فراشه غيره ويحول بنفسه الى غير فلك
المكان حتى ان قصد عدو له اتلاف نفسه وجد غيره فى مكانه
ولا تصل يد عدو اليه كما جا، فى الحكاية حكاية يقال انه انهزم
خسرو پرويز من بهرام چوبين وقال مرت وان كان الهرب
عيبا لا يخلص بهرزى ارواح جماعة من اصحابى لان ان هلكت هلك
بسببى الوف من الخلايق والمقصود من هذا المقال ان زماننا

غير موافق بل ان الناس فيه بين قبيح الفعل ومعاقب والمشغول
بالدنيا محبة المال لا يجوز الاهمال والتغافل عن امر الناس السوء
في امثال هذا يجب العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الاشارة
وهذا المثل يضرب فيمن له اصل وفيمن لا اصل له وقد كان للناس
وقت وزمان يومن فيه رجل واحد جميع اهل الدنيا ويسخرهم بدرة
كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافضل
في ذلك الوقت كان للزمان وللرعية واليوم لو عوملت هذه
الرعية بتلك المعاملة لم يحتملوا وليد امنهم الفساد لكن ينبغي
ان يكون السلطان سلطان هذا الوقت له اتم سياسة
ومهابة ليشغل كل انسان بشغله ويامن الناس بعضهم من
بعض ونحن الآن نوصي حزافي هذا الباب يستفيد فيه القائل
والسامع خبر سئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه فقيل له لاي سبب لا تنفع الموعظة هاؤلا، الناس فقال
الخبر المعروف ان رسول الله صلعم لما اوصى عند وفاته اشار بثلث
اصابعه وقال بطرف لسانه لا تسالوني عن ذلك فقالت الصحابة
ان ذلك اشارة الى ثلثة اشهر وقال قوم ثلث سنين وقال قوم
ثلثين سنة وقال قوم ثلثمايه سنة يعني اذا عبر ثلثمايه سنة فلا تسالوني

عن حال تلك الرجال فاذا قال النبي صلعم لا تسالوني عن اولئك
فكيف ينفع الوعظ فيهم وسئل عن مثل هذا السوال فقال
كان الناس في ذلك الزمان نياما وان العلماء اليقاظ واليوم
العلماء نيام والخلق موتى فاي ينفع لكلام النائم عند الموتى اما
زماننا هذا فهو الزمان الذي قد سلك فيه الخلايق جميعهم وقد
جئت اعمال الناس ونياتهم واذا لم يكن بينهم سيكة السلطان
ولا سيبة لم ينبتوا على الطاعة والصلاح قال النبي صلى الله عليه وسلم
العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه
يكون خير الرعية وامنهم وعافيتهم وكل الاعمال ترجع الى العدل
قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ان يعني به العدل
وقال في موضع آخر الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان واحق
الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا للعدل وبيته مقرا
لذوي الدين والعقل وزاية خزانة ارباب العلم والفضل
وصحبته مع العقلا، ومشورته مع اولي الابصار كما قال الشاعر
يده خزانة جوده والقلب خازن فضله قد زينت ابوابه ابدا بطالب علمه
قال الحسن البصري كل ملك عظم امر الدين كان عند رعيته عظيم الامر
ومن عرف الله تعالى تعرف الخلق به واختاروا ان يكونوا معارف

كما قال الشاعر من عرف الله تعالى اسمه • اقر بكل الخلق
عرفانه • طوبى لمن اول من حارته • معرفة الخالق سبحانه
قال بزرجمهر لا ينبغي للملك ان يكون في حفظ مملكته اقل من
البستاني في حفظ بستانه فانه اذا ازرع الريحان ونبت
بينه الحشيش استعجل في قلع الحشيش ليلا يضبط اماكن
الريحان حكمة وقال افلاطون علامة السلطان المظفر
على اعدائه ان يكون قويا في نفسه لازما للصمت مفكرا في رايه
وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا في مملكه شريفا بنفسه حلوا في قلوب
رعيته رقيقا في سائر اعماله محبا بالعدل من بقدمه خيرا باعمال
من سواقدم منه صلاحا في دينه وكل ملك تجمعت فيه من الخلال
وحصلت له من الخصال كان في عين عدوه مهيبا لا يجد
فيه معيبا ولقد كان الملك يرى ان حوله وقوته بالله جلت قدرته ولين
كان عدوه قويا فانه يظفر به ويقهر عليه مثاله قوله تعالى كم من فيئة
قليلة غلبت فيئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين حكمة وقال
سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل
جنبتين في قلبه ليكون في قلوب الرعية محبوبا وان يكون العقل قويا
منه ليكون عند العقلاء قويا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء

وان يكون فضله غزيرا او بنيته كبيرا ليعظم عند الفضلاء ويرتل
ليتفرغ عند الادب وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب ليتبعد عنه
العيوب وكل ملك لم يكن له مثل من الخصال لا يفرح بمملكته ويتلف
اقرباؤه وجلساؤه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل وكل العيوب
نتيجة قلة العقل كما قال الشاعر يقول الحكيم المقال الاسد
دع الرح اذ لست فيه اسد • لحفظ نفسك مع مقلتيك
فعينيك للملك يجني الحرد • وخف ان تنازعه ملك
وفي حالة السخط عنه فعد • فتقتل عن سخطه لا جرم
وليس عليه قود • سمعت عن الحزان المليك يسكر عنها قبل
الامد • سأل معوية الاحنف بن قيس فقال يا ابا بحر كيف
الزمان قال الزمان انت يا امير المومنين ان صلحت صلح الزمان
وان فسدت فسد الزمان وقال الاحنف بن قيس كما ان
الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يضيء نوره
ويلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور تراكم ظلامه وتستوحش
قيامه عن مسيرة الف فرسخ وقال الفضيل بن عياض لو كان
دعائي مستجابا لم ادع لغير السلطان العادل لان السلطان
العادل صلاح البلاد وزينة العباد خبر جا، في الخبر عن سيد البشر

انه قال المحفوظون لهذه الدنيا على مناير اللؤلؤ يوم القيامة حكاية
كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد وضع الحجاب فقدم من
يديه لص فامر بصلبه فقال ايها الملك بان ما وقعت ولم يكن لي
شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر للاجرم يصلب
ولا يطلب قلبك المصلب ولا يريده فواجب على السلطان ان
يعدل ويبالغ غاية النظر فيما يامر به من التيقظ لينفذ ذلك
اصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله ونائبه لان كثيرا من سياسة
السلطان وعدله ونظره وحسن تامله يحفظ عليه بالبر الطيب
ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان يجتهد
في تدارك ذلك كما جاء في الحكاية حكاية كان للملك وزير اسمه
راست روش وبهذا الاسم كان يلقب كشتاسبانه فقي تصلح
وما كان يسمع فيه مقال احد يقدح فيه ولم يكن يجز حاله فقال راست
روش لخليفة الملك ان الرعية قد بطرات من كثرة عدلنا فيهم وقلة
تاديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية والان
فقد فاحت منهم رايحة الفساد ويجب علينا ان نوبخهم ونوجرهم ونعقد
المعتدين ونخلي الغسقة المفسدين ونوذب الصالحين ثم انه كان
كل من لزمه الخليفة ليوذبه ارتشى منه راست روش واطلقه

الى ان ضعفت الرعية وضاق بها الاحوال وخلت الخزائن من الاموال
ولم يكفها ما يجبى من الغلة وغيرها فلم يجد فيها شيئا يصلح به امور عسكره
فتركب يوما من شغل قلبه وسار في البرية فراى من بعد قطيع غنم فقصد
فراى خيمة مضروبة والى جانبها نيام ورايى كلبا يصلو بافلما قرب
من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وساله النزول فنزل فاكرمه وقدم
بين يديه ما حضره كما وجب فقال كشتاسب اخبرني عن حال هذا الصحب
حتى اكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان اميناً
على اغنامي فصادق فحيته فجعل يقوم معها وينام عندها والذيبة كل يوم
تاتي وتسرق من الغنم راسا بعد راس في بعض الايام صاحب الموضع
وطلب مني حق المرعى فقعدت اتفكر واحسب حساب الغنم وبي نقص
في الحساب فرايت ذيبا قد اخذ شاتا والكلب ساكت يحابيه
فعلمت انه كان سبب تلاف الغنم وانه كان يكون امانة فلزمته
وصلبته فاعجب كشتاسب بذلك وجعل يفكر في نفسه وقال رعيتنا
اغنامنا فيجب ان نسال عن ايضا عنها لنصل الى حقيقة امرها
فعاد الى داره وجعل ينظر في امور الروزنامجات واذا بني جميعها
شفاعات راست روش فضرب مثلا وقال من اغتر بالاثم من ذوي الفساد
بقي بغير زلة ومن خان في الزاد عاد بغير روح وامر بصلب الوزير وصلبه

السلوس ما يلقى في الوقف الذي
ذبحه ما يحرس الغنم ما يقطع
ما يحرس الغنم ما يقطع

الحكاية مكتوبة في كتاب ايد كار نامه وفيها يقول الشاعر

وما المنتحى منا سمك الغنا ٭ تسمت بكى تحتال في طلب الرزق

ومن يجعل الاسماك فيما ارزقه ٭ يعد غير ذي روح عن الخدع والرق

حكاية يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابي جعفر

زيد وية وكان عمرو يحفظنا ومن جملة محبته له كان وصله من مراة

مايه جمل حمل النوبر على كل جمل حمل من الحوايج فانفذ عمرو من كل

حاجة حملا الى دار ابي جعفر وقال ليوسع عليه في مطبخه فقيل يوما

لعمرو بن ليث ان ابا جعفر قد بطر غلامه وضربه عشرين خشبة

فاغتم عمرو باحضاره ورسم ان يحضر بين يديه كل سيف في خزانته وقال

يا ابا جعفر اخترمن اجود السيوف اجودها فاخرج له ناحية عنها

فجعل ابو جعفر يتخير ويسقي الى ان اسقى وافرد مايه سيف فقال اختر

الان منها سيفين فاختار ابو جعفر سيفين منها فقال ارسم ان

يجعلا في قراب واحد فقال ابو جعفر ايها الامير كيف يمكن ان يكونا

امير ان في بلد واحد فعلم ابو جعفر انه قد اخطأ فقبل الارض

والتمس العفو والاقالة وقال عمرو لولا حق القرابة والنسب والله

لما حابيتك فخل عن هذا الامر لنا فقد عفونا هذه النوبة عنك

حكمة قال ابو شيروان اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه وحشمه عن

الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح وقال الله تعالى

وانذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ان ليس لك صديق كالملك

وافسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول الى الملوك

وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شيء اميب في قلوب

الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك سهل

الحجاب لم يمكن العمال ان يجوروا على الرعايا وخاف الرعية من

جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على ساير الامور

الاطلاع ولا يجوز للسلطان ان يكون غافلا لتكون الهيبة من

ناموس المملكة باقية وليستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

يقال ان الوشير كان متيقظا داقطة بالامور بحيث انه كان

اذا جاءه ندماؤه من الغد حدث كلا منهم عما صنعه وكان

يقول لاحدهم انكا لبارحة فعلت الشيء الفلاني واكلت الى الفلاني

ومتعت مع زوجتك او مع الجارية الفلانية ومهما كان يجري لندمائه

كان يحدثهم به من الغد بحيث كانوا يظنون ان ملكا يأتيه من السما

يعرفه بافعالهم وكذلك كان السلطان الغازي محمود بن سبكتكين

حكمة قال ارسطاطاليس خير السلاطين من كان في حدة النظر

على مثال العقاب وكان الذين حوله كالعقبان لا كالجيف يعني اذا

كان في نسخة بضم النون وفتح الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحت والف الناقصة وفي اخره النون اسم ابي سبكتكين والد السلطان محمود وصحح ابا بكر

٥

كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة في العاقبة وكان المرتبة من
وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت احوال المملكة واستقامت
امور اهل سلطنته وولايته **حكمة** قال الاسكندر خير الملوك من بدل
السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة
الحسنة بالسنة السيئة **حكمة** قال ابرويز ثلثة لا يحمد الملك الجائر
عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه وافسد حرمه وافشا سيرته
قال سفين الثوري رحمة الله عليه خير الملوك من جالس اهل العلم ويقال
ان جميع الاشياء تتجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم والعلم
اقدار هم بالعقل والفهم وليس للملوك شيء خير من العلم والعقل
فان في العلم بقاء الغز ودوامه وفي العقل بقاء السرور ونظامه
ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع فيه اثنتي عشرة خصلة
الفقه والادب والتقى والامانة والصحة والحياء
والرحمة وحسن الخلق والوفاء والصبر والحلم والمداراة
وهذه من خواص صفات الملوك وينبغي ان تعلم ان هذه الادب
تحتاج الى نظائرها وقرائنها لتصح في استعمالها فينبغي ان يكون مع
العقل العلم ومع الشجاعة الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصباحة
الحلاوة ومع الاجتهاد الدولة ولقد اجاءت الدولة حصل جميع المرتبة

حكاية اعلم ان يعقوب بن ليث علا امره وارتفع قدره وظهر
اسمه وذكره وملك كرمان وسجستان وپارس وخراسان وقصد
العراق وكان الخليفة في ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك
كنت رجلا صفارا فمن اين تعلمت تدبير الممالك فكتب يعقوب
اليه جوابا وقال ان المولى الذي اتاني الدولة اتاني التدبير وفي عهد
نامة ابو بشير مكتوب "كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم كانت
عاقبته ذلا وكل عدل ليس معه خوف من الله وان كان تاما كان
مصيره الى الندم **حكمة** قال يوما عبد الله بن طاهر لامية كم بقي
هذه الدولة فينا وتدوم في بيتنا فقال ما دام بساط العدل
والانصاف مبسوطا في هذه الايوان **حكمة** كان المامون
قد جلس في بعض الايام لفصل الدعاوي والاحكام فرفعت اليه
قصة فلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض
حاجة صاحبها في هذه الساعة فان الفلك في سرعة دوران
احد من ان يثبت على حالة اويفي لجب بما له يقول مؤلف
الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الادباء ان ينظروا
في هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من ايام دولتهم وينصفوا
المظلومين ويقضوا حوائج السائلين ويتيقنوا ان هذا الفلك

لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد على الدولة وان
السماوى لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخاير فاذا
انحلت الدولة تلاشت الاموال وتفانت الرجال ولا ينفع الندم
اذا زل القدم كما جاء فى الحكاية حكاية يقال ان مروان اخر
بنى امية عرض عسكره فكان ثلثمائة الف رجل بالعدد الكاملة
فقال وزيره ان هذا الجيش لم اعظم الجيوش فقال له اسكت
فانه لو انضم اليه لم تنفع الحذرة واذا نزل القضاء اعمى
كان الحذر عظيما كثيرا بان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا
باسرها فلا بد ان تنزل منا ملك وقت الدنيا حتى تفنى
حكمة قال ابو الحسن الاسوارى فى كتاب الفرائد والقلائد
الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب فحذروا من
يومك لغدك ولا يبقى يوم عليك ولا غد يقال كان على قبر
يعقوب بن ليث مكتوب خراسان يحويها واكناف فارس
وما كنت من ملك العراق بآيس سلام على الدنيا وطيب نسيمها
كان لم يكن يعقوب فيها بجالس سؤال وجواب سئل ملك
كان قد زال الملك عنه فقيل له لاى سبب التفت الدولة عنك
وسلبت المملكة منك فقال لاعتزازى الدولة والقوة ورضاى

برايى وعقلى وغفلتى عن المشورة وتوانيى لاصاغر العمال عن اكابر
الاعمال وتضييعى الحيلة فى وقتها وقلة تفكرى فى الحيلة واعمالها
وقت الحاجة اليها والتباطى والوقفة فى مكان العجلة مع السعة
والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل لرأى الاشرار كثر
شرا فقال الرسل الخونة الذين يخونون فى الرسالة لاجل
اطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال ابو شيرزاد حتفكم كم سفكوا
من الدماء وكم مرغوا من الجيوش وكم ستكوا من استار ذوى الحرمات
الاحرار وكم اجتاحوا من الاموال وكم من يمين كذبوا بها نفسهم
وكم من عهود نقضوا بقلة امانتهم وكان ملوك العجم يتخذون
يتحرزون ويتحفظون وما كانوا يتخذون رسولا الا بعد ان يختبرونه
ويمتحنونه حكمة يقال ان ملوك العجم كانوا اذا ارسلوا رسولا
الى الملوك ارسلوا معه جاسوسا ليكتب جميع ما قاله وسمعه
فاذا اعاد الرسول قابلوا كلامه بالنسخة التى كتبها الجاسوس
فان صح مقاله علموا انه صادق فكانوا يرسلونه بعد ذلك
الى الاعداء حكاية ارسل الاسكندر رسولا الى الملك
دارا فلما رجع الرسول واعاد الجواب شك الاسكندر من كلامه
فى كلمة فلزمها عليه فقال الرسول يا مولاى انا سمعت هذه الكلمة

منه تاذن تاذن فامر الاسكندر ان يكتب تلك الالفاظ
وانفذه على يد رسول آخر الى دارا بي وامره اذا وصل اليه وعرف
المكتوب عليه واقراه طلب كتابا فقلع تلك الكلمة من الكتاب
واعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان امن الملك على حسن
سعة الملك وصحة طبعه واساس صحة السلطان على صحة لفظ
السفراء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما
يقوله عن لسان الملك ويسمع ما يسمع من الجواب يسمع الملك
والآن فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامك
ولم اجد سبيلا الى قطع لسان رسولك فلما عاد الرسول
وقرأ الاسكندر الكتاب استدعا الرسول الاول وصاح
عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك سلك
الكلمة التي تكلمت بها فاقر الرسول وقال له انه قصر في حق
واخطأ فقال الاسكندر سبحان الله اظننت اننا ارسلناك
لتصلح امورك وتضيع امورنا وتسعى في حقوق الناس الينا
ثم امر به فسل لسانه من قفاه **فصل** ويجب على السلطان انه
متى ما وقعت رعيته في ضائقة وحصلوا في شدة وفاقة ان
يغيثهم لاسيما في اوقات القحط وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن

التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغي حينئذ للسلطان
ان يغيثهم بالطعام ويساعدهم من خزائنه بالمال ولا يعلن اجرا
من خشمه وخدامه واتباعه ان يجوروا على رعيته ليلا يضعف الناس
وينقلون الى غير ولايته ويتحولون الى غير ايالته فينكسر ارتفاع
السلطان ويقل حاصل الديوان وتفوت المنفعة على ذوي
الاحتكار الذين يسرون بغلاء الاسعار وينبغي ذكر الملك
ويدعا عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا
غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزائنهم ويساعدونهم من
ذخايرهم ودفائنهم **حكاية** يقال انه كان رسم ملوك
العجم ان ياذنوا الرعايا هم في الدخول عليهم في ايام النوروز
والمهرجان وكان المنادي ينادي قبل ذلك بايام ان استعدوا
لليوم الفلاني ليتاخذ كل من الناس اهبته ويصلح امره ويكتب
قصته ويتقن حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتمالم منه عند الملك
طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادي على باب الملك
وناديا ان منع اليوم احد لانسان من الدخول كان الملك يرتا
مع من كانت توخذ القصص من الناس وتضع بين يديه
وكان ينظر في كل واحدة منها على الانفراد وموبد موبدان قاعد
عن يمينه وموبد موبدان بلسانهم قاضي القضاة فاكان في القصة

قصة تيالم الملك قام الملك من مكانه وبرك بين يدي موبدان
على ركبتيه بين يدي مقابل خصمه وقال انصف اولا يها الرجل
بيني ولا تحملني الميل والمحاباة ولا تحرني على نفسك لان الله
جل وعلا اذا انذري الحظوظ لعباده اختار لهم وولي عليهم خير
خلقه ولقد ارلقوان يرى عباده اي قدر لذلك الخليفة عند
اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك ثم كان ينظر الموبذ
فان كان بين الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على
الملك اخذ الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك
دعوى صحيحة وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة امر بعقوبته
ونادى عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك
اذا فرغ من الدعاوى استوى على سرير ملكه ووضع التاج على
مفرقه واقبل على جماعته وخاصته وقال اني انما انصفت
من نفسي لئلا يطمع احد في الظلم والجور على احد فكل من كان
منكم لخصم فليرضه وكان يبعد في ذلك اليوم عنه كل من كان قويا
منه ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا الترتيب
وعلى هذا المذهب الى ايام يزدجرد بزه كار الاثم فانه غير قواعد
ملوك ساسان وظلم الخلق وافسد حتى جاء بعض الايام فرس في غاية الجودة

والكمال بحيث لم ير احد في ذلك الزمان فرسا مثله في حسن خلقته
وجمال صيته فدخل من باب داره فاجتهد جميع من في معسكره
ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا
من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال يزدكرد
تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه احد منكم فانه هدية مني لكم فاما
هدية من الله تعالى خاصة لي فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه
قليلا قليلا ثم امر بيده على ظهره والفرس ساكن لا يتحرك فاسرع
يزدكرد السرج فاسرجه بيده واوثق جذب حزامه ودار
نحو كفله ليضع النمرقة فوقه الفرس على قوائمه رفسته رفسة
فخر ميتا في الحال وخرج الفرس ولم يعلم احد من اين جاء
ولا الى اين عاد فقال الناس هذا الفرس كان ملكا ارسله
الله تعالى لينهلكه ويخلصنا من جوره وظلمه قال القاضي
ابو يوسف حضر يوما عندي في مجلس حكمي يحيى بن خالد البرمكي
مع خصم له مجوسي فادعى عليه المجوسي فطلبت منه البينة فقال
ليس لي شاهد فحلفته فحلفت لي وارضيت خصمه باحلافه
وساويت في الحكم بين يحيى وبين المجوسي لعزة الاسلام ومات
قط مع احد ولا حابيت احدا خوفا ان يسألني الله تعالى عن ذلك

يجب ان يخوف قدر الزعماء والاكابر ويضع للاكابر ان لا يظلموا احدا من
وان يحفظوا امر الخلق ويضبط السلطان ولا يعصوه في حال ليكو
قد علموا بقول الله تعالى كما تقدم اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم ومن يحصل الله تعالى له هذه الرتبة الشريفة والدرجة
المنيفة ويكون طاعته كطاعة جل اسمه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
فالواجب على الخلق ان يطيعوه ويخافوه ويجب على السلطان شكر
هذه المنة والطاعة لربه وامتثال ما امره به من العدل والاحسان
والرافة بالمظلومين فقد قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا
من ظلم من لا ينتصر من ظلمه الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم
حجاب ودعاؤه مستجاب ولا سيما الدعاء في الاسحار وقت التفرغ
في سدو الليل الى الجبار كما قال الشاعر فلا تعجلن بالجور ما دمت
قادرا فاجره اثم وخوف عذاب تنام وما المظلوم عنك بنائم
ودعوة لا تثنى بحجاب وقال رسول الله صلعم تاسفت على موت
اربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائي لسخائه
وعلي امرئ القيس لشعره وعلي ابن طالب لبره والله اعلم بحقيقة الحال

الباب الثاني

في سياسة الوزارة وسير الوزراء

اعلم ان السلطان يحتاج كره ويعلو قدره بالوزير اذا كان صالحا
كافيا عادلا لانه لا يمكن احدا من الملوك ان يتصرف زمانه ويدبر

سلطانه بغير وزير ومن انفرد برايه ضل بغير شك الا ترى ان
النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته
امره الله تعالى بمشاورة اصحابه العقلاء الحكماء فقال
عز من قائل وشاورهم في الامر وامر في موضع اخر عز من قائل
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري فاذا
لم تستغن الانبياء عليهم السلام عن الوزراء واحتاجوا اليهم
كان غيرهم من الناس احوج سئل انوشيروان بابك اي الاصحاب
اصلح للملك فقال الوزير العاقل المشفق الامين الصالح
ليدبر معه رايه ويسير اليه عما في نفسه وعلى السلطان ان يعامل
الوزير بثلثة اشياء احدها انه لو اظهرت منه زلة او وقعت
منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثاني انه لو
استغنى في دولته واتسع حاله في حشمته لا يطمع في ماله
وثروته الثالث انه لو اسال حاجة لا يتوقف في قضاء
حاجته وينبغي ان لا يمنعه من ثلثة اشياء وهي ان يتقي الله
ان يراه لا يمتنع عن رويته وان لا يسمع في حقه كلام مفسد
وان لا يكتم عنه شيئا من امره لان الوزير الصالح حافظ كبير
السلطان ومدبر امر الدخل وبه عمارة الولايات والخزائن

وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة ولزوم الحكم على الاعمال
واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع اعدائه وبه
احق الناس بالاستمالة وتعظيم القدر وتعظيم الاقرباء انو
شروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا زال على امر لا يجوز لك
لم يوافقك عليه وينبغي للوزير ان يكون مايلا الى الخير متوقيا
من الشر ولو اكان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد
كان له عونا على ملكه وامره منه بالانقياد واذا كان سلطانه
غير مشفق كان على الوزير ان يرشده قليلا قليلا بالطف
وجه ويهديه الى الطريق الحميدة وينبغي ان يعلم انه لا يجوز له ان يهتم
بغير الخير ويعلم انه اول انسان يحتاج اليه السلطان وتميل بهم
كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتنضم مالسره
مرة فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الناصح
ليظهر اليسره ويدبر معه في رايه ويسوس امره
والفرس الجواد ليركبه يوم الحاجة الى النجاة والسيف
القاطع والسلاح الحصين والمال الكثير الذي يحفظ محله
ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسنة
ليكون مونسة لقلبه مزيلة لكربه والطبيب الخبير الذي اذا امسك

ذاحق ٥

طبعه وبرد شيأ يطلقه **حكمة** قال ابو شروان الخطيب على الملك
ان يكون طالبا لاربعة اشياء فاذا وجدهم احتفظ بهم
الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق
والنديم الناصح لانه لو اكان الوزير امينا دل على بقاء
الملك وسلامته ولو اكان الكاتب عالما دل على عقل
الملك ورزانته ولو اكان الحاجب مشفقا لم يغضب على
الملك اهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر
ومصلحته **حكمة** قال موبد موبدان في عهد انو شروان
انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين
المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك
تقيا لانه ينبغي ان يكون الاصل جيدا ثم الفرع ومتى يقوى
السلطان صلاحه وصحته وسواء يكون صحيحا في سائر
الامور آمرا بالصحة باقواله وافعاله ليصح بصحته رعيته
حشمه وان لا يكون قلبه واثقا بالله وان يرى ان قوته
وقدرته وظفره باعدائه ونصرته ووصوله الى مرتقاه من الله
وان لا يعجب بنفسه فان عجب بنفسه خشي عليه الهلاك كما حكي في
الحكاية **حكاية** يحكى ان كان سليمان عليه السلام جالسا على

سرير مملكته وقد حملته الريح فخر سليمان ساجدا لله تعالى وحمد الله على ما
الانس والجن وانقياد جميع لعظيم منيته وسياسته فاضطرب السرير
به وتمم بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال
استقم انت حتى نستقيم لك كما قال عز من قايل ان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال ابو عبيد في امثاله من سلك الجدد
امن العثار ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان الشاب
وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلم الناس من
تجارب الايام لا يتعلم من نخص والوزير زين السلطنة والزين
يجب ان يكون صالحا طاهرا من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة اشياء
ليتخذ حزمه وحسن سيره التيقظ لينظر في كل امر يدخل فيه وجه الخرج من
والعلم حتى يتضح له الاشياء الخفية والشجاعة حتى لا يخاف من شيء
في غير موضع الخوف والصدق ليلا يعمل مع احد غير الصحيح وكتمان سر
سلطانه الى ان يدركه الموت قال ابو شيرين بابك يجب ان يكون الوزير
ساكنا متمهلا شجاعا واسع الصدر حسن المقال مليح الوجه محببا
صامتا حيث يحسن الصمت متكلما اذا احسن الكلام ومع ذلك كله
يجب ان يكون دينا تقيا حسن المذهب ليطهر نفسه وينفي عنها كلما
لا يحسن من الاعتقاد وينبغي ان يكون ذا تجارب ليسهل الامور
على الملك وان يكون متيقظا لينظر عواقب الامور ويخاف من تغير الدهور

وان

وان تحفظ ان تضيف عن الزمان وكل ملك كان وزيره حماد على ضعفا
كان ذلك الوزير كثير الاعداء وكان اعداؤه اكثر من الاصدقاء وكان
للسلطان ان يسمع في حق وزيره كلام المغرضين عليه الساعين به الحسده
الصدقاؤه وتنكب اعداؤه ويجب ان يكون الوزير محمود الطريقة
حتى اذا راى في الملك حالا مذمومة غير رشيدة ردها الى العادة الحميدة
من غير غلظة لان الملك اذا كان على الايرين اذا سمع منه ما يكرهه
من التقريع على شر امن ذلك والدليل على ذلك ان الباري جلت
عظمته لما ارسل موسى عليه السلام الى فرعون امره بقوله فقولا له
قولا لينا فاذا كان الله سبحانه امر نبيه ان يقول لعدوه قولا
لينا فالناس احدر واولى ان يلينوا مقالهم وان كان السلطان
يخشى كلامه فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصب على كلامه في قلبه فان قدرة
الملك تطلق لسانه فينطق بما يريد ولو كان السلطان الوزير محببا
للملك صحيح المقال حسن الفعال فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك
ولا يعتز بها عليه قال اهل الفطنة اذا احسنت الى احد وعددت
احسانك عليه كان شرا من الامتنان عليه تقريعك له وينبغي ان يعلم
الوزير وخاصة الملك انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك باقبال
الملك وبركة نظره فالمنة حينيذ تصلح ان تكون له على الخلق

فساد يفشا، في دولة الملك يكون من امرين احدهما من الوزير
البخلين والثاني من نية الملك الرديئة الفاسدة فلذلك انهى الوزراء
ان شر الوزراء من جر الملك او السلطان على الحرب وحداه
على القتال في موضع يكن ان يصلح الحال بغير حرب لان الحرب في
سائر الامور والاحوال تفني ذخاير الاموال وفيها تبذل كرايم
النفوس ومصونات الارواح وقال ايضا كل ملك كان لوزير
جاهل فمثله مثل الغنم الذي يبدو او يظهر ولا يندى ولا يطر وفي
كتاب وصل الى ارسطاطاليس كل امر يقتضي على يد غيرك بلا حرب
ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب والعلماء
يضربون هذا المثل فيقولون ينبغي ان تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك
وترتيب الوزراء انهم مهما امكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا
فان لم تأت الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تاتيها بعطاء
الاموال وبذل الصلات والنوال ويتبين انهزم لهم معسكر عفوا
عن ذنوب الجند ولم يستحلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحياء
ولا يمكن احياء القتلى فان الرجل يصير رجلا في اربعين سنة ومن
مائة رجل يكون رجل يصلح لخدمة الملوك وان اسر احد من الجند
من اصحاب الملك كان على الوزير ان يفتكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه

ليشجع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم اذا ما تقرروا خوفهم على الوزير
ان يحفظ ارزاق الجند كل انسان منهم على قدره لو ان يدرب الرجال
الشجعان بآلات الحرب وان يحاطبهم باحسن كلام ويلين لهم في الخطاب
ويلطف لهم في الجواب فان الجند قد قتلوا اكثر امن الوزراء في قديم
الايام وسالف الاعوام ومن سعادة السلطان ويمن طالعه وقوة
جده ان يسهل الله له وزيرا صالحا ناصحا صادقا صابيا ان نسي ذكره
وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب ان الله جل اسمه يظهر
قدرته في كل حين وزمان ووقت واوان ويصطفي مجامع كبارهم
من عباده مثل السلاطين والوزراء والاكابر العلماء ليعتبر بهم
الدنيا ومن عجايب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم
نظير في السخاء والكرم وبذل المعروف والعطاء وكان تحت حكمهم
اكثر الولايات الوافرة الارتفاعات وبعد انقراضهم فسدت
احوال الوزارة ولم يبق لخدمة الملوك رونق ولا نظارة الى
ان اوجد الله تبارك وتعالى ببركات آل سلجوق وظل دولتهم آل
النظام واوصلهم الى درجة الوزراء المقربين وارفع بحيث انه
لم يبق في الدنيا احد من اهل الفضل والادباء وابناء السبيل
الغرباء من وضيع وشريف الا وهو مشمول باحسانهم ومحفوف باعتنائهم

ولم يكن احد من خير منهم محمود ما واما ذكر ما هذا العلم من يتولى كتابا
+ يتولى بين الصناع والطباخ وقال بزرجمهر لا يقاس الاشياء بعضها
ببعض لان جوهر الناس اجل من كل جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالملك
والملوك لجلالة قدره لا ينسب الى الخطاء وسوء ادب الصناع
في صناعتها وانه يوتى كل احد ما يصلح له ويليق به فينبغي ان يكون وزراء
الملوك ومدبرو دولهم على هذه الصفة والخط ارسوم للمتقدمين
وطرايقهم وان يأنسوا الاموال التي تؤخذ من الرعية في اوقاتها
واجيانها وعند وجوبها وايانها وليعرفوا الرسوم ويحملوا الرعية
بحسب طاقتها وقدر قدرتها وان يكونوا في تصييد صيايدي الكرى
لا في تلقي العصفور ولا يجوز لهم ان يحرصوا على تناول اموال المواريث
ما دام الوارث موجودا فالطمع في ذلك ميسوم غير جايز ويجب عليهم
استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوايد والنعم ليعلموا ان كفايتهم
وصموم مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحمد ذكره
في الدنيا ويناوا جزيل الثواب في العقبى ٥

الباب الثالث
في ذكر الكتاب واداابهم ٥

قال العلماء انه ليس شيء افضل من القلم لانه به يمكن اعادة السالف
والماضي ومن فضل القلم وشرفه ان الله جل اسمه اقسم به فقال ن والقلم

وما يسطرون وقال تعالى ذكره اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى
بما هو كائن الى يوم القيامة حديث يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام اجعلني على
خزاين الارض اني حفيظ عليم يعني حاسب وقيل على كنوز الارض قال اني
كاتب حاسب ويقال ان القلم صانع الكلام قال ابن المعتز
القلب معدن والعقل جوهر والقلم صانع والخط صباغ وقال
جالينوس القلم طبيب الكلام قال بلياس الحكيم القلم طلسم كسرى قال
الاسكندر الدنيا تحت السيفين السيف والقلم والسيف اخر
القلم والقلم لعب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف راي كل انسان
من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه ما لم ينظر في
الكتب لا يكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة ومعلوم
ايضا انه في هذه المدة القريبة والعمر القصير لم يمكنه ان يدرك كل
ومعلوم ايضا انه لم يمكنه ان يحفظ بقلبه السيف والقلم حاكمان
في جميع الاشياء ولولا السيف والقلم لما قامت الدنيا واما الكتاب
فانهم لا يجوز ان يعرفوا اكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الاكابر وقيل
الحكماء والملوك القدماء ينبغي ان يكون الكاتب عالما بعشرة اشياء

الاول بعد الماء وقربه تحت الارض ومعرفة استخراج الاقنية
ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء
ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب
بالاصابع وحساب الهندسة والتقويم واختيارات الايام وما
يصلح للمزارعين ومعرفة الطب اللدوية ومعرفة طبائع الشهور
وعلم الشهور والقوانين ومع هذا كله ينبغي ان يكون الكاتب خفيف الروح
طيب اللقاء عالما برداية القلم وتدبيره وقطه ورفعه وخطه وهما
كالنفس في قلة الحبر شيئا قليلا وان يحترس نفسه من طغيان ويبغي للكاتب
ان يعرف اي حرف يجوز ان يمد واي حرف ينبغي ان يكون مجتمعا
متصلا وليكتب الخط مبتدئا ويعطي كل حرف حقه مما يحكى انه كان
لامير المؤمنين عمر عاملا فكتب كتابا الى عمرو بن العاص ولم يذكر
سنين بسم الله فاستدعاه عمر وقال اظهر اولا سين بسم الله ثم توجه
بعد ذلك الى عملك واول ما ينبغي ان يعرف الكاتب داية القلم
فان الانسان اذا كان يحسن الخط ويقدر اندبره القلم فان الخط
يعلى كل حال يجي صحيحا كما جاء في الحكاية حكاية كان لشاهانشاه الرئيس
عشرة من الوزراء وكان في جملتهم الصاحب اسمعيل بن عباد فاجتمع
الوزراء كلهم على نكبته واتفقوا على التعريب عليه وقالوا ان الصاحب

لا يقدر يجي قلة علما علم بذلك شاهانشاه جمعهم جملتهم فقال لهم
الصاحب الكافي اي لوب فيكم ليس لي مثلي حتى تحاربوا وتحدوا
عني بحضرة شاهانشاه فان ابن عباد تولى الوزارة ولم يتعلم الكتابة
واقل لوابي داية القلم وهل فيكم من يقدر ان يكتب كتابا تاما بقلم
مكسور الراس فخرج الجماعة عن ذلك فقال له شاهانشاه اكتب انت
فاخذ الصاحب قلما وكسر راسه وكتب به درجا تاما فاقروا الجماعة
بفضله واعترفوا بادبه ونبله واجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر
اللون رفيق الوسط والقلم المحرق من الى ان الايمن يصلح للخط
العربي والفارسي والعبري واللسان الذي يجب ان يكون قلمه
محرفا من جانبه الايسر وخير الاقلام ما وصفه يحيى بن خالد البرمكي
في كتاب كتبه الى محمد بن ليث قلم لا غليظ ولا دقيق وسط رقيق
ويجب ان تكون السكين التي يبرى بها الاقلام حادة وان يكون براية
القلم على شكل منقار الكركي محرفا من الجانب الايمن وينبغي ان يكون
المقط الذي يقط عليه الاقلام في غاية الصلابة ويجب ان تكون
الانقاس فارسية خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا
في غاية الصقالة وان يجاذ حل الانقاس وكل حرف ازيد من ثلثة
احرف يجب ان تمده وما كان اقل لا يجوز مده فانه يوحش ذلك الخط

وان تكون صورة الحرف تشبه بعضها بعضا ولا يقدر على عمل ذلك الا حكيم
عاقل ومن تعودت بذلك انا ملة كان عبد الله بن رافع كاتبا لامير
المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال كنت اكتب كتابا
فقال لي امير المؤمنين يا عبد الله اجعل دواتك وقلمك ووسع من السطور
واجمع ما بين الحروف وكان عبد الله بن جبلة كاتبا محسنا فقال لغلمانه
لتكن اقلامكم بحريه فان لم تكن بحريه فلتكن صغارا وقطعوا عقد الاقلام
ليلا تعقد الامور ولا يجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب
ختمه وقال عبد الله بن عباس رضي في تفسير قوله اني القي الي كتاب كريم
اي مختوم وامر النبي صلعم ان يكتب كتاب الى العجم وقال انهم
لا يقرءون كتابا بغير ختم فختم بخاتمه المبارك وكان نقش فصه مكتوبا
ثلثة اسطر محمد رسول الله خبر روي صخر بن عمرو ان النبي صلعم لما
كتب كتابه الى النجاشي رماه على التراب ثم انفذه فلما جرم انه
اسلم ولما كتب كتابا الى كسرى لم يلقه على التراب ثم انفذه فلما جرم
انه لم يسلم وقال النبي صلعم تربوا كتبكم فانه انجح لحوايجكم قالوا
تربة الكتاب فان التراب مبارك ولفاكت الكتاب فليقراه
قبل لطمه فان كافيه خطا، تداركه واصلحه وينبغي ان يجتهد الكاتب
ان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وان لا يكرر كلمة يكتبها اول مرة من الالفاظ

الغثة ليكون كاتبا محمودا وفي باب الكتابة كلام كثير وتقع منه هذا
القدر ليلا يطول الكتاب فقد قيل خير الكلام ما قل ودل ولم يمل

الباب الرابع في سمو همم الملوك

قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجهد ان لا يكون لي ذي
الهمة فاني ما رأيت شيئا اسقط لهمم الانسان من تراون
همته وقال عمرو بن العاص الترجيث وضع نفسه يريد ان يرفع نفسه على
امره وان اذلها ذل وبان قدره وتفسير معنى الهمة ان يرفع نفسه فان
انفة القلب من همم الاكابر لانهم يعرفون قدر انفسهم فيرفعونها لا يرفع
احد قدر احد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعلم ان الهمم العالية
ان لا يخلط بالارذل ولا يشرع في عمل ما لا يجوز للملك ان يعمله ولا يقول
ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة
فليتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية **حكاية** ان
ابو الدوانيق لرجل بخمسماية درهم فقال احمد بن الخصيب لا يجوز
للملك ان يعرف ما دون الالف من الاعداد وكان ما يعرف الرشيد
يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال مارون
ليعطى خمسماة درهم فاشار اليه يحيى بعينه وقال هذا خطا، فلما نزلا
قال له مارون اي خطا، بدا مني حتى اشرت بعينك الي فقال لا يجوز

ان ابى على لسان الخصي الملوك

اقل من الالف فقال للبخيل فان انفق اقل لا يجوز ان يعطى اكثر
حسما من فلا كيف يقال فقال لو قيل يعطى فرسا فيوصل اليه
فرس على جارية الرسم وتكون قد لزمت ممتنك عن ذكر الحمر وهذا السبب
خلع المامون ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المامون
اختار بباب حجرة العباس فسمعه يقول للغلامه يا غلام ان قدرا
بباب الرصافة بقلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف درهم وامر
الى باب الرصافة فاشتر بنصف درهم فاداه المامون فقال من الآن
فوعلمت ان للدرهم نصفا ادب فانت لا تصلح لولاية العهد
وترتيب الملك ولا ياتى منك صلاح ولا فلاح حكمة يقال ان
فى وصية نامة انوشيروان انه قال لولده اذا اليوت ان تهب لاحد
من اولادك شيئا فاجتهد ان لا يكون عطاؤك اقل من قيمة دخل ولاية
او قرية او قيمة بلد او رستاق ليستغنى الشخص الذى تهبه وترزل
حاجته وستغنى اعقابه بك واولادهم ما عاشوا فتهلك بذلك
فى حساب الاحياء لا فى حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب
فى التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تداون همت الملك حكاية
يقال انه كان للملك مرو بن ساپور وزير فكتب اليه كتابا يذكر
فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم لو، لو، وياقوت وجواهر نفيسة

القيمة وانى اتبعت منهم برسم الخراج بمبلغ مائة الف دينار والآن
فلان التاجر يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك فليرسم عا يراه
فكتب مرو من جوابه وقل مائة الف ومائة الف منها واشتالها
ليس لها فى اعتقاد من يرغب فيها واذا علمنا بحرص التجار فمن يعمل السلطنة
فانظر ايها العاقل لنفسك ولا تعد الى مثل هذا الكلام ولا تخلط
فى اموالنا درهما واحدا ولاد انقاذ ما من ارباح التجار
فان فلك يسقط قيمة الملك ويزرى بحسن اسمه ويعود بقبح قاعدته
ورسمه ويضر بصيته فى حال حيوته وبعد وفاته حكاية حكى ان
الامير عمارة بن حمزة كان بعض الايام جالسا فى مجلس خليفته
المنصور ابى الدوانيق وكان يوم نظره فى المظالم فنهض ورطر
على قدميه وقال يا امير المؤمنين انا مظلوم فقال من ظلمك قال
عمارة بن حمزة اغتصب ضياعى وابتر مليكى وعقارى فامره المنصور
ان يقوم من موضعه ويساوى خصمه للمحاكمة فقال عمارة بن حمزة
يا امير المؤمنين ان كانت الضياع له فما اعارضه فيها ولا انازعه
فى فقد وسبتها له ومالى حاجة فى محاكمته ومماثلته ولا ابيح بكلام
الذى اكرمنى به امير المؤمنين بضياع فتعجب الاكابر الحاضرون
من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والنهمة على كل واحد فكل انسان منها

بطيب فواخر بالسخاء وفواخر الطعام الطعام واخر بالعلم والفقاعة والزمارة وتزل الدنيا وطلب العقبى ولغو يطلب الزيادة واما الله بالسخاء وبذل المال واسد النوال ينبغي ان يكون كما جاء في الحكاية حكاية يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من دار الخلافة راكبا الى داره فراى على باب الدار رجلا فلما قرب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا ابا علي انا محتاج الى مائتي درهم في يدك وقد جعلت اسمك وسيلتي اليك فاريد ان ترد لي موضعها في داره وان تحمل اليه كل يوم الف درهم ولك ان تكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف فعيل صبره فقال واسد لو اقام عندي مدة عمره وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه صيلتي حكاية كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف ببدر البكير ولم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا احذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت غاية في الكمال ونهاية في الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعها له فقال لجعفر انت تعلم انه لا يجيء من مثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها مرتبة داري لا نفذتها اليك

ولم انفس بها عليك ثم انه بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب لمجلس الشراب وامر بدرا ان تغني له وتطربه فاخذ محمد في الشرب والتطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى اسكره واخذ الجارية معه الى داره ولم يمد اليها يده ثم رسم من الغد ان يستدعاه جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني من داخل الستارة فسمع جعفر غناء فلم يتمالك من شرف نفسه وهمته ولم يظن بغيره ان في مجالسه ثم امر محمد الامين ان يعلي ذلك الورق الذي ركب فيه جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع في الورق الفي بدرة عين وجملتها عشرون الف الف درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا انما يقدر الزورق بحمل شيئا واقل بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر سيل يغمر الحكماء من ابنوا الناس حالا فقال من كان اعلاهم همة واتمهم علما واعزهم نفسا فيهما واصيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي ان يتوصل ليخلص من بؤسه حظه وضايقة يده فقال بالملوك والاكابر فقوت الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جادوا بحرا او ملكا حكاية قال سعيد بن سلم الباهلي اشتدت بي الحالة في زمان هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجزني قضاؤها وعسر علي اداؤها فاحتشد باب داري ارباب الديون وتزاحم المطالبون

ولازمني الغرما، فضاق حيلتي وذلت فكري فقصدت عبد الله
بن مالك الخزاعي والتمست منه ان يعدني برايه ويرشدني
الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك
وبمكك وضايقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال
تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال كتمل ذلك لمصلحة اخوالك فنهضت
ومضيت الى الفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد وقصصت عليهما
قصتي وابديت لهما صفحتي فقالا اعانك الله واقام لك باكتفاء
فعدت الى عبد الله بن مالك ضيق الصدر منقسم الفكر منكسر القلب
واعدت عليه ما قال له فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر
ما يقدره تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلامي قد اقبل
وقال ببابنا بغال باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل
وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاءك الفرج فقم وانظر
ما الشان فنهضت واسرعت عدوا فرايت ببابي رجلا ومعه
رقعة مكتوب فيها انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة
وعرفته ما قد افضت بك الحال اليه فامرني ان احمل اليك من
بيت المال الف الف درهم فحملت له مدة الدراهم فيها
الى غرمايه فمن اين يقيم وجوه نفقاته فامر بثمانمايه الف درهم

اخرى وقد حملت اليه من خاصي الف الف درهم فصارت الجملة الفي الف
وثمانمايه الف درهم ليتصل بها احوالك مما ذكرنا ينبغي يعلم الملوك والاكابر
حكاية يحكى ان كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب
جام من ذهب مرصع بالجواهر فسرق النديم فنظر اليه انوشروان
فراه وتوهمه فجاء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فنادى ايها
المجلس قد ضاع جام الملك من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن
احد حتى يقع الجام فقال انوشروان للشرابي مكنهم من الخروج
فان الذي سرق الجام لا يعيده والذي راه لا يغم عليه
واين كان السخا، وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من
يكفر الاحسان ويجحد الامتنان ومن لا اصل له لا يقدر ان يستر
نكده **حكاية** يحكى ان الرشيد استدعا صالحا في التاريخ
الذي تغير على البرامكة وقال يا صالح اصر الى منصور وقل له
لنا عليك عشرة الف الف درهم ونريد ان تخلصها في مدة
اربعة فان لم تخلصها الى المغرب فخذ راسه عن جسده
واتني به قال صالح فحضرت الى منصور وعرفته ما ذكره الرشيد
من سياسته فقال آه ما لكت والله وحلف ان جميع اسبابه
واملاكه لا تزيد قيمتها على مايه الف درهم فمن اين يقدر على تخليد

عشرة الف الف درهم قال صالح فقلت له وترحله وامرك
فاني بما اقدر ان اعمل ولا اخالفك فيما امرني به فقال العفو
يا صالح احملني الى بيتي لاودع اهلي واولادي وصبيتي واوصي
اقاربي فمضيت معه فجعل منصور يودع اهله وارتفع في منزله
البكاء والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان
لك فرج على ايدي البرامكة فامض بنا الى يحيى بن خالد قال فاتينا
يحيى بن خالد ومنصور يبكي ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما نالهُ
فاغتم له واطرق الى الارض ساكتا ثم رفع رأسه واستدعا
خازنه وقال كم في خزانتنا من الدراهم فقال مقدار خمسة الف
الف درهم فامر باحضارها وانفذ قاصدا الى الفضل ولده
وقال قل له انه قد عرض على البيع ضياع جليلة لا تخرب ابدًا
فانفذ لنا شيئا من الدراهم فانفذ الي الف درهم فقال يحيى
قبض لنا [illegible] درهم فقال له منصور
يا مولاي قد تملكت [illegible] وما اعرف هذا المال
الا من انعامك [illegible] ديني فاطرق يحيى
وبكى وقال يا غلام [illegible] المؤمنين كان قد وهب
جاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها وقل لها

تنقل الى تلك الجوهرة فمضى الغلام اليها فاعطته الجوهرة
وحملها اليه فقال يحيى ياصالح انا ما بعت هذه الجوهرة لامير
المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار ووهبها امير المؤمنين
لدنانير العوالقة واذا اراد اخذها وقد تم للآن مال مصادرة
منصور فقل لامير المؤمنين ليهب لنا منصورًا قال صالح
فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينما انا في الطريق انا
ومنصور سمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداءة
وفساده وخبث اصله وميلاده وهو هذا البيت
فما ابتعتني متمسكابي ولكن خفت من ضرب النبال
قال صالح فخرجت عليه وقلت له ليس على وجه الارض خير
من البرامكة ولا شر منك فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك
ومنوا عليك بالفكاك ولم تكرمهم وتحترمهم وتفعل فعل الاحرار
وقلت بالغيب ما قلت ثم مضيت الى الرشيد وقصصت
عليه ما جرى فتعجب الرشيد من سخاء يحيى ومروءته وحسابته
منصور ودنانيره وامر ان تقبل الجوهرة من يحيى وقال ليحيى
قد وهبته لك فعد فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له
قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى اذا كان الانسان مقلا

الفكر بضايقة اليد فيها قاله ويقوله فليس ذلك من قلبه وجعل
يتطلب العذر لمنصور فيكي صالحا وقال لايعود والفلك الدائر
يخرج الى الوجود رجلا مثلك ولا اخرج قبلك فوا اسفا كيف
يتوارى رجل له خلق مثل خلقك تحت التراب **حكاية** يقال
انه كان بين يحيى بن خالد البرمكي وبين عبد الله بسبب امير المؤمنين
حتى مضى على ذلك زمان و [illegible] فقال يحيى [illegible] قول الرشيد
امارة ارمينية [illegible] لعبد [illegible] اليها من لن
رجلا من اهل العراق [illegible] وذكا [illegible] فطنة
فضاق ما بيده [illegible] ولى [illegible] حاله فزور
كتابا عن يحيى [illegible] الى [illegible] بن مالك
الى ارمينية [illegible] فربه [illegible] الى عبد [illegible] الله فحين وصل
الى باب داره سلم [illegible] الى البعض [illegible] حجابه فاخذ
الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله فقضه [illegible] وقراه وتدبر
وعلم انه مزور فحين دخل الرجل وسلم عليه ودعا له قال له
عبد الله احتملت بعد المشقة ونقل المشقة وجيت بكتاب
مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل
اطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليه وصول اليه فلا يحتفي

يعني بحجة فارض الله واسعة والرازق حي متين والكتاب
الذي اوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله انا اعتمد معك
امرين وهما ان اكتب كتابا الى وكيلي ببغداد واسأله ان يسأل
عن حال هذا الكتاب الذي اتيت به فان كان حقا اعطيتك
امارة بعض ولايتي بلادي وان ارثت العطا اعطيتك
مائتي الف درهم مع الفرس والسيف والخلعة والتشريف
وان كان كتابك مزورا امرت ان تضرب مائتي خشبة وان
تحلق محاسنك ثم امر عبد الله ان يحمل في حجرة وان يجعل له فيها
ما يحتاج اليه وكتب كتابا للحال وكيله ببغداد انه قد وصل الي
رجل ومعه كتاب من يحيى بن خالد وانا سيئ الظن في هذا
الكتاب فيجب ان تحقق هذه الحال ليعلم صدقه من كذبه فيعرفني
الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى وكيله ركب ومضى الى
باب دار يحيى بن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه فسلم
الكتاب اليه فقرأه يحيى ثم قال عد الي من الغد لاكتب لك
الجواب والتفت الى ندمائه وقال ما جزاء من خدعني
كتابا وزورت خطابا الى عدوي فقال كل واحد من الندماء
شيئا وجعل كل انسان منهم يعدد نوعا من العقاب وجعل العذاب

فعرفني

لقد احطتم وهذا الذى ذكرتموه من خشنة الهم وتداوينا
وكلكم تعرفون قرابة عبد الله ودنو محله عند امير المومنين
وتعلمون ما بينى وبينه من البغض والان قد سبب الله تعالى هذا الرجل
وجعله متوسطا فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو ما
عشرين سنة من قلوبنا وليصلح بوساطته شوونا وقد وجب
على ان اتى لهذا الرجل بما يميله واصدق ظنونه واكتب له كتابا
الى عبد الله ليتوفر على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الرشيد
منه ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسموه ثم انه
طلب الكاغد والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده بسم الله الرحمن
الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وفضضته وقرأته وسررت
بسلامتك وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك
الحر زورعينى كتابا ولفق خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب
انا كتبته وعلى يده انفذته وليس بزورعينى وتوقعى من كرمك
وحسن شيمك ان تقفى لذلك الحر الكريم باهله وتعرف له حرمة
قصده وتوصله وان تحظه منك بغاية الاحسان ووافر
الامتنان ومهما فعلته فى حقه فانا المعتد به والشاكر عليه
ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل وانفذه الوكيل الى

عبد الله

عبد الله فلما قرأه ابتهج بما حواه واحضر الرجل وقال له ايها
الذى ذكرتها تختار فقال الرجل العطا احب الى فامر لعبد الله
بمايتى الف درهم وعشرة اثواب عربية خمسة منها بالملاءة
وخمسة بالجلال وعشرين ثوبا من الثياب وعشرة من الملابس
ركاب الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة وسيره فى صحبة
مامونة الى بغداد فلما وصل الى امله قصد باب يحيى خالد وطلب
الاذن فدخل الحاجب على يحيى وقال يا مولاى ببابنا رجل ظاهر
الحشمة جميل البزة حسن الحالة كثير الغلمان فاذن له فى الدخول
فدخل اليه وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك فقال
له انا الرجل الذى كنت ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان
فانشرتنى واحييتنى انا الذى حملت الكتاب المزور عنك الى
عبد الله بن مالك فقال له يحيى ما الذى فعل معك اى شى اعطاك
ووهب لك فقال من بركتك وظلك وممتك وفضلك اعطانى
ونولنى واغنانى وقد حملت جميع عطيته وبا مى ببابك والامر
اليك والحكم فى يديك فقال له يحيى صنعك بى اكثر من صنعك معه
ولك على المنة العظيمة واليد الجسيمة اذ ابدلت العداوة
التى كانت بينى وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة وانت كنت فى ذلك

السبب وانا اهب لك من المال مثل ما اعطاه عبد الله وانما
اوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرأها ان الانسان اذا كانت
همته عالية لا يضيع ابدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس
الطبع لالتجأ الى عمل دنئ وتعلق بلئام الناس لكنه لما كانت
له همة سامية تهور واقدم وخاطر مع رجل محتشم كريم الاخلاق
ظاهر الاعراق فوصل بذلك التهور الى مراده وانظر الى الرجلين
الكريمين المحتشمين الرئيسين والى سموهما كيف عاملاه
وعاد اقابلاه ولم يريا في فروتهما عقوبته وعذابه ونال بركتهما
طلابه وتخلص من شدة زمانه وضايقته وافلت من مشرك محنته
وعاد ذا نعمة سنية ورتبة علية وحصلا بجميل الذكر وجزيل الاجر
حكاية يقال انه تفاخر عبدان عبد لبني هاشم وعبد لبني امية
فقال واحد منهما قال موالي اكرم من مواليك فقال لا بل موالي الآن
وتجرب فمضى مولى بني امية الى بعض موالية وشكى من ضايقته وتألم
من فاقته فاعطاه عشرة الف درهم ومضى الآخر من موالية فاعطاه
عشرة الف درهم حتى طاف على عشرة منهم فاجتمع له مائة الف درهم
وقال للآخر امض انت الى بني هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم فاتى مولى
بني هاشم الا الحسين بن علي عليهما السلام وشكى حاله اليه فوكر فوه وما مضى اليه فاعطاه

مائة الف درهم ثم مضى الى عبد الله بن جعفر وشكى اليه فاعطاه مائة
الف درهم ومضى الى عبد الله بن ابي بكرة فاعطاه مائة الف درهم
فاجتمع له من ثلاثة نفر ثلثمائة الف درهم فمضى بالمال الى مولى بني
امية فقال ان موالينا تعلموا الكرم من موالي ولكن عدنا
لنجربهم ثانية ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني امية اليهم وقال
قد استغنيت عن هذه الدراهم وقد سهل الله علي من مكان
فتوجه حاسد به فقري ولم يبق لي في هذا المال حاجة وقد اعدته
فاخذ كل واحد منهم دراهمه وحمل مولى بني هاشم الدراهم الى
سادته وقال لهم قد تيسر لي من مكان ما زالت به حاجتي
وانقضت فاقتي وقد اعدت المال الذي اخذته منكم فاستعيدوه
فقالوا لا نأخذ شيئا قد وهبناه ولا نعود مباشرتنا
بأموالنا فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به
قال بعض الحكماء، اجلال الاكابر من الجلال واحتقار الناس
من لؤم الاصل وفتح الخلال والهمة بغير آلة خفة والهمة
مع الجد تحمل وتلطف وتحسن وتظرف لان الرجل اذا كان
ذا همة وجده غير مساعد لم يكن له من همته سوى الاغتباط
لانه يجب ان تكون الهمة علوية والجد عاليا وقد قيل ايضا الكلام

بالدرجة والعمل بالقدر وينبغي ان تكون الهمة الى بغداد ولو
الى فرسخين **ولد الحلال** كان عبد العزيز بن مروان اميرا بمصر
فركب يوما واجتاز بموضع واذا رجل ينادي ولده يا عبد
العزيز فسمع الامير فراه فامر له بعشرة الف درهم ليتفقها
عليه وعلى ذلك الولد الذي سوء سمية فقضى الخبر بمدينة مصر فملك
من ولد له في تلك السنة ولد سماه عبد العزيز **ضده** وبقضية
ذلك كان الحاجب تاش الامير الحاجب الكبير بخراسان
فاجتاز يوما بصيارف بخارا ورجل ينادي غلامه وكان
اسم الغلام تاش فامر بازالة الصيارف ومصادرتهم وقال
انما اهتم الاستخفاف باسمي فانظر الآن الفرق بين الحر والرقي
والمملوك المسترق بالترسيم وفي هذا الباب كلام طويل ان
ذكرناه طال الكتاب وينبغي ان تعلم ان الهمة وان تاخرت
فانها توصل الانسان الى مراده يوما من الزمان والله اعلم

قال الشاعر

لو كنت في خدمة السلطان ذا الحلم ... للزاد ما كنت من حاميه اطلبه
سعيي لجد ولو لا صدق معرفتي ... اني سادرك ما كنت اطلبه
اما المحمود في الرجل ان لا يجاوز همته فوق قدره وقدرته قليلا

يعيش مغتما طول حياته وفريته كما قال الشاعر
ان كنت تقنع بالكفاية لم تكن ... بالدهر ارفه منك عيشا ضيقه
او كنت فيما فوق ذلك طامعا ... لم تكفك الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذي ... لا يستجيب لنيل ما تبغيه

في ذكر حكم الحكماء والعقلاء

اما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء وقال
سقراط مثل من آتاه الله الحكمة ومنعهم المال كمثل من يكون
في صحة وسلامة فيبيعها بالتعب والوصب فان ثمرة الحكمة
الراحة والعلا، وثمرة المال التعب والبلا، قال ابن المقفع
كان للملوك المتقدمين كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فاردت
حكماء قومي ان يختصروها فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها
على اربع كلمات احدها للملوك وهي العدل والثانية للرعية
وهي الطاعة والثالثة للنفس وهي الامساك عن الاكل الى
وقت الجوع والرابعة للسان وهي ان لا ينطق الا غير نفسه
حكمة قال بعض الحكماء الناس اربعة رجل يدري ويدري انه
يدري فذاك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري
فذاك نائم فذكروه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك

مسيرتشد فارشدوه مرد جل لايدرى ولايدرى انه لايدرى
فذاك جاهل فاحذروه سئل بعض الحكماء اى شيء اقرب فقال
الاجل فقيل اى شيء ابعد فقال الامل وقال الاحنف بن
قيس ثلثة ان لاتيم معها حيلة اذا اقبل الامر فليس للادبار فيه
حيلة ولا للدبر فليس للاقبال فيه حيلة وقال لقمان الحكيم لابنه
ثلثة ان احفظتهما لاتبال بما ضيعت بعدهما درهمك
لمعاشك ودينك لمعادك حكمة سئل انوشروان برزجمهر
لاى سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا ولا يمكن ان يجعل
العدو صديقا فقال لان تخريب العامر اسهل من عمارة
الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا
كان مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرب الادوية وترك
الذنب خير من الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن
ومخالفة الهوى النفسانى بالانكسار خير من دخول النار
حكمة كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا
عدة سنين وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست ومى
من ليس له علم فليس له عز فى الدنيا ولا فى الاخرة ومن ليس
له صبر فما له سلامة فى دينه ومن كان جاهلا لمن ينتفع بعلمه

ومن لاتقوى له فما له عند الله كرامة ومن لاحى له فما له من
نصيب ومن لانصيحة له فما له عند الله حجة حكمة سئل برزجمهر
اى عز يكون بالذل متصلا فقال العز فى خدمة السلطان
والغنم مع الحرص والفقر مع الشفقة حكمة وسئل برزجمهر بماذا
يؤدب البله فقال بان يؤمروا بكثرة الاعمال ويستخدموا
فى مشقات الاشغال بحيث لايجعل لهم الى الفضول فراغا
فقيل بماذا تؤدب الاحساء فقال باماتتهم واحتقارهم
ليعرفوا اضاعة اقدارهم وقيل بماذا تؤدب الاحرار فقال
فقال بالتوقف فى قضاء حوائجهم وسئل ايضا من الكريم
فقال من يهب ولا يذكر انه وهب وقيل له لاى سبب
يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان
المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يرجو المال لاجله
خير من المال وقيل يكون شيء اعز من الروح بحيث يعطى
الناس فيه ارواحهم ولا يبالون فقال ثلثة هى اعز من الروح
الدين والحقد والاخلاص عن الحسد وسئل ايضا فى اى شيء
يكون زينة العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق
وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة قال

يومان الوزير ثلثه اشيآء من عظيم البلآء كثرة العيال
مع قلة المال والجار السيء الجوار والمرأة التي لا تعينها
ولا وقار واتفق اهل الدنيا على ان اعمال الدنيا جميعها
خمسة وعشرون وجها خمسة منها بالقضآء والقدر وهي طلب
الزوجة والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها
بالكسب والاجتهاد وهي العلم والكتابة والفروسية والدخول
الجنة والنجاة من النار وخمسة منها بالطبع وهي الوفآء
والمداراة والتواضع والسخآء والصدق وخمسة منها
بالعادة وهي المشي في الطريق والاكل والنوم والجماع والبول
والتغوط وخمسة منها بالادب وهي الجمال واطيب الخلق
وعلو الهمة والتكبر والدناءة ويقال ثلثة من الشدايد
التي لا يجوز للعقلا نسيانها وهي فنآء الدنيا وانقضاؤها
وتقلب احوال الزمان وتحن الدهور كسته تساوي الدنيا
الطعام السايغ والولد السليم الاعضآء والصاحب الموافق
والامين المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام
حكمة قال الحكيم خمسة اشيآء ضايعة السراج المضيء في
الشمس والمطر في السباخ المالحة والمرأة الحسنا عند الاعمى

٧٨

والطعام الطيب يقدم بين يدي الشجعان وكلام الله تعالى
في صدر الظالم سئل الاسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة
ابيك فقال لان ابي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب
حياتي الباقية وقال اذا كانت بقسمة الله يجري الامور
فالاجتهاد محظور وتاركه مشكور وقال لو الم يمش معك
الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما يريد فالانسان عبد
الزمان والزمان عدو الانسان وكل نفس تتنفسه الانسان
فبقدره يبعد عن الحيات ويقرب من الممات حكمة قال
قوم من العلما، لبزرجمهر عرفنا من ابواب الحكمة ما ينفع
به ارواحنا وانبأنا حتى نجتهد فيه وما يضرنا لنبتعد عنه
والله يجازيك عن احسانك فقال اعلموا وتيقنوا ان
اربعة من الاشيآء تزيد في نور العين وتحد النظر ولربما
ينقص من نورها واربعة اشيآء تسمن الجسم وتحسنه
واربعة تضعفه وتهزله واربعة اشيآء تحيي القلب واربعة
تميته اما الاربعة التي تزيد في نور العين فهي الخضرة
والماء الجاري والشراب الصافي والنظر الى وجوه اللحان
واما الاربعة التي تنقصه فهي اكل الطعام المالح وصب الما،

واما
الحار على الرأس والنظر الدائم في عين الشمس ورؤية العدو
الاربعة التي تسمن الجسم وتخصبه فهي الثوب الناعم وخلو البال
من الحزن والرائحة الذكية والنوم في المكان الساخن
واما الاربعة التي تضعفه فاكل اللحم الغليظ وكثرة الجماع
وطول المكث في الحمام ونوم العشايا ولبس الثوب الخشن
واما الاربعة التي تصح بها الجسم فاكل الطعام في وقته
وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الاعمال المتعبة وترك
الحزن على غير موجب واما الاربعة التي تكسر البدن
دائما فسلوك الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون
والمشي على التعب ومجامعة العجوز واما الاربعة التي
يحيي القلب فالعقل النافع والاستاذ العالم والتركيب
الامين والزوجة الموافقة والصديق المساعد
واما الاربعة التي تميته فبرد الزمهرير وحر السموم
والدخان الكريه ومخافة العدو قال سقراط الحكيم
خمسة اشياء يهلك الانسان فيها خديعة الاصدقاء
والالتفات عن العلماء واحتقار الرجل نفسه واحتمال
تكبر من لا يسوى واتباع الهوى حكمة قال بقراط خمسة اشياء

لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر وارض من مطر
ونار من حطب وعالم من علم حكمة سئل حكيم ما امر
الاشياء في الدنيا وما احلاها فقال امر الاشياء استماع
الكلام الحسن ممن لا تهمة له والدين الغالب وضايقة اليد
واحلا الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار
سئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف
والموت نوم ثقيل وسئل الحكيم ما الغنا فقال القناعة
والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت حسرة
سئل ارسطاطاليس اي صديق اوثق واي صاحب اشفق
فقال الصديق الاصيل اوثق والصاحب القديم
اشفق وتدبير العقلاء افضل حكمة قال جالينوس سبعة
اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الحسن لا يتصوره
القلب والحجامة على خدرة العنق والبول في الماء
الراكد واكل الجوافي والنظر في وجه الميت والنوم الكثير
وطول النظر في الاماكن الخراب وقال ايضا في كتاب الادوية
ان النسيان يحدث في سبعة اشياء ومن البلغم وضحك القهقهة
واكل الملح واللحم السمين وكثرة الجماع والسهر مع التعب

وسائر البرودات والرطوبات فان اكلها يضر ويخلب النسيان

حكمة قال ابو القاسم الحكيم من الاشياء ثلثة من ثلثة لا من قابل الاخبار وطالب استماع الاخبار ومتلقي الاخبار فهؤلاء الثلثة لا يخلصون من الملامة حكيم يقول ثلثة اشياء لا يجتمع مع ثلثة اكل الحلال مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق المقال مع كثرة الكلام

حكمة قال برزجمهر الحكيم ان ثلثة ان تصير من جملة الابدال فحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال فقيل كيف ذاك فقال لا في الاطفال خمس خصال لكانت في الكبار لكانوا ابدالا وهي انهم لا يغتمون للرزق واذا مرضوا لم يشتكوا من خالقهم تعالى وانهم ياكلون مجتمعين واذا اختصموا لم يتحاقروا ويسارعوا الى الصلح وانهم يخافون بادنى تخويف وتدمع اعينهم قال وثلث منبثة في التورات اربع كلمات مكتوبة وهي كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد قال بعض الحكماء اصل الزعامة العطف واصل الذنب الخجلة واصل الذل البخل

حكمة قال الحكيم ينبغي ان يكون الانسان بقلبه خادما وبقلبه مقدما وبعادته ابلها اي يتجاوز عن الردي والجيد وينبغي ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يطلب الغرض من لم يكن راميا قال الاحنف كن لا صديق للملول ولا وفاء للكذوب ولا راحة للحسود ولا مروة لذي ولا زعامة لسيي الخلق

حكمة قال دفع الزمانين استكى رجل من حضرم له الى الاسكندر فقال الاسكندر اتحبان اسمع كلامك فيه بشرط ان اسمع كلامه فكف فخاف الرجل وامسك فقال الاسكندر كفوا انفسكم عن الناس لتامنوا من الناس السوء قال برزجمهر العوافي اربع عافية الدين وعافية المال وعافية الجسم وعافية الاهل فاما عافية الدين ففي ثلثة اشياء انك لا تتابع الهوى وان تعمل باوامر الشرع وان لا تحسد ابدا وعافية المال في ثلثة ايضا اتمام النظر واداء الامانة واخراج الحق من المال وعافية الجسم في ثلثة ايضا قلة الاكل والاقلال من الكلام من النوم وعافية الاهل في ثلثة القناعة وحسن النظرة وحفظ

طاعة الله تعالى وسئل خاتم الاصم لاى سبب لاخذ ما وجده المتقدمون
فقال لانكم فاتكم خمسة اشياء المعلم الناصح والصاحب الموافق
والجهد الدائم والكسب الحلال والزمان المساعد جاء فى الخبر
ان رسول الله صلعم قال يا على اقبل الى بوجهك واخل الى
سمعك وقلبك كله وغط واجمع وسب وتشدد فقال
على ما يعنى من الكلمات يا رسول الله فقال يا على كل الغضب
وغط عيب اخيك وسب ظلم الظالم واجمع لذلك القبر الضيق
المظلم وتشدد فى دين الاسلام **حكمة** قال رجل لبعض الحكما،
اوصنى فقال انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه
حكمة سئل بعضهم اى شئ اكبر من الخلق فقال كثرة التدبير
وليس قدرة ومع الاستكثار لا تزول الحاجة والعبد يحرص
على كل شئ الا على الفقر فليس يحرص عليه احد لان الخلق كلهم
يطلبون الغنى ولا يحرص احد على الغم لان الكل يطلبون الرقد
ويحرصون على الفرح ولا يحرص احد على الموت لانهم حريصون
على الحيات قال ابو القسم الحكيم هلاك العبد فى شيئين ارتكبه
والانفراد بالراى فالمعصية فى العوام والانفراد بالاراء
ففى القرا، **حكمة** بلاء الخلق من ثلثة العلماء المضلين والقرا،

البلة والعوام الحسدة وقيل لا تطلب صحبة من طامع
ولا تطلب وفاء من خسيس الاصل وقال الحكيم شيئان غريبان
فى هذا الزمان الدين والفقر وقال ان حفظت اربعة اشياء
كنت من جملة الرجال احدها ان تترك ان تكون بحيث اذا علمك
الناس رضيت به والثانى علانيتك بحيث لو اقتدى بك
الناس جاز لك والثالث ان تعامل الناس بما لو عاملوك
به اخترته لنفسك والرابع ان تكون حالتك للناس بحيث
لو كانت عليك رضيت بها **حكمة** قال الحكيم ينبغى ان تنظر
ثلثة اشياء بعين ثلثة وهى ان تنظر الفقير بعين التواضع
لا بعين التكبر وان تنظر الى الاغنيا، بعين النصح لا بعين
الحسد وان تنظر الى النسا، بعين الشفقة لا بعين الشهوة
حكمة قال وهب بن منبه قرات فى التورية ان ام المعاصى
ثلثة الكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة اشياء
كثرة الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس
وقال من خلص من ثلثة فمأواه الجنة وهى المنة والمونة
والملامة اذا احسن لم يمن باحسانه وان يخف مؤنته عن
الناس ولو ارادى فى احد عيبا لم يلمه **حكاية** يقال ان ابن

القريبة دخل على الحجاج يوما وكان من اكابر اهل زمانه
فطنة وعلما فسأله الحجاج وقال له ما الكلف فقال البطر بنعمة
والاياس من الرحمة فقال ما الرضى قال القنوع بعطاء
الله والصبر على المكاره فقال ما الصبر قال كظم الغيض
والاحتمال للذل فقال ما الحلم قال اظهار الرحمة عن القدرة
والرضى عن الغضب فقال ما الكرم قال حفظ الصديق
وقضاء الحقوق فقال ما القناعة قال الصبر على الجوع
والعرى عن اللباس فقال ما الغنى قال استعظام الصغير
واستكثار القليل فقال ما الرفق قال اصابة الاشياء
الكبيرة بالآلة الصغيرة الحقيرة فقال ما الحمية قال الوقوف
على رأس من سودونك فقال ما الشجاعة قال الحملة في
وجوه الاعداء والكفار والثبات في موضع الفرار فقال
ما العقل قال صدق المقال وارضاء الرجال فقال ما
العدل قال ترك المراء وصحة السيرة والاعتقاد فقال
ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس
فقال ما الذل قال المرض من خلو اليد والانكسار من قلة
الرزق فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء فقال ما

قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال الترك في مع القدرة قال ما
الفهم قال التفكر واذكر الاشياء على حقايقها حكم ثمانية تحلب الذلة
على اصحابها ومن جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على صاحب
البيت والطامع في الاحسان من اعدائه والمضيف الاحمق اثنين
لم يدخلاه بينهما ومحقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم
عند من لا يستمع ومن صادق من يأمل حكم سئل بزرجمهر اي شئ يقبح
بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل
ممدوحا ولا ذو غضب مسرورا ولا عاقل حريصا ولا كريم حاسدا
ولا ترى قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا حكم قال الحكيم خمسة
يفرحون بخمسة ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور
والمنقطع عن اخوته اذا نالته شدة ومن امكنته فرصة على اعدائه
ثم عجز عن انتهازها ومن ابتلي بامراة سوء وتذكر المراة الصالحة
قبلها والرجل الصالح يقدم على ارتكاب الذنوب حكم سئل بزرجمهر
هل يتقلب المال قلوب العلماء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس
بعالم وقال حليم العتاب النظام خير من الحقد الباطن وقال بزرجمهر
اصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلثة محب فارق حبيبه وولد ضل عن ولده
وغني عاد فقيرا حكم وقال حكيم خمسة يكون المال اعز

من نفوسهم وارواحهم عليهم ودم المقاتل بالاجرة وحفار الآبار والآثار
وراكب البحر للتجارة والحوات الذي يصيد الحيات بيده واكل السم بالمسئلة
حكمة قال عمر من معدي كرب الكلام اللين يلين القلوب التي فيها
قسي من الصخرة والكلام الخشن يخشن القلوب التي فيها اللين من الحرير
وقال حكيم الحزن مرض الروح كما ان الوجع مرض الجسد والفرح
غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد وطب حكيم من رجل ان مدينة
دينا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك الا ان اخر وجبة من الحياة
ولو اعطيتني لم يصغر وجبة من طالبتك بل الغرة حكمة وقال
حكيم لم يزرع وطيبة لم يساو شيئا قيمته وقال من ليس له لب والاخلاق
فهو شجرة بلا ثمر وقال من سل سيف الجود قتل به نفسه ومن لم يضف
من نفسه لم يخلص من حسرته ومن اطلق يده بالعطاء اشرق وجهه
بالضياء ومن لم يحترز من ذنبه فقد تعلق به وقال الشباب
رضيع بالجنون والشيب قرين التوقر والسكون وقال تزقد
طائر الزلل ولا تخف من الاضدلة عظة قال لقمان الحكيم
كنت اسير في طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت ما انت ايها
الرجل فقال آدمي قلت ما اسمك فقال حيتي انظر ما ذا اسمي
فقلت ما تصنع قال ترك الاذى فقلت ما ذا تاكل قال ما يطعمني

ويعطيني فقلت لي من اين يعطيك فقال من حيث يشاء فقلت
طوبى لك وقرة عين فقال ومن الذي يمنعك عن مدة الطويل
وقرة العين حكمة ملئة تذهب الغم عن القلب صحبة العالم
وقضاء الدين ومشاهدة الحبيب وقال سنيان بجليان الحزن
الى القلب الطمع في جود البخلاء والمزاح مع الوضعاء وقال
تجنب اربعة اشياء وقد خلصت من اربعة اشياء تجنب الحسد
لتخلص من الحزن ولا تجالس جليس السوء وقد خلصت من الملامة
ولا ترتكب المعاصي وقد خلصت من النار ولا تجمع المال وقد استراحت
من عداوة الخلق حكمة قال الحكيم اربعة اعمال مذمومة بعملها
الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة احدها الغيبة فقد قيل
ان الغيبة فارس يلحق سريعا والثاني احتقار العلماء لانه
من حق العلماء عاد حقيرا الثالث كفران نعمة الله تعالى
الرابع قتل النفس بغير حق والانكار والحكماء مثل قديم وسوقهم
كل قاتل مقتول ولو بعد حين كما قال الشاعر
اذا امكنت بالسكين كفا لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأى عيسى قتيلا في طريق فعض على انامله طويلا
فقال لمن قتلت تراك حيا عدوت كما اراي ملقى قتيلا

الباب السادس في شرف العقل والعقلاء

اعلم ايها العاقل ان الله تعالى خلق العقل على احسن صفة وقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيئا اجل منك بك آخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب والدليل على صحة هذا ان الله تعالى على العباد شيئين الاول والثاني وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره فاتقوا الله يا اولي الالباب واولوا الالباب هم ذوو العقول والمعقل المنيع القلعة على راس الجبل لا تصل اليها يد احد لامتناعها وقوتها ولعكاها حكي سئل حكيم الفرس لم سمي العاقل عاقلا فقال لان للعاقل سبع علامات يعرف بها ومن يتجاوز عن ذنب من ظلمه. وان يتواضع لمن دونه. وان يسابق الى فعل الخيرات لمن هو اعلى منه. وان يذكر ربه دائما. وان يتكلم عن العلم. وان يعلم منفعة الكلام في موضعه. واذا وقع في شدة التجى الى الله تعالى. وكذلك الجاهل له علائم وهي ان يجور على الناس ويظلمهم ويعسف من دونه. وان يتكبر على الزعماء والمقدمين. وان يتكلم بغير علم. وان يسكت عن خطاء. ولو اوقع في شدة اهلك نفسه واذا راى اعمال الخير لفت عنها وجهه حكي قال سعيد بن جبير ما راى الانسان لباسا

اشرف من العقل ان انكسر صححه وان وقع اقامه وان ذل اعزه وان سقط في هوة جذب بضبعه منها واستنقذه وان افتقر اغناه. واول شيء يحتاج البليغ اليه العلم الممتزج بالعقل كما جاء في الحكاية حكي يقال انه ما كان في خلفاء بني العباس خليفة اعلم من المامون في جميع العلوم وكان له كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة الفقهاء، وكان يجتمع عنده الفقهاء، والمناظرون والعلماء، والمتكلمون فدخل بعض الايام الى مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس في اواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول فلما ابتدؤا في المسائل وكان رسمهم انهم يديرون المسئلة على جماعة اهل المجلس فكل من عرف زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها فدارت المسئلة الى ذلك الرجل الغريب فاجاب باجوبة احسن من اجوبة الفقهاء كلهم واستحسنه المامون فامر ان يرفع من ذلك المكان الى موضع اعلى منه فلما وصلت اليه المسئلة الثانية اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر المامون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضر الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا فقرب المامون ذلك الرجل ولوناه وطيب

اليه والانعام عليه ثم عني بمجلس الشراب وفضد وحض الندماء
الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما
على قدميه وقال ان لفلان امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقاك
قل ما تشاء، فقال قد علم الراى العالي زلوه الله علوا ان هذا
العبد كان اليوم في المجلس الشريف محيا بميل الناس ووضعاء الكلاس
وان امير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذي ابداه جعله معروفا
واعلى درجة وبلغ به الغاية التي لم يسم اليها همة والان يريد
ان يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي اعزه بعد
الذلة وكثره بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسده امير المؤمنين
على هذا القدر الذي معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد
اذا شرب الشراب باعد عنه عقله وثوب منه جهله وسلب
منه ادبه فعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا وضيع
في اعين الخلق حقيرا مجهولا فان راى ان لا يسلب هذه النعوت
منه بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه فعل مستطولا
وانعم متفضلا فلما سمع المامون منه هذا الكلام مدحه وشكره
واجلسه في رتبته ووقره وامر له بمائة الف درهم كاملة وحمله
على فرس وثياب وتحمل وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء

حتى صار ارفع منهم درجة واعلى مرتبة وانما اوقفنا على الحكاية
لاجل نعت العقل لان العقل يوصل صاحبه الى كل درجة عالية
ومرتبة سامية فان الجهل يحط صاحبه ويهبط عن مكانته

حكاية يقال انه جاء بعض الايام رجل الى باب الرشيد
المنصور وقال للحاجب اعلم ان بالباب رجلا من اهل الشام
اسمه عاصم ويذكر انه كان في الزمن الماضي بينه
وبين امير المؤمنين مصاحبة مدة اربعين سنة او اقل او اكثر في
التعليم والدرس وقد وصل الآن زائرا للسلام لتجديد العهد
بالامام فلما عرف الحاجب بذلك لون له فلما دخل وسلم
ثقل قدومه ووصوله على قلب ابي الدوانيق لغثاثة منظره
وسوء لقيه فاجلسه وسأله وقال له في اي حاجة قدمت
فقال لرؤية امير المؤمنين بوسيلة تلك الصحبة القديمة فامر
له بالف درهم فاخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة وكان
قد مات للمنصور ولد وهو جالس في عزيته فدخل الرجل
وسلم عليه وعزاه فقال له الخليفة فيم قدمت فقال انا
ذلك الرجل الذي كنت اتقدم معك العلم بان م وقد اتيت معزيا
لك برزيتك وموديا حق عزيتك فامر له بخمس مائة درهم وكان

ابى الدوانيق سنة بحجا ولم يكن في بني العباس ابخل منه ولهذا
لقب بابى الدوانيق ثم حاج ذلك الرجل بعد سنة اخرى فلم ير حجة
يحج بها في الدخول عليه الا انه دخل في جملة الناس وسلم فقال
له الخليفة لاي سبب وصلت فقال انا ذلك الرجل الذي كنت
معك بالشام في التعلم وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث
وكنت قد كتبت معك دعاء الحاجة كل من دعا به في حاجة قضا
الله حاجته وقد ضاع ذلك الدعا مني وقد اتيت يا امير المومنين
لاكتب لك الدعا واحفظه فقال له المنصور لا تتعب في طلب
ذلك الدعا فانه غير مستجاب فانه قد دعوت منذ ملك سنين
ليخلصني الله تعالى من صداعك فلم اخلص ولو كان مستجابا كنت
قد تخلصت منك فلما سمع ذلك الرجل هذا الكلام وانا اولا
هذه الحكاية لان الانسان لو كان عالما ولم يكن له عقل سقط
جاهه ومرتبته حكاية ويقال ان في ذلك العصر ايضا وصل رجل
من مدينة الرسول عليه السلام الى المنصور بحكم صداقة كانت بينهما
قديما فلما صار خليفة الزمان قدم عليه ووفد اليه وكان الرجل عاقلا
لبيبا ولم يكن عالما فلما راه قربه وازلفه واستدعاه وقرب منزلته
فقال ذلك الرجل يا امير المومنين انا احب لك شديد المحبة والولا

نسخة

لطف

مخلص في الطاعة والدعا غير انني لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغي ان اذكر
بحيث لا يظهر مني سوء ادب ولا اثقل على قلبك فقال المنصور
اخر الزيارة ولو ازرتني فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة
طويلة اذا غبت فيها لم اشتك واذا حضرت لم املك وان طالت
عندي محبتك عما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا عني حتى
يقربك الحاجب مني بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء
الادب ولا تسال حاجتك ليلا تثقل على قلبي ولو احسنت
اليك فاشكرني في كل محفل تحلها ومنزلة تنزلها بحيث اذا بلغني
ذلك سررت بشكرك والفوت في برك ولا تذكرني في المجلس ما
جرى بيني وبينك في الزمان الماضي فقبل الرجل هذه الوصايا
فكان في كل سنة يمضي الى سلامه مرتين وكان الخليفة يعطيه في كل
مرة يسلم عليه الف درهم وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان
له عقل وان لم يكن عالما فان عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم
وليس له عقل عادت اموره جميعها منعكسة منقلبة ومن كان تام
العقل والعلم كان في الدنيا نبيا او حكيما او اماما فان جمال الا
وعزه ومرتبته وصلاح احوال دنياه وآخرته بالعقل وتمام
وتكامل صفاته واقسامه وانواعه واصنافه كما قال الشاعر

نسان

بالعقل ينال المرء اوج التبدد والعقل به الجاه وسامي القدر
والعقل به يحسن عار الوزر في العقل النجاح مع نفاذ الاثر
العقل اول الايمان ووسطه الايمان وآخر الايمان وقال بعض القدماء
ليس العقل ان الانسان لفا وقع في امر اجتهد في حسن مخلاصه منه
بل العقل ان يجتهد ان لا يوقع نفسه في امر يحتاج الى الخلاص منه حكمة
قال برزجمهر الملك لولده احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف انتك
عن الرعية ليصرف العقل افته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل
حكم عليك فكما ينبغي ان يقبل الناس امرك فكذلك ينبغي ان تقبل
امر العقل حكمة كتب يونان الوزير كتابا الى العادل انوشروان
ولقي رسائل في باب العقل وما يامر به العقل فشكره انوشروان
وامر بان يكتب اليه جوابا وقال ايها الحكيم لقد احسنت في ما ذيرت رسالة
العقل لانا ومن تقدمنا من الملوك انما تحكمنا بالعقل تكيف يمكننا
مخالفته فان العاقل اقرب الناس الى الله تعالى والعقل كالشمس في
الدنيا وموقف الحسنات والعقل حسن في كل احد وموفي الاكابر
والزعماء احسن والعقل في جسد الانسان كالرطوبة في الشجرة للبن
الشجرة ما دامت طرية رطبة كان الخلق من نابحتها ونشر ازهارها وطيب
ثمارها ونظارتها وطراوتها في سرور وغبطة ونزهة وفرحة

فاذا

فاذا جفت رطوبتها وخشنت نضرتها فلا تصلح حينئذ لمسوى القلع والاحراق
والقطع وكذلك الانسان ما دام عقله قويا وحسه سليما فصحبته متبارية
وموا صلته حسنة نافعة فاذا زال العقل وغلب عليه الجهل حينئذ
لا يصلح للحبوة ولا يستره غير الوفاة وقال انوشروان كيف يسعني
ان اخالف العقل ولا افعل ما يامرني به العقل فانه ليس لملك
ولا لرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين المليح والقبيح والجيد
والردي والحق والباطل والصدق والكذب وقال برزجمهر سبحان
لا يمكن وجود سمات في شخص كاملين العقل والشجاعة وقال لقمن
الحكيم مهما كان الرجل عالما لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه
مصاحبا حكمة سئل انوشروان لبرزجمهر من تحتاج ان يكون
اعقل الناس قال العدو اذا عاداني فقال ولم قال لانه من
اساءته وكل شيء اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كان اكثر كان
صاحبه اعز حكمة وقيل لبرزجمهر اي شيء لا بد للانسان
منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر العقل فقال
شيء لا يوجد في احد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع
الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنى اعز
من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من كان علمه اوفر كانت حاجته الى

وكل من

لا عقل

العقل اكثر والمثل لهذا الكراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم
الذى لا عقل له وقالت العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز
والحفظ والفكرة والفهم وسرور الروح العقل لان به ثبات الجسم
والروح سراج منوره العقل ثم ينبسط في جميع الجسد والعاقل
لا يغتم ابدا لانه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بامر لا يجد مخلصه
الا استقام حكمة سئل ابن عباس رض العقل خير ام الادب فقال
العقل لان العقل من الله تعالى والادب تكليف من العبد
وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير ام الادب فقال العقل
فقيل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم والعلم
ان تعلم انه ينبغي ان تعمل والعقل انه اذا عملت عملت قال
رسول الله صلعم ما قسم الله تعالى لعباده خيرا من العقل وتوم
العقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم
وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل حكمة قال رجل لمقليدس
لا استريح او اتلف روحك فقال انا لا استريحني اخرج الحقد
من قلبك قال الحكيم كما يفوح من الميتة الرائحة المنتنة كذلك يفوح
من الجاهلية نتونة الجهل فتضر به وبجيرانه واقاربه حكمة سئل حكيم
ما العقل فقال العقل شداد وعقدة بين تسعة وعشرين شيا وثلثين

لعله فترنا

شيا فلولا مدة العقد لاختلط الجد بالهزل او لامتى عقدة بين التوحيد
والشرك وبين الايمان والكفر وبين الخير والشر وبين الاسلام والغفلة وبين
اليقين والشك وبين العافية والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن
الخلق والفضائح وبين التواضع والكبر وبين الصداقة والعداوة
وبين المدح والذم وبين السلامي والجهل وبين الحياء والوقاحة وبين الحق
والباطل وبين الرزانة والخفة وبين الظلمة والضياء وبين الكرامة
والذلة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله والغفلة وبين النصيحة
والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحكمة
والحمق قلت صاحب الكتاب جمع محاسن الناس في العقل وسائر
العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكاية حكاية
يروى ان الريح حملت كرسي سليمان عليه السلام وجعلت تسير به فلاح
لسليمان بلد فامر الريح ان تحطه فنزل فراى على باب ذلك البلد
مكتوبا اجرة اجتهاد يوم درهم والحسن والجمال في يوم اجرته مائة
دينار وعلم ساعة واحدة لا يحصى قيمته وجميع الاشياء منوط بالعلم
والعلم اسير الراي والتدبير مع العقل توامان ومن اعطاه الله
تعالى العقل فقد اتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر
ان كنت من اصل جوم منسوب او يوسف في الحسن في يعقوب

مات لفقد عقل المحبوب • في الناس سوى الخرق معيوب
لتعلم ايها الاخ كنه نفاسة العقل وعلو قيمته فيجب عليك ايها العاقل
الحمد والشكر لواهب العقل وهو الباري جلت عظمته •

الباب التاسع

في نعت النساء وذكر ما فيهن من خير وشر

قال النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء وابركهن الحسناء الولود
الخفيفة المهر • وقال عليه السلام عليكم بالمراة البكر فانها اطهر
وابرك • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه التجوا الى الله من شرار
النساء واحذروا اخيارهن • وقال صاحب الكتاب من اراد
صلاح دينه وتدبيره ولم يجد المراة الحسناء ليلهو بها فعليه بالمراة
الدينة فذات الدين خير وابرك واذا جاءت الديانة اتى المال لان
المراة التي لا دين لها ما لها اصل ولا مها بركة وبركة الديانة توجد
كل خير كما جاء في الحكاية • حكاية كان ببلدنا مرو رجل يقال له نوح
بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها وكان له نعمة كبيرة وحاله موفورة
وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فخطبها منه
جماعة من اكابر الروسا وذوي النعمة والثراء فلم يهبها لاحد منهم وحيرهم
في امرها ولم يعلم لايهم يزوجها وقال ان زوجتها بفلان اسخط فلانا
وكان له غلام سندي دين تقي اسمه مبارك وكان له كرم عاجر كثير الابكار

يزوج م

والنعمة

والفاكهة والثمار فقال للغلام اريد ان تقضي وتحفظ الكرم فمضى الغلام
واقام في الكرم شهرين فجاء سيده بعض الايام الى الكرم فقال له
يا مبارك ناولني عنقودا عنب فناوله عنقودا فوجده حامضا فقال
سيده اعطني غير هذا فناوله عنقودا حامضا ايضا فقال سيده
ما السبب في انك لا تناولني في هذا الكرم الكبير الا الحامض فقال
لاني لا اعلم الحامض من الحلو فقال سيده سبحان الله لك مدة شهرين
مقيم بالكرم ولا تعلم الحامض من الحلو فقال وحقك ايها السيد اني
ما ذقته ولا اعلم حامض هو او حلو فقال سيده لم لا تاكل منه فقال
لانك امرتني بحفظه ولم تامرني باكله فما كنت اخونك فتعجب منه القاضي
وقال حفظ الله عليك امانتك وعلم القاضي ان الغلام عزيز العقل
فقال له القاضي ايها الغلام قد وقع لي فيك رغبة وينبغي ان
تفعل ما آمرك فقال انا طايع لله ولك فقال اعلم ان لي بنيتا
جميلة وقد خطبها كثير من الاكابر والمتقدمين ولا اعلم لمن ازوجها
فاشر علي بما ترى فقال اعلم ان الكفاءة في زمان الجاهلية كانوا
يريدون الاصل والنسب والبيت والحسب واليهود والنصارى
يطلبون الحسن والجمال وفي عهد رسول الله كان الناس يطلبون الدين
والتقى وفي زماننا هذا الناس يطلبون المال فاخر الآن من هذه الاشياء

الاربعة ما ترید فقال له القاضی یا غلام قد اخترت الدین والتقوی
واریدان ازوجک بابنتی لانی قد وجدت فیک الصلاح والدیانة وحببت
منک التقی والامانة فقال الغلام ایها السید انا عبد رقیق سندی اسود
ابتغنی بمالک کیف ترضی بابنتک وکیف تختارنی بنتک وترضانی
فقال له القاضی قم بنا الی البیت لنذبر هذا الامر فلما صار الی
المنزل قال القاضی لزوجته اعلمی ان هذا الغلام السندی دین تقی
وقد رغبت فی صلاحه واریدان ازوجه بابنتی فما تقولین فقالت
الامر لک ولکن ابیضی واعلمی الصبیة واعید علیک جوابها فجاءت
الام الی الصبیة فاذا بنت الیها رسالة ابیها فقالت الصبیة مهما
امرتمانی به فعلته ولا اخرج عن حکمکما ولا اعیقکما بالمخالفة
لامرکما فزوج القاضی ابنته بمبارک واعطاها مالا عظیما وکان
مبارک ولدا اسماه عبدالله وهو معروف فی جمیع العالم عبدالله
بن المبارک صاحب الزهد والعلم وروایة الحدیث وما دامت
الدنیا فالحدیث عنه یروی ثم ایها الاخ لفا تزوجت فاطلب
ذات الدین ولا تطلب ذات الصیت والمال فان المال
یعود وبالا ولا تطیعک المراة ولفا الموت ان تطلب زوجة
فلا تخطبها لاجل الشهوة بل اطلبها بنیة انها دینة وصاحبة لیکون

فی حرزک وطاعتک وتکون لک ستراً من النار **حکایة** نزل لعبدالله
المبارک بعض الایام عشرة اضیاف من العلماء ولم یکن له ما یضیفهم
به وبما کان یملک سوی فرس کان یحج علیه حجة ویغزوه غزوة فذبح ذلک
الفرس وطبخ منه وغرفه وقدمه بین یدی الاضیاف فقال له زوجته
ما کنت تملک من الدنیا غیر هذا الفرس فلم ذبحته فدخل سریعا الی بیته
واخرج من متاع البیت بقدر مهرها وطلقها فی ساعته ووفقه وقال
امراة تبغض الاضیاف لا تصلح لی فاتاه بعد ذلک رجل فقال له
یا امام المسلمین لی بنت وقد توفیت امها وهی کل یوم تمزق ثوبا
من الثیاب حزنا وبکاء والیوم تزید تقصد مجلسک فقل فی تسلیها شیا
لعلها یرق قلبها فلما جلس علی المنبر ذکر من هذا الباب ما تسلت
به الصبیة عن امها فلما عادت قالت یا ابت قد ثبت ولا اعود
اسخط الله سبحانه ولکن الیک حاجة قال ما حاجتک قالت ان تقول
لی دائما ان ابنا، الدنیا تخطبک وارباب الاموال تطلبونک
فناشدتک الله لا تزوجنی بغیر عبدالله بن المبارک فانه ان کان
لنا دنیا فله دین فزوجها ابوها بعبدالله بن المبارک وحمل معها
الیه جهازا کبیرا ومالا کثیرا وانفذ برسم عبدالله عشرة افراس لیجاهد
علیها فی سبیل الله فرای عبدالله بعض اللیال فی منامه کانا قایلا

يقول له ان كنت طلقت لاجلنا امراة عجوزا فقد اعطيناك عشرة
بكرا وان كنت ذبحت فرسا واحرا لاضيافك فقد اعطيناك عشرة
اذا سي عوضه لتعلم ان الحسنة عندنا بعشرة ولا يضيع لدينا اجر
محسن وما عاملنا احد فخسر ولا يخسر كما جاء في الحكاية حكاية
روي ابو سعيد انه كان في زمان بني اسرائيل رجل صالح وله
زوجة دينة تقية ذات جمال ورأى وحزم فاوحى الله تعالى الى
نبي ذلك الزمان انه قل لذلك العبد الصالح اني قد قدرت له
ان يقضي نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى فان اختار غناه
ان يكون في شبيبته اغنيته وان اختار غناه في شيخوخته قدرنا
له ذلك ويسرناه فلما علم الرجل ذلك اخبر به زوجته وقص عليها
ما سمعه وقال ما ترين فقالت الاختيار اليك فقال الرجل
قد رأيت ان اختار الفقر في الشبيبة فاني اذا كنت شابا
فقيرا احتملت الفقر وصبرت عليه ولفاجرت كبيرا غنيا كان
لي ما انقويت به واشتغل بطاعة ربي وعبادته فقالت المراة
ايها الرجل اذا كنا في الشبيبة في فقر وضنك لم نقدر على طاعة
ربنا تعالى ولم تصل ايدينا الى فعل الخيرات واعطاء الصدقات
فيجب ان نختار الغنى في زمان الشباب ليكون لنا شباب وغنى
وطاعة فنقدر حينئذ على عبادته باجسامنا واموالنا فقال الرجل

نعم ما رأيت وكذلك نفعل فاوحى الله الى النبي وقال قل لذلك
الرجل اذ قد آثرت لي عتنا واستفرغت جهدك في عبادتنا
واتفقت نيتك ونية زوجتك على فعل الخيرات فقد قضيت
وقدرت ان يقضي جميع عمرك في الغنا واليسار فكن انت وزوجتك
على طاعتي ومهما رزقتكما فتصدقا به على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا
وحظ الآخرة قال صاحب الكتاب وانما اوردنا هذه الحكاية
لتعلم ان من كانت له قرينة صالحة كانت جميع احوال دنياه وآخرته
في غاية الصلاح قال ابن عباس دخل رسول الله صلعم يوما الى
بيت ام سلمة فرآها قد صلت الصبح وهي تسبح فقال يا ام سلمة
لم لا تصلين في جماعة ولم لا تصلين صلوة الجمعة ولم لا تجاهدين
وتجاهدين في سبيل الله وتختمين القرآن فقالت يا رسول الله
صلعم كلها اعمال الرجال فقال عليه السلم وللنساء ايضا ما يعادل
هذه الاعمال فقالت وما تلك الاعمال التي تعادل هذا فقال اذا
ادت المراة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المغزل كانت
كانها تسبح وما دام المغزل في يدها كانت كانها تصلي جماعة
واذا طبخت القدر لاجل اطفالها تساقطت ذنوبها واذا غزلت المراة
بغزلها مثل عمارة القناطير والربط ومن صوت مغزلها يفتح حيطان

بينهما وبين اصوات تبلغ لاتحت العرش احرما اصوات قينات
القراة المجاهدين في سبيل الله والثالث صوت المعلمات
والثالث اصوات المغازل للصوفات من النساء، قال
الاحنف بن قيس ان اردتم ان تتكلم النساء فعاشروهن
باحسن الاخلاق وجامعوهن باقبح الجماع وقال امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاتحدثوا النساء بحديث العشق فانه
تفسدوا قلوبهن فالنساء كلهم مبلغ في بريته ما له حافظ غير الله
تعالى قال الغيرة قضيت زمان مع النساء بثلثة اشياء
في زمن شبابي بالجماع وفي زمن كهولتي بالمزاح والحديث وحسن
الخلق وفي زمن شيخوختي بكثرة المال وسعة النفقة واما
الاستكثار من الجواري فغير محمودة الا ما قدرت على الا اجتمعهن
روي سلمان انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير النساء
فقال من تطيع زوجها فيما يامر فقيل فمن شر هن قال التي تكلف
بعلها ولا تطلب رضاه حكي دخل حكيم على معلم يعلم البنات
الخط فقال له يا معلم اتعلم الشر الشر يقال انه كان نبتا
امراتان في مشورة فاجتازبهما حكيم فقال انظروا الى حية
السم من حية سئلت امراة عاقلة ما ادب النساء فقالت وما

عيوب الرجال فقيل البخل والجبن فقالت هذان من آداب النساء
تزوج بعض الحكماء امراة قصيرة فقيل له لم لا تزوج بامراة تامة
فقال المراة شر وكلما قصر الشر كان اصلح وقال بعض الحكماء النساء
والزوجات على اربعة انواع امراة كلها للرجل وامراة نصفها
للرجل وامراة ثلثها للرجل وامراة هي عدوة للرجل اما المراة
التي كلها للرجل فهي البكر والتي نصفها للرجل فهي الراجع والتي ثلثها
للرجل فهي التي تكون قد مات زوجها الاول ولها منه ولد واما
العدوة فالمطلقة التي زوجها بالحياة ولها منه ولد وقلبها
فاعلم اذن ان خير من البكر يقال ان حوا لما عصت ربها
في الجنة عاقب الله تعالى النساء بثمانية عشر عقوبة الحيض
والولادة وفراق امها وابيها وحصول لها مع اجنبي يتزوجها
والنفاس والتلطخ به وانها لا تملك امر نفسها ونقصان ميراثها
والطلاق وكونه في يد غيرها وما حلل للرجل ان يتزوج باربعة
وما لها ان يتزوج الا بواحد واعتكافها في بيتها وتغطية راسها
في بيتها وشهادة امراتين بشهادة رجل وانها لا يحل لها ان تخرج من
بيتها وحرمانها الامع ذي محرم وان الرجال يصلون صلوة الجمعة
والعيدين والجنازة ويجاهدون وما للنساء ذلك وانه لا يصلح

ان يكون فيهن امارة ولا قضاء ولا علم وان الثواب والاجر اليوم
قسم للنساء ستة قسم واحد وان النساء الفاجر يعذبن بنصف
عذاب جميع الامة يوم القيامة وان المراة تعذب لموت زوجها
اربعة اشهر وعشرا وانها لو طلقها زوجها اعتدت بثلثة
اشهر او ثلث حيضات فهذه عقوبة النساء التي ذكرناها

ذكر سير النساء وعاداتهن هذا

اعلم ان جملة النساء على عشرة اصناف وصفة كل واحدة
تشبه صفة الحيوانات فالواحدة كالخنزير الثانية كالقرد
الثالثة كالكلب الرابعة كالحية الخامسة كالبغلة السادسة
كالعقرب السابعة كالفار الثامنة كالطير التاسعة
كالثعلب العاشرة كالغنمة تفسيره اما التي عاداتها
كعادة الخنزير فانها التي لا تحسن عين الاكل وحشو البطن
والكسر للاواني ولا تبالي اين مضت ولا تهتم بالدين والصلوة
والصوم ولا تفكر في الممات والوعد والوعيد والثواب والعقاب
والامر والنهي بل تكون غافلة عن رضى الله وسخطه ولا تشتغل
بحفظ الاولاد وتاديبهم وتعليمهم القران والعلم وتلبس الثياب
القذرة وتظهر منها الرائحة المكروهة واما التي عادتها كعادة القرد فهي التي

تكون همتها في لبس الثياب الملونة من الاصفر والاحمر والاخضر
ولبس اللؤلؤ والجوهر والتحلي بالفضة والذهب وتفتخر على اقرانها
وتعظم منزلتها عند زوجها وربما كان حالها بخلاف ذلك واما التي
عادتها عادة الكلب فهي التي اذا كلمها زوجها وثبت في وجهه
وصاحت عليه وخاصمته ووثبت عليه كالكلب وربما ابصرت كيس
زوجها ملانا من الذهب والفضة وبيته محشوا اثاثا وباكرا والحظ
والنوى والفاكهة اكرمته وتقربت اليه وقالت له روحي لك الفداء
ولا لقاك الله مكروها وانا اموت فداك وقدمت قبلك ومتى كان
حاله بخلاف ما ذكرنا وثبت كالكلب في وجهه وشتمته وتنقصت
بحسبه ونسبه واخرجته من بيته وعيرته بالفقر ولا تسكن بوجهها
اجمع البتة واما التي عادتها كعادة الحية فهي التي تلين كلامها
لزوجها وتضمر له شرا ولا يرى للخير اثرا فهي كالحية لين لمسها
قاتل سمها واما التي عادتها كعادة البغلة فهي التي تكون حرونة
كالبغلة اذا وقفت على الجسر كلما ضربت لا تبرح وتكون لجوجة
منفردة برايها معجبة بنفسها واما التي كالعقرب فهي التي
تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغمز والتسمع لاحاديثهم ثم
بها وتوقع بينهم العداوة والخصومة والفتن مثل العقرب اين وصلت

ضرب لحمها ولا تخاف ان تكون من الذين قال في حقهم رسول الله صلى الله
وسلم الفساق لا يدخل الجنة • واما التي عادتها كعادة الفار في
المراة السراقة التي تاكل كيس زوجها وتسرق منه وتخباه في بيوت
جيرانها وتسرق من حنطته واسبابه وتعطيه الغزالات • •
واما التي عادتها كعادة الطير في التي تدور طول نهارها ولا تستريح
من دورانها وتقول لزوجها اين تمضي ولا شك انك ما تريدني وانك
تحب غيري ولست مني مسقيما • واما المراة التي لها عادة الثعلب
فانها التي تخرج زوجها من البيت وحمارة في البيت اكلته وتمالت
وتعاللت ولو ادخل زوجها فتحت عليه باب الخصومة والبدتة
بالنقار وتقول له تركتني في البيت وحيدة مريضة • واما
التي لها عادة الغنمة في المباركة الرحيمة كالغنمة التي كل شيء
منها فيه منفعة وكذلك المراة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة
على زوجها وجيرانها وقرابتها واهل بيتها واولادها المطيعة لربها
تعالى **فصل** واعلم ان ديانة المراة وسترها نعمة من نعم
الله تعالى على عبده وسيهات ان تقدر على المراة العفيفة طامع كما جاء في
الحكاية **حكاية** يقال انه اراد رجل فاسق ان يكابر امراة عفيفة
بالحرام فقالها امضي واغلق ابواب الدار جميعها واتى اغلاقها فمضت

المراة ثم عادت فقالت قد غلقت سائر الابواب واوثقتها
اغلاقها سوى باب واحد فقال اي الابواب ذلك الباب قالت
تلك الابواب التي بيننا وبين الخلق قد اغلقتها وقد بقي الباب الذي
بينك وبين الخالق جلت قدرته وقيل عظمته ما قدرت عليه
ولا استطعت ان اغلقه وسوجاله مفتوح فوقع في نفس الرجل من هذا
الكلام الهيبة فاخلص لله التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى الطاعة
ربه **حكاية** يقال انه كان رجل علوي بسمرقند بعض الايام قاعدا
على باب داره فاجتازت عليه امراة ذات حسن وجمال وكان
الدرب خاليا فقبض العلوي على زند المراة وجذبها الى داخل
الدار وتم ان يفعل معها فقالت له المراة اسالك مسئلة
فاجبني عنها وافعل بعدذلك فقال لها وما تريدين فقالت
لها انت وطيتني حراما وحبلت منك وولدت ولدا مثلي
يكون ذلك الولد علويا او حنثا عاميا فقال انه يكون علويا
فقالت المراة لا شك انك انت ايضا من جنوث العلويين
ولو لم تكن حنثا لم تفعل مثل هذا الفعل العلوي في الحال ورفع يده
عنها ونذر على نفسه نذرا انه لا يعود ينظر الى امراة محرمة عليه نظر
فساد وينبغي ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه وناسه فان الحمية

من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل الاجنبي ان يسمع دق المراة
الاجنبية بالهاون واذا دق رجل اجنبي باب الدار فلا يحل
للمراة ان تجيبه فلتصنع اصبعها في فمها وتجيبه ليصير صوتها شبيها
بصوت المخانيث ولا يجوز للنساء ان ينظرن الى الرجل الاجنبي
ولو كان المنظور اليه اعمى فقد جاء في الخبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل في بيت عائشة فراى عبد الله بن ام مكتوم قاعدا
عند النساء فقال يا عائشة لا يحل للمراة ان تقعد عند غير ذي
محرم فقالت يا رسول الله انه اعمى فقال ان كان ما يراك فانك
ترينه حكاية يحكى ان الحسن البصري رحمه الله قصد زيارة
رابعة العدوية رضي الله عنها في جماعة من اصحابه فلما وصلوا الباب قالوا
ائذني لنا في الدخول فقالت رابعة تمهلوا ساعة وجعلت
الكساء بينهم وبينها سترا ولفت لهم فدخلوا وسلموا عليها
فاجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا
فقالت اخذت ذلك في قوله تعالى فاسئلوهن من وراء حجاب
وواجب على الرجل ان لا ينظر الى امراة اجنبية بحال فانه قيل
ان يجازى به في الدنيا كما جاء في الحكاية حكاية كان بمدينة بخارا
رجل سقا يحمل الماء الى دار رجل صايغ مدة ثلثين سنة وكان

بخارى ٩ م

لذلك الصايغ زوجة في نهاية الحسن والجمال والظرف والكمال
معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء السقا على
عادته يوما وقلب الماء في الجباب وكانت المراة قاعدة وسط
الدار فدنا منها السقا واخذ بيدها فغرزها ولواها وعصرها ثم
مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له اريد ان اتوفى
اي شيء صنعت اليوم في السوق لم يكن لله تعالى فيه رضى فقال
الرجل ما صنعت شيئا فقالت المراة ان لم تصدق وتعرفني فارحمني
في بيتك ولا تعودن تراني ولا اراك فقال اعلمي ان يوما هذا
اتت امراة الى دكاني فصنعت لها سوارا من ذهب فاخرجت
المراة يدها ووضعت السوار في يدها فتحيرت من بياض يدها
وحسن زندها فتذكرت هذا المثنوي وقلت
في ساعدها سوار تبر واري ○ كالنار رشت فوق ماء جاري
لم يحظ في سواجس الافكار ○ ماء وله منطقة من نار
ثم اخذت يدها فعصرتها ولويتها فقالت المراة الله اكبر لما
فعلت مثل هذا الاجرم ذلك الرجل الذي كان يدخل الي
منذ ثلثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدي وعصرها وغرزها
فقال الرجل الامان اتيتها المراة انا تايب مما بدا مني فاجلسني

في حل فقالت المرأة الله المسؤل ان يجعل عاقبة امرنا الى الخير فلما كان
من الغد جاء السقا والقى نفسه بين يدى المرأة وتمرغ على التراب
وقال يا صاحبة المنزل اجعليني في حل فان الشيطان اضلني واغواني
فقالت له المرأة امض في حال سبيلك فان ذلك الخطأ لم يكن منك
وانما كان من ذلك الشيخ الذي في الدكان فاقتص الله تعالى منه
في دار الدنيا فكذلك ينبغي ان يكون المرأة مع زوجها ظاهرها
وباطنها واحد وتقنع معه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدي
بعايشة رضي الله عنها وفاطمة رضي الله عنها لتكون من خواتين الخلد
كما جاء في الحكاية **حكاية** كانت فاطمة صلوات الله عليها تطحن
كثيرا بالجاروشة حتى لوعت انا ملها فشكت ذلك في بعض
الايام الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال
على قولي لابيك ليبتاع لك جارية فاتت رسول الله صلعم وقالت
يا رسول الله اني مفتقرة الى خادمة تعينني في اشغالي وتخدمني
عني بعض الثقال فقال عليه السلام الا اعلمك يا فاطمة ما سو خير لك من كل
خادم وخادمة واعز من سبع سموات وسبع ارضين فقالت
علمني يا رسول الله فقال لها اذا اويت النوم فقولي قبل مناك
ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول

الاولى

ولا قوة الا بالله العظيم وفي الاخبار انهم لم يكن لهم في البيت
الا كساء كانوا اذا اعطوا به رؤسهم انكشفت ارجلهم وفي الليلة
التي كانت فاطمة عروسا وزفت الى علي بن ابي طالب كان تحتهما
جلد شاة كانا ينامان عليه وما كان لفاطمة من متاع البيت
سوى كسا، وفخ من ليف لاجرم ينادي لها مناد يوم القيمة
يا اهل الموقف غضوا ابصاركم حتى تعبر سيدة النسآء،
فاطمة الزهرآء والمرأة تتزين عند زوجها وتتمو محبتها في قلبه
باكرامها له وطاعتها لامره وقت خلوتها بها ومجامعته لها وتحفظها
منافعه واجتنابها مضارّه وتزينها له واكتنانها في بيتها
وقلة خروجها من حذرها وبان تكون عند عبقة النشر متحملة الامر
وبان تحفظ وقت طعامه وجهما علمت انه يشتهيه اصطنعته
له بطلاقة وبشر وبان لا تكلفه حاجة مستطيلة وان لا تكون
لجوجة وان تسترنفسها عند منامها وبان تحفظ سر زوجها في غيبته
وحضوره قال صاحب الكتاب واجب على الرجال ان يؤدوا
حق النسآء العورات وان يحتفظوا بهن من وجه الترحم والاحسان
والمداراة ومن الواجب ان يكون مشفقا على زوجته متحببا اليها
رحيما لها فليذكر عشرة اشياء مما خوالها لينصفها بها اولها

ان المراة لا تقدر ان تطلقها وهو قادر على طلاقها متى شاء، وانها
لا تقدر ان تاخذ منه شيئا بغير لقمة وهو قادر على ذلك وانها ما دامت
في جبالك لا تقدر على الزواج عليها
وانها لا يجوز لها ان تخرج من البيت بغير اذنك وانت يجوز لك وانها
لا يمكنها ان تتزوج وانت يمكنك وانها تخافك وانت لا تخافها وانها
تقنع منك بطلاقة وجهك في وجهها وبالكلام اللين وانت لا ترضى
بجميع افعالها وانها تفارق اخاها وابانا وجميع اقاربها لاجلك
وانت لا تفارق احدا لاجلها وتقدر ان تتسرى وتختن بالحواري
دونها وانها تحذمك ايانا وانت لا تحذرها وانها تتلف نفسها
اذا كنت مريضا وانت لا تغتم لها ولو ماتت فهذه الوجوه التي
ذكرناها يجب على العقلاء ان يكونوا رحماء للنساء ولا يظلمون
ولا يجورون عليهن فان المراة اسيرة للرجل ويجب على الرجال
مداراة النساء لنقص عقولهن وبسبب نقصان عقولهن
لا يجوز لاحد ان يتدبر بارائهن ولا يلتفت الى اقوالهن
ومن اعتمد على ارائهن وتدبر نفسه بمشورتهن خسر كما جاء في
الحكاية حكاية يقال ان خسرو پرويز كان يحب باكل
السمك وكان يوما جالسا في المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد

ومعه سمكة كبيرة واهدا الى خسرو ووضعها بين يديه فاعجبته
فامر له باربعة الف درهم فقالت شيرين بئس ما فعلت فقال
ولم فقالت لانك اذا اعطيت بعد هذا الاحد من جنسك هذا
القدر احتقره وقال اعطاني عطية الصياد وان اعطيته
اقل منه قال قد اعطاني اقل مما اعطى الصياد فقال پرويز
لقد صدقت ولكن ينبغي بالملوك ان يجودوا في مباديهم وقد فات
هذا الامر فقالت شيرين انا لا ابرح من هذا الحال وقال فكيف
ذاك قالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر ام انثى
فان قال ذكر فقل انما اتوت انثى وان قال انثى فقل انما اتوت
ذكرا فدعى الصياد فعاد وكان الصياد ذا ذكاء وفطنة
فقال له پرويز هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض
وقال هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى ففحك خسرو من كلامه
وامر له باربعة الف درهم فمضى الصياد الى الخازن وقبض
منه اربعة الف درهم ووضعها في جراب كان معه وحملها على عنقه
وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب
عن كاهله وانحنى على الدرهم فاخذه والملك وشيرين ينظران
اليه فقالت شيرين لخسرو رايت الى خسة هذا الرجل وسفالته

سقط منه درهم واحد فالقى عن عنقه ثمانية الف درهم والقى على ذلك
الدرهم فاخذه ولم يسهل عليه ان يتركه فكان ياخذه غلام من غلمان
الملك فجرد برويز من ذلك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم امر
باعادة الصياد وقال يا ساقط الهمة لست بانسان وضعفت
مثل هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحد واسفت ان تتركه
من مكانه فقبل الصياد الارض وقال الى ال الله بقاء الملك
انى لم ارفع ذلك الدرهم لحظ عندى وانما رفعته عن الارض
لان على وجهه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت
ان ياتى احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا باسم
الملك وصورته واكون انا الماخوذ بهذا الذنب فعجب خسرو
من كلامه واستحسن ما ذكره فامر له باربعة الف درهم
فعاد الصياد ومعه اثنى عشر الف درهم وامر خسرو منادیا
ينادي لايدبرن احد برأى النساء فانه من تدبر برأيهن
وايتمر باوامرهن خسر درهمه ودرهمين **فصل** قال صاحب
الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة
لاتصح بغير رأى وتدبر وقيل شاوروهن وخالفوهن وجب
على الرجل الفاضل المستيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء

وطلبهن وليزوج البنت لاسيما اذا بلغت ليلا يقع فى
العار والعيب ومرض القلب وعلى الحقيقة فكلما نال
الرجال من البلا، والهلاك والمحن فبسبب النساء، كما قال الشاعر
من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الرحمن او يخشى من السلطان
اللص لولا ان لم يكن بائعا • للروح منه مارخص الاثمان
وبهن فرع آدم لما يوسف • فى محكم التنزيل بالعصيان
ولذا اكى ماروت ببابل منكس • ومعلق بالشعر حد آعان
مجنون عامر ما مام من حب النساء • فى السند باد عجائب النسوان
كل البلا منهن يأتى والوفا • منهن لا ياتى مدى الازمان

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا ابدا الى يوم الدين ورضى الله
عن اصحاب رسول الله اجمعين
وكان الفراغ من كتابتها فى العشر
الاول من شعبان المبجل ليلة الثلثا
المعقبة يوم الجمعة من شهر صفر
سنة ثمان وسبعين وثمانمائة
على يدى العبد
الذليل
على

نفع الله لمن قرأ، وسمع واستفاد
وعفا عن كاتبه ولجميع المسلمين

يُروى أنه لما ضعف الامام الغزالي رحمة الله عليه وتيقن الموت امر من عنده بالبيت ان يخرجوا عنه وان لا يدخلوا اليه الا في صبحة اليوم الثاني فدخلوا عليه كما امرهم فوجدوه مستقبل القبلة مسجى بثوب ميتا ووجدوا عند راسه صحيفة فيها هذه الابيات بخطه

الابيات هنا ٥

قل لاخوان يراوني ميتا ... فيكون ورثوا لي حسرتا
أتظنون بأني ميتكم ... ليس ذاك الميت والله انا
انا في الصور وهذا جسدي ... كان بيني وقميصي زمنا
انا كنز وحجابي طلسم ... من تراب قد تجلى للفنا
انا در قد حواه صدف ... كان سجني فألفت السجنا
انا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه وتخلى للفنا
احمد الله الذي خلصني ... وبنا لي في المعالي وطنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا
وانا اليوم اناجي سلما ... وارى الله جهارا علنا
عاكف في اللوح اقرى واري ... كل ما كان وياتي ودنا
وطعامي وشرابي واحد ... فهو رمز فافهموه حسنا
ليس خمري سائغا او عسلا ... لا ولا ماء ولكن لبنا

فافهموا

فافهموا السر ففيه نبأ ... اي شيء تحت لفظي كمنا
فاسمعوا بيتي ورصوا قفصي ... وفكوا الطلسم بأني رهنا
لا تظنوا الموت موتا انه ... لحياة وهي غايات المنى
حي على الدار نوم معرف ... فاذا مات اطال الوسنا
لا تزعجكم صيحة الموت فما ... هي الا انتقال من سنا
وخذوا في الزاد جهد الاستطا ... ليس بالغافل منا مننا
واحسنوا الظن برب راحم ... تشكر السعي وتاتوا امنا
ما اراني نفسي الا انتموا ... واعتقادي بكم انتم انا
عنصر الانفس منا واحد ... وكذا الجسم جميعا عمنا
فتى ما كان خيرا فلنا ... ومتى ما كان شرا فبنا
فارحموني ترحموا انفسكم ... واعلموا انكموا في اثرنا
اسأل الله لنفسي رحمة ... رحم الله صديقا امنا

وعليكم سلام طيب ... يسلم الله عليكم وشفا

فائدة في تفصيل المنجيات بتفصيل الفرج لا ازال

اشتد ازمة تنفرج ... قل الطاف الله بي

ومن سوء غير الله بي ... مولاي ما زال برحمته

ينجي الغرقا من اللجج

واذا خطب بالعبد لم ... واشتق من اكل الربيع ... فعوايده ومزايده
تغدو باللطف لنا وبجي ... سلم لقضاء الله وثق ... منه بالفوز من الرجح
وبلا يأه ورزايأه ... تسبي في الناس على بجي ... لمقاديرٍ سبقت فاصبه
فالصبر يؤل الى الفرج ... وارجو الرحمن فرحته ... ولجنتها الخلق على دجى
واذا اختصت برزيته ... فيما اسلفت من العوج ... فاب لله وكن فرحا
بقضاء الله اذل تلج ... في رحمته وتكون من اللا ... حين اليه وتبتهج
وادعوه لكشف الضر وقل ... بلسان منطلق لهج ... ارجوك لها ياكاشفها
يرحمني بالنصر وتفرجي ... قل ذا كل ثلثا معتصما ... بالله بقلب مفرجي
بسريع اجابته وارفع ... شكوا كل اليه وسل ترجي ... فهو المسؤل تعالى الله
مزيل اللبس عن المنهج ... فجميع الخلق بقبضته ... من ساكنهم والمختلج
فيتحر لهم ويكفيهم ... جل الرحمن ارلفته ... وذو وحضر وذو وفرجي
تجري في الناس بلا عوج ... فذو وعسم وذو ويسر ... وصعود وهم وهبوطهم
وسعادتهم وشقاوتهم ... تسعى في التسيير على نهج ... في اللوح بحكمة مدرجي
ما بين ثرى وعلا اوجى ... درج قسمت ثم اندرجت ... فاذا وافتك مراحمها
فتأملها وتحمل ما ... تاتيك به من مرتجي ... فاسرح فيها بالفكر وجي
فاشكر لله بلا لججي ... ولفا تابتك مصايبها ... تحت الاقدار بمندرجي
وتجرعها بالصبر وكن ... واذا قاربت تنايبها

ايا كل سناك من الفلج ... لتكون جح الناجين مع السباق الى اعلى الدرج
فهم السادات بسودهم ... فسواسم هم عرج العرجي ... وعسى تحظى بلحاق القو
م ولو نفسا كالمتمرجي ... واذا استغنت طرق سدى ... فاسلك فيها كل البرجي
واذا استصبحت مصابيح الهدى ميزت على السرجي ... والغبن يسوءك ان فرت
عن خدمته مجها وجي ... واستنشقتها ارج النوى ... لتميل الى ذاك الارجي
واواره ونواسيه ... من قام بها لفؤاك يجي ... والعقل يزين لصاحبه
والجهل يعين على الهيج ... لخف الرحمن وسطوته ... وعلى الطاف الله عجي
ويكون الخوف مساو للطمع المرجو اذا ترجي ... لاتحكم في احد الطرفين
ان ترجح فتكون بجي ... وذر العصيان فمن يعصي ... مولاه دجى ونفى وبجي
فركوب الذنب مرارته ... تخلو للقلب المعتلج ... وظلام الاثم يعارضه
انوار التوبة كالبلجي ... ومتى اقبلت على الطاعا ... ت بوجه مستحي بهجي
تغطي الحسنى وزيادتها ... رؤيا الرحمن وتبتهجي ... وتقر العين بحور العين
ان اذا ما الدين بمرذولي ... فدع الدنيا رسلا فارغم ... بالقلب على اخراك بجي
بيع الباقي بشرى الفاني ... خسران الصفقة للتسبج ... يا من الهته بزينتها
وبزخرفها عند الزوجي ... فصايبها تدميك فلا ... تغتر بدوي النظر الوجي
فلكم ارمت بسداديها ... سهما من قوس معتوجي ... لتصيب فؤادا فتصيد
قد صار لها غرضي اجيج ... صرف الرحمن مراميها ... عن نحو العبد فلم تلجي

كتاب الهمم المسلول
في سياسة الملوك

فتعالى الله هو المسؤل فسله بقلب منكسر شجي • واخضع لله بذلة مسكين
تقر للعفو عن الحرجي • يزيل البؤس ويكشفه • وتعود السنة للفرجي
صلى الرحمن على من لم • يبقى للجاحد من حجج
هو خير الرسل فدعوته • دامت في الدنيا بالحجج
وعلى الاصحاب وعترته
ما هب الريح على البيدج
امين يا رب

لا يجوز نسخه من غير اجازة صاحبه فان للكتب اسرارا وسرقتها
من السقاة التي تشاء سرقتها تنقص قيمتها وتنسب الى غير صاحبها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحيرت العقول عن معرفة ذاته وقصرت الافكار
عن الاحاطة بكنه صفاته وتحيرت الابصار في بدايع مصنوعاته
وشهدت له بالوحدانية عجايب آياته وسمواته احمده على منته العظام
واياديه الجسام وحمد معترف بسوابغ الانعام واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له العالم بزل منعوتا بالجلال موصوفا
بالكمال منزها عن الحركة والسكون والانتقال مقدسا عن
الجسم والشبح والخيال واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
ببرهان لاح المنار وقرآن ساطع الانوار فاطع بالحجاج
الكفار قامع بايجازه الباب اول الانكار صلى الله عليه
وعلى آله الكرام الاطهار صلوة دائمة بالعشي والابكار قال
عبد الرحمن نصر بن عبد الله لما كان المولى الملك الناصر صلاح
الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو المظفر يوسف
بن ايوب بن شاذي محيي دولة امير المومنين ادام الله دولته وخص
على الاسلام مهجة من اثناه الله ملكه العقيم ومداه صراطه المستقيم
واورثه مشارق الارض ومغاربها واوطاه من الملوك
رقابها ومناكبها وكان ممن يرى الادب وفضله

ويوثر العلم واهله جمعت طرائف علوم هذا الكتاب و
يحتوي على طرايف من الحكمة وجواهر من الاداب واصول
في السياسة وتدبير الرعية ومعرفة اركان المملكة وقواعد
التدبر وقسمة الفيء والغنيمة على الاجناد وما يلزم امال
الجيش من حقوق الجهاد ونبهت فيه على اشيم الكريمة
والاخلاق الذميمة واشرت فيه الى فضل المشورة والحث
عليها وكيفية مصابرة الاعداء وسياسة الجيش والرعية
من الامثال ما يسبق الى الذهن شواهد صحتها ومعالم الوقتها
مع نوادر من الاخبار وشواهد من الاشعار وفصلته ابوابا بتضمن
حكايات لايقة ومواعظ شافية وحكما بالغة وسلكت في ذلك
كله طريق الاختصار ومذهب الايجاز ليلائم الخواطر وتقتضيه
الاسماع وسميته النهج المسلوك في سياسة الملوك وكنت
في ايداعه خزانة علومه لمهدي التمر الى مجتنيه او الكافور الى مصوره
ولكني قصدت بذلك ايصال الحكمة الى اهلها وان اضيعها عقلا
وبالله اعتصم وعليه اتوكل وسوف يجزون بما وبالله التوفيق وحسبي ونعم

الباب الاول
في بيان افتقار الرعية الى ملك عادل

الباب الثاني
في بيان فضل الادب وافتقار الملك اليه

الباب الثالث

الباب الاول

في ان على الملك استماع المواعظ وقبول النصائح

في بيان افتقار الرعية الى ملك عادل

اعلم ايها الملك ان الرعية لما كانت خلقوا مختلفة وشعوبا مختلطة متباينة الاغراض والمقاصد متفرقة الاوصاف والطبايع افترقت فرقة الى ملك عادل يقومهم اقوم ويقيم عمدها ويمنع ضررها ويدفع حقدها ويذب عنها ومتى خلت من سياسة مدبر الملك كانت كسفينة في البحر تكسفها الرياح المتواترة والامواج المتظاهرة قد اسلمها الملاحون واستسلم اهلها للموت واعلم ان الرعية تستظهر الى عدل الملك وتدبيره استظهار اهل الجدب الى الغيث الوابل وينتعشون بطلعته عليهم كانتعاش البنت بما يناله من ذلك القطر بل الرعية بالملك اعظم انتفاعا منها بالغيث للغيث وقتا معلوما وسياسة الملك دائمة لاحد لها ولا وقت والرعية في تباين اوصافها كنبات الارض فمنه الطيب المثمر ومنه الخبيث التالف فما كان منه طيبا فانه لا يزكو اصوله في ارضه ولا تمين فروعه اذا جاورته الخبيث فيها لان الخبيث يسبق الى مادته في القرار فيشربها ويكتنف فروعه في الفضاء فلا يصل اليه حظه من النسيم فاذا اصلى الارض ولغ ما فيها من البنت الخبيث انتعش بنها الطيب وقوى اصله ونمى فرعه وطاب ثمره وكذلك الرعية لما جاور الخبيث طيبها افتقرت ضرورة الى ملك يصلح

الباب الثالث

في معرفة قواعد الادب

الباب الرابع

في معرفة اركان المملكة

الباب الخامس

في معرفة الاوصاف الكريمة والحث عليها

الباب السادس

في معرفة الاوصاف الذميمة والنهي عنها

الباب السابع

في كيفية رتبة الملك مع اوليائه في جلوسه وركوبه

الباب الثامن

في بيان فضل المشورة والحث عليها

الباب التاسع

في بيان اوصاف اهل الشورى وحكم الاليقة

الباب العاشر

في معرفة اصول السياسة والتدبير

الباب الحادي عشر

في الجلوس لكشف المظالم وفضله

الباب الثاني عشر

في ذكر ادب صحبة الملوك

الباب الثالث عشر

في معرفة ما تكاد به الملوك في غالب الحال

الباب الرابع عشر

فيما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبرهم الجنود

الباب الخامس عشر

فيما يلزم اهل الجيش من حقوق الجهاد

الباب السادس عشر

في مصابرة المشركين وفضلها

الباب السابع عشر

في معرفة قتال قطاع الطريق واهل البغي والبغي

الباب الثامن عشر

في معرفة تسمية الغنيمة والقسم على اهل الجيش

الباب التاسع عشر

في ما ينبغي للملك فعله عند قفوله بالجيش

فاسدة ما لم يقع فيها ويكبح سوء اثر العدى عليها لينتعش احوالها
ويتركوا اهوالها ليكثر خيرها ويصلح الثور ما وقد قيل الرعية بلا راع
بلا راع فانظر سياسة الانعام في فراعيها فواخلق من راعيها ما
اشد اختلال حالها واختلافها فيا ليت للرعية اشد اختلالا
واكثر اختلافا فلا بد من زعيم يلمهم من المظالم ويفصل في التنازع
والتخاصم ولولاه لكانوا فوضى مهملين ومحاما مضاعين قال الافوه
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى الا بعمد ولا عماد اذا لم ترس اوتادُ
فان تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذي رلوا

الباب الثاني
في فضل الادب وافتقار الملك اليه

لما افتقرت الرعية في امورها الى تدبير الملك وكان الادب مجموع
خلال حميدة وخصال جميلة افتقر اليه الملك ضرورة لتصدر عنه
تصاريف التدبير في الرعية على قانون العدل الذي به دوام المملكة
فقد قيل من حسنت سياسته دامت رياسته واعلم ان الادب
احد الاوصاف الاربعة التي يشترط قيامها بالملك في تدبير المملكة
على ما سنوضحه في موضعه فاذا عرى عنه اختلت سياسته ومدبنه
وقد قيل الادب صورة العقل فمن لا ادب له لا عقل له ومن لا عقل
له لا سياسة له ومن لا سياسة له لا ملك له وقال بعضهم قرأت في التوراة

قل للملك لم لا يملك لم

ان ناصر الخليفة المحسب لا حسب لمن لا اخلاق له ولا مروة لمن لا عقل
لا مروة لاعقل لمن لا ادب له وقال بعض الحكماء الادب عصمة الملوك
لانه يعصمهم من الظلم ويفضي بهم الى العدل ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على
الرعية فرجحة الاديب افضل ويعظم المنالة وقال بعض العلماء
ليس للمرء ان يتيح بحالة جليلة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة حظها غير
ادب فان الجهل يزله منها ويزل عنها ويحطه الى رتبته ويعيده الى
قيمته بعد ان تظهر عيوبه ويكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجيا وولية
معاديا وكان يقال عقل الاديب ابدا في ارشاد ورأيه ابدا
في سداد فقوله سديد وفعله حميد وقال رجل من قيس تيد
من قريش يا اخاه قريش اطلب الادب فانه زيادة في العقل
وكمال في المنصب ودليل على المروة وصاحب في الغربة وصلة في المجالس
وما احسن قول الذي يقول لقد ب المرء كلم ودم ما حواه
احد الا صلح لو وزنا رجلا اذب بالوف من ذوي الجهل يرجح
وكان يقال الادب مال واستغنى له كمال واوصى ملك ولده فقال
يا بني خصلتان يسود بهما المرء وان كان غير ذي مال العلم والادب
يا بني جالس الكبراء وناطق العلماء فان مواخاتهم كريمة ومجالستهم
غنيمة وصحبتهم سليمة واوصى رجل ولده فقال يا بني عليك بالادب فانك ان كنت

غنيا كنت شريف قومك وان كنت مكتفيا كنت سريّ قومك وان كنت
محتاجا لم تستغن عنك رؤساء البلاد واشرافهم وقيل من قعد به
شبهه نهض به ادبه وقال بزرجمهر ما اورثت الاباء ابناءها
شيئا افضل من الادب لانها اورثتها الادب اكتسبت به الاموال
ونالت به اعلى المراتب واذا اورثتها الاموال اضاعتها وبقيت
عدما من الادب وكان يقال الادب خير ميراث وحسن الخلق قرين
والتوفيق خير قايد والاجتهاد رابح تجارة ولا مال اعود من العقل
ولا عقل اونق من المشورة ولا فقر اشد من الجهل وقيل الادب
ثوب جديد لا يبلى والعلم كنز عظيم لا ينفد وقيل من ادب ابنه
ارغم عدوه وقيل ثلاثة ليس معهن غربة حسن الادب ومجانبة
الريب وكف الاذية وقال نصر بن سيار كل شيء صغير ثم يكبر
الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر وكل شيء رخص اذا كثر
الا الادب فانه اذا كثر غلا واعلم ان فضل الادب اشهر
من ان يستظهر وفي النفس الابية باعث عليه اذا كانت تأبى
ضده وتكره مخالفته وقوله قواعد تبتنى عليها اركانه سنذكرها ان شاء الله تعالى

الباب الثالث

في معرفة قواعد الادب لما كان الادب
وصفا مشروطا للملك في تدبير المملكة افتقر في ذلك الى معرفة

يبدو

قواعد

قواعد التي لا يتحقق بلوغها ولا يتأتى الا علمها وهما قاعدتان
لا يسع الملك تركهما اذ هما اصلان في السياسة والتدبير

القاعدة الاولى اعلم ان العلم باحكام الدين وضبط اصوله
الشريعة واجب على كل مسلم وعلى الملوك اشد وجوبا لافتقارهم
الى اقامة الحدود الشرعية بما يستحق كل جان منهم على الوجه
الشرعي واخذ الحقوق من وجوهها وصرفها في ارباحها وجهاتها
ليتحقق منهم العدل الذي قامت به السموات والارض
ومتى كان الملك جاهلا كان تدبيره هدما لقواعد المملكة
قال عمر بن عبد العزيز عليه الرحمة من عمل بغير علم كان ما يهدم
اكثر مما يبني قال عبد الرحمن ولا محالة ان الملك اذا كان
خاليا من العلم ركب سواه وتخبط ما يليه اذ لا تخبه فكرة
سليمة ولا تمنعه حجة صحيحة ويكون كالفيل الهائج في البلد
القفر لا يمر بشيء الا تخبطه واذا كان الملك عالما كان له
من علمه وازع يقمع هواه ويميل به الى سنن الحق كالفيل الهائج
اذا خرج من البلد القفر الى الانيس ذلل له السلسلة وقهره
الكلوب حتى يحمل عليه الاثقال وقال بعض الحكماء الملك لغير العلم
علم كان مذلة آجلة والعلم لغير الملك يورثه عقلا كان مضلة عاجلة

وكان يقال اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك
في علمائهم وقال بعض الحكماء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم
ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية وقال
ابن عباس رض ان سليمان خاطب عليهما السلام خيره الله تعالى
بين العلم والملك فاختار العلم فاعطاه الله تعالى العلم والملك
جميعا واوصى ملك من ملوك اليمن ولى عهده فقال اتق من
فوقك بتقيك من تحتك وكما تحب ان يفعل بك فافعل برعيتك
وانظر كل حسن فافعله واستكثر من مثله وكل قبيح فارفضه
وبالنصحاء يستبين لك فلك وخيرهم اهل الدين واهل النظر
في العواقب واستكثر من العلم فانه اساس التدبير وما
ليس له اساس ممهدوم وانما رأيت الملوك تؤتى من ناحية امور فاجتمع
عنك واحدا واحكم اثنين وهي اتباع الهوى وتوليه من
يستحي وكشف امور الرعية فانك ان ملكت سواك لم يستملك
ولم تعمل الا بالحق وان وليت المستحي كان عونا لك على ما
تحب ولم تضع على بليته الامور ولو اتاحت اليك امور رعيتك
عاش الوضيع وحذر الرفيع وامنك الظالم وامن المظلوم
والسلام على من اتبع الهدى وحكى ان عبد الله بن صالح بن علي دخل بغداد

على بعض شباب بني العباس فحادثه فوجده على خلاف ما عهد عليه العلماء
فساءه ذلك ثم خرج من عنده قال ان الجهل يحط اول المراتب ويضع
ذوي المناصب ثم انشد متمثلا
علم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عندهم ... صغير اذا التفت عليه المحافل
وقال بعض العلماء الجهل مطية
من ركبها زل ومن صحبها طل وانشد في بعض اهل العلم
اخي ان كنت عاليا زادك العلم علوا او خاملا رفعك العلم
تنكب الجهل ما استطعت فان الجهل ان كنت عاليا وضعك
قال بعض العلماء من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الرشد
اجتنى الغرة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس
الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس
المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن
غرس الحرص اجتنى الذلة ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن
غرس الحسد اجتنى الكمد

الفائدة الثانية من قواعد الادب

نهى النفس عن الهوى فقولك لازم للملك في التدبير لئلا
صواب الرأي وخطأه انما يكون بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره كان في سلطان الرأي غالبا ومن

ضعف تخيل فكره كان في سلطان الهوى غالبا وانما يضعف التخيل
الفكرة اذا استولت على النفس الشهوات فيحجب العقل عن صواب
الراي فاذا قهر الملك نفسه عن هواياه ومنعها شهواتها الضارة
بها وبها ناظر الصواب التدبير في مراة العقل ومتى لم يملك الملك
ضبط نفسه عن هواياه ومواجرة لم يملك ضبط خواصه مع قلتها
وذلتها صعب عليه ضبط خاصته من اعوانه مع كثرة جمعهم وخشونة
جانبهم ومن لم يضبط خاصته من اعوانه وهم نصب عينيه لم يضبط عامة
من رعيته في اقاصي بلاده واطراف مملكته فليس من عدو بعد قهر
النفس احق بالقهر من الحواس الخمس لانهن اعوان النفس ودليلها
الى الشهوات الموبقة وقد رايتا قوة الحاسة الواحدة منهن على
انغلوبا اذا اتت على نفس من النفوس القوية الحذرة انتهتها
عن مصلحتها حتى توبوتا حياض الموت فكيف بها اذا اجتمعت
خمسا على نفس واحدة فمن ذلك ان الظبي مع شدة نفوره اذا
سمع صوت اواني الصفر مع تواتر النوات واصطخابها الفهاه
سماع ذلك عما يراد به فيلبث في كناسه حتى ياتيه الصياد فيقتنصه والفيل
مع عظم جسمه وشدة قوته يلهيه لين اللمس ويزايله عن نفسه حتى تنصب له المصايد فيتصاد
ويزل ويركب عنقه والفواش الذي يستكن من حر الشمس اذا راى ضوء النار الجزلة ورايتا من طبعا

حتى يلقى نفسه فيها فتحرق وذباب الورد المتمتع الطيب الاذى يطلب
ما يقطر من اصل اذن الفيل عند مجامعته فانه يكون في طيب رائحة
المسك ولا يهوله تحريك اذن الفيل بل يليه ثم حلك القاطر
عن الاحراس حتى يلج في اصل الاذن فيقع عليه ضربة الاذن فيقتله
والسمك في البحر يسلبه ذوق ويلهيه ويزايله عن النفس الذي
فيه اللحم فيبتلعه فيكون فيه حتفه فمن ملك هذه الحواس الخمس
فقد ملك نفسه ومن ملك نفسه حسنت سياسته وامنت رياسته
ومن اعطى نفسه هواها باتباع ملاذ شهواته اشتغل عن
تدبير مهماته فاختل امور دولته وتخلى عرى مملكته وقد قيل
رجل من بني امية عين سبب زوال دولتهم فقال مثلنا قال
برزجمهر شغلتنا لذاتنا عن مهماتنا وقل عطاؤنا لجدنا
فقل ناصرنا وجرانا على اهل خراجنا فدعوا علينا وطلبوا الراحة
منا واشد من ذلك انا استعملنا صغار العمال على كبار الاعمال
فآل ملكنا الى الزوال وقال بعض الحكماء العقل كالزوج والنفس كالزوجة
والجسم كالبيت لهما واذا كان سلطان العقل غالبا قاهرا للنفس
اشتغلت النفس بما يصلح الجسم اما بالمنفعة تجلبها او بالمضرة تجتنبها
كما تشتغل الزوجة التي قهرها زوجها بما يصلح بيتها العايدة عليها

وعلى قهرها وكان سلطان النفس على العقل غالبا كان سعي النفس فاسدا
وتوقعاتها مخذولة كفعل الزوجة التي قهرت زوجها وكان يقال
لا يزال الملك الحازم يخاف ظهور عدوه عليه حتى يتجاوز عدوه
فضايا العقل الى قضايا الهوى فحينئذ يتيقن بالغلب ويتيقن
حسن المنقلب وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم اشتعالها
عسر اخمادها وكالسيل اذا اتصل مدة تعذر صده وقال
المامون للهوى ينتج من الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال فضايحها
انشدني بعض اهل العلم شعرا اذا ما رأيت المرء يعثر هواه
فقد نكلته عند ذاك نواكله وقد اثمت الاعداء جهلا بنفسه
وقد وجدت فيه مقالا عواذله وما تزع النفس الحرون عن الهوى
من الناس الا حازم الرأي كامله وقال انوشيروان ما استعان
ملك على عدل في رعيته بمثل مجانبة الهوى وقال ايضا الزلل
مع اتباع الهوى واوصى رجل ولده فقال يا بني اعص هواك
والنساء واصنع ما شئت وكان يقال اذا غلب عليك عقلك
فهواك واذا غلب عليك هواك فهو لعدوك وقال بعض الحكماء
اكثر مخالفة الهوى فان النفس امارة بالسوء بكرة مالها
وتحب ما عليها ولن تحود عن القصد من اتهم عقله واتهم هواه ولا تسلم

من الندم من استفتح الهوى واستعتبه بالكا انشدني بعضهم
اذا انت لم تنصف الهوى قادك الهوى الى بعض ايام حالك معقال
وقال سابق البربري اعص الهوى حين يدعوك اليه فقد
تبينت ما تقدره واوصى ملك من ملوك حمير اخاه فقال
لا يكون الافراط من شانك في نكال ولا نوال فانه في النوال
يحفك وفي النكال يوتمك ويحيق عليك واذا انكرت نفسك
فاسمك وغالب هواك فانه اضر ما اتبعت واعمل بالحق فانه
لا يضيق معه شيء ولا يتعب فيه عاقل ولا يعصف فيه
تبعة وليكن خوف بطانتك لك اشد من انسهم بك ولوصى
ملك من العرب ولي عهد فقال كن بالحق عمولا وعما جهلت
سؤولا واول شيء تؤدب به نفسك قمعها عن شهواتها
وبقوعها عن سواتها فلا شيء اضر بالمملكة من اتباع الهوى
والفحص عن الامور تظهر لك حقايقها واستبطن اهل
التقوى وذوي الاحساب تزين نفسك وتحكم اودك
واياك وقبول التركية فيما لا تشك انك مكذوب فيه فانها
خدعة متبعها سرعة ولا تحسن سر ك الا عند من يكتمه ولا تثق
برجل تتهمه ولا تعود لسانك الخنا ولا تكلف نفسك

لا تقوى عليه واذا سمعت بخير فعجله واذا سمعت بشر فتأن فيه
واياك وكثرة التأني فمن تأني على الله اكذب وارحم ترحم
قد يدرك الحازم ذو الرأي المنى ٭ بطاعة الحزم وعصيان الهوى

الباب الرابع

في معرفة اركان المملكة وقاعدتها

اعلم ان المملكة تبنى على قاعدة كلية لا قوام لها بدونها
ولا تثبت الا عليها وهي بمنزلة الرأس من الجسد لكما
لا بقاء للجسد بعد قطع الرأس كذلك لا بقاء للمملكة
بدون هذه القاعدة وهذه القاعدة تقلها اركان خمسة
بها قوام القاعدة فاذا انتقض منها ركن او من القاعدة
وافضى الى اضطرابها فيختل المملكة كما ان النفس تقوم بها
اركان خمسة "وهي الغذاء والشحم والدم والمخ والعظم"
فاذا انتقص منها ركن او من النفس وافضى الى ذهاب
القوة وكذلك دين الاسلام اركانه خمسة فاذا انتقص
منها ركن في شخص بطل عمل البواقي وخرج عنه الاسلام
وهذه القاعدة واركانها الخمسة يقلها اساس باطن
لا تثبت الا عليه فاذا تشعث هذا الاساس اختل الاركان
واضطربت القاعدة وافضى الامر الى هدم الجميع وسقوط

وذلك ان شاء الله تعالى **اما الباب الرابع** الذي ينبني عليها المملكة في
الملك المنصب لتدبير الرعية وسياسة المملكة ونقيمه لوصاف
اربعة لا ينفك عنه واحدة منهن وهي لوبه وعقله وعلمه واقدامه
فاذا عرى عن شيء من ذلك ذهبت قوته وضعف عن حمل المملكة
كالطبائع الاربع المركبة لجسد الانسان لا قوام له الا بها
فاذا خلا عن واحدة منهن اختل تركيب الجسد وفارقت منه
النفس فاذا استقام الملك بهذه الاوصاف الاربع قامت
مملكته **واما الركن الاول** من اركان المملكة فهو الوزارة وهي
على خمسة وزارة تفويض ووزارة تنفيذ اما وزارة التفويض
فهو ان يستنزر الملك من يفوض اليه تدبير الامور برأيه لان
وكل الى الملك من تدبير الرعية لا يقدر على مباشرة جميعه الا
بالاستنابة واما وزارة التنفيذ فالنظر فيها مقصور على رأي
الملك وتدبيره وهذا الوزير وسط بين الملك والرعية يؤدي عنه
ما امر به وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم ويخبره بتقليد الولاة
وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من الاقاليم وما يجدد من حوادث
امور ولا مندوحة للملك عن نظر الوزير واستعمال رأيه فيما يجهله من
امور التدبير والوقائع الحالة وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى

قال من استقل على عمل وارله الله به خير اجعل له وزير صدق ان نسي
ذكره وان ذكر اعانه وقربت المصروف من الملوك برأى
وزيره حتى يعلو من صرعته بقوة رأيه ولطف حيلته وان كان
ضعيفا والصانع قويا كالماء الذى هو اقوى من النار فانه
يحال فيه المحال حتى تنفذ فيه النار وهو فى القدر ولا تضر النار
بل ينقلب الضرر على الماء الذى هو اقوى منها حتى ينفذ من القدر
بلطف الحيلة واعلم انه لابد ان يعتبر فى الوزير عشرة اوصاف
احدها العلم لان تدبير الجاهل يقع مخالفا للشرع فيلون وبالا
الثانى السن لان الشيخ حنكته التجارب وعركته
النوائب وشاهد من اختلاف الدول ونزول الحولف
ما اوضح لعقله صواب الراى فى التدبير الثالث الامانة
حتى لا يكون فيما اؤتمن عليه ولا يغش فيما استنصح فانه الرائد
صدقا للنصحة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل بقوله فيما
ينهيه الخامس قلة الطمع حتى لا يرتشى ولا يخدع السالك
ان يسلم فيما بينه وبين الناس من عراق او شحناء لان
العداوة يصد عن التناصف ويمنع من التعاطف السابع
ان يكون ذكورا لما يؤديه الى الملك وينقله عنه لانه شاهد

وعليه الشامة من الذكاء والفطنة ليلا تدلس عليه الامور فتشتبه
ولا تموه عليه الاحوال فتلتبس لان الامور لا تصح مع اشتباهها
عزم ولا يتم التباسها حزم التاسع ان لا يكون من اهل
الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل ويتدلس عليه المحق
من المبطل لان الهوى خادع الالباب وصارف عن الصواب
العاشر ان يكون من اهل الكفاية فيما وكل اليه من اوامر الحرب والخراج
خبيرا بهما عارفا بتفصيلهما لانه يكون مباشرا لهما تارة ومشيرا
فيهما تارة اخرى وعلى هذا الوصف مدار الوزارة وبه ينتظم الامر
السياسة ومتى لم يجتمع فى الوزير هذه الاوصاف العشرة كان تدبيره ناقصا
بقدر ما نقص منها وحكى ان المامون كتب فى اختيار وزير ان يتصف
ليقضى وتدبير امورى رجلا جامعا لخصال الخير ذا عفة فى خلابقه ويستقيم
فى طرائقه قد مذبته الاداب واحكمته التجارب ان اؤتمن على الاسرار
قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها بفكنة الحلم ويقظة العلم وتغفيه
اللحظة وتغنيه اللمحة لرصولة الامراء وانارة الحكماء وتواضع العلماء
وفهم الفقهاء ان احسن اليه شكر وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع
نصيبه يوما بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بحلابة لسانه وحسن
بيانه قال صاحب الكتاب وهذه الاوصاف ان كملت فى الوزير

وقل ما تكمل فالصلاح بنظره عالم وتدبيره تام فان اختلت فالخلل
بحسب نقصها مختل والتدبير على قدرها معتدل وقد كان الفضل
سهل وزير المامون يبعث اصحابه الى البلاد عيونا ليسمعوا
ما تقول الناس فيه من خير او شر فيطلعونه بذلك فما سمع من خير
اراد لوسمه وما سمع من عيب فيه ازاله عنه وان وفدا قدموا
على المامون من بلاد الروم فاكرمهم فلما رجعوا الى بلادهم قال
قال عقلاؤهم ما رأينا مثل المامون جلاله وعظمة وعقلا ولا رأينا
مثل وزيره في حسن سمته وكمال اوصافه لولا انه حدث السن
ومن شان الملوك ان يستوزروا المشايخ الذين اجتمعت
لهم الحيلة والرياسة والعلم والتجربة فاجزه اصحابه بذلك قال
فاحتجب ثلثة ايام في داره يعالج لحيته حتى ظهر للناس وهي
بيضاء ولا يجوز ان يكون الوزير امراة لقوله عليه السلام ما افلح
قوم اسندوا امرهم الى امراة **الركن الثاني** من اركان المملكة
الرعية اعلم ان الرعية ركن شديد من اركان المملكة وهم قسمان
خاصة وعامة والخاصة قسمان متصنع في خدمة الملك ومطيع
على الانكماش والقيام بحقوق الخدمة فليعرف الملك المتصنع
منهم والمطيع فان العون من الخاصة المتصنع في خدمته يكون في

اول ذلك نشيطا مواظبا للخدمة ثم يدركه خور الطبيعة وقصور الهمة
فيفتر عما تعاطاه اولا ويذهب تصنعه والمطيع على الانكماش
في الخدمة يكون نشيطا في كل وقت مثل نشاطه في اول خدمته
واما العامة فهم ثلث طبقات اخيار واشرار ومتوسطون
بين ذلك ولكل طبقة منهم سياسة سنذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى
والمطلوب من الرعية طاعة الملك هو ل الجانب وعمارة البلاد ولوازم
الحقوق والمايحصل منهم ذلك بنشر العدل عليهم على ما سنذكر في بابه
ان شاء الله تعالى **الركن الثالث** من اركان المملكة القوة فقوة
الملك تنقسم الى ثلثة انواع احدها قوة رتبة في الناس وصيتة
عليهم وما يقع في نفوسهم من عزة وسطوة واستعلاء وقدرة
الثاني قوة احتماله بنفسه لما يرد عليه من الامور واستقلاله
بذلك الثالث قوة التدبير لامور المملكة والنفاذ فيها اما
القوة الاول فتحصل بحسن السياسة على ما سنذكره في موضعه
والقوة الثانية تحصل بادب النفس كما ذكرنا قبل ومي تنقسم الى اربعة
اقسام احدها تدبير ابرام الامور بلا احتيال قبل التدبير بل بالنظر
والقياس من المدبر لها الثاني تدبير ابرام الامور بعد الاحتيال
فيها ووضع الاصول لها الثالث تدبير معرفة الوقوف على الامر الذي

لا يوجد فيه للتدبير حيلة حتى يصير الى ما صار اليه ثم يطلب الحيلة فيه
بعد ذلك الرابع تدبير ما لا حيلة فيه واعلم ان افضل مزة القوات
قوة التدبر فانما الامر الذى لا حيلة فيه ولا رفق فالحيلة فيه الصبر
والتأنى لان متعاطى الشدة فيه يتقلب الضرر عليه اذ لم يرفق
الا يرى ان ذا القوة بقوته لو حاول سباحة الماء على لينه لم يقطعه
بقوته حتى يبهره فاذا رفق به سهل عليه عبوره وامكنه قطعه
وكذلك من حاوله ان يعقد بكفه صعب عليه ولم يجد الى ذلك سبيلا
ولو ان الفيل بقوته تعاطى ثلم الجبل بنابه انكسر نابه ولم يقدح
فى صفاه شيئا والرجل على ضعف بنيته يتخذ برفقه وحيلته من الجلد
الصلد مسكنا وقد يذيب الحديد الشديد برفقه وحيلته واعلم
ان الملك القوى قد ينبو حد قوته اذا لم يغنه رفق التدبير كما
ينبو حد السيف عن ضربته وان كان من الحديد الشديد حتى يسيل
من الماء الذى سوى من سيال فيشحذ مضاربه حتى انه اذا حمل
على الحديد الذى سوى من جنسه قطعه كل ذلك انما يحصل بالرفق
دون الخرق وسنوضح كيفية التدبير فى مواضعه انشاء الله تعالى الركن
الرابع من اركان المملكة المال اعلم ان بيت المال ركن عظيم
للمملكة يتعلق به المصالح الكلية من ارزاق المقاتلة والولاة

واعوانهم وتجهيز الجيوش وارزاق الفقراء والمساكين واهل العلم
وسد الثغور وبناء المعاقل والحصون وغير ذلك مما يعود بمصالح
الرعية وبقدر زيادته ونقصانه يكون حال المملكة وناموس
الملك عند نظرائه وخاصته واعوانه لانه ذخيرة يرجع اليها
الملك والاعوان والرعية عند نزول الحوادث فاذا اشتهر
بكثرة انواع المال واختلاف اجناس الجواهر اشتد ازر الرعية
وقويت نفوس الجند وعظم قدر الملك عند نظرائه ولذا اشتهر بالنفاد
والقلة صغر قدر الملك واختلت امور المملكة وطمع فيه اعداؤه فيجب حفظه
والاحتياط عليه بتولية الثقات واهل الامانة وتوفى الاشراف
فى بذله وصرفه الى غير اهله ولا يمنعه اهل الحقوق فيحصل بذلك
الزلل ويتطرق اليه الخلل سيما الجند واعوان المملكة فان تقدير
الارزاق عليهم يفضى بالملك الى المهالك وقد كان يقال المال ناموس
الملك به تظهر هيبته وتقوى ابهته كما حكى ان سابور ملك الفرس
اتخذ اعمدة وقواعد من الذهب وجعلها على باب خزانة ماله يجلس
عليها الخزنة وغيرهم فعظم بذلك عند نظرائه واهل مملكته فلما
افضت المملكة الى ولد ولده جعل يفرق الاموال ويسرف فى
العطايا فلما نفدت الاموال اخذ تلك الاعمدة وسبكها فوجدها

مجوفة وقد ملئت رملا فذهب حينئذ ناموسه وتظاهرت اعداؤه
وقلت هيبته عند اهل مملكته حين علموا استرمذه الاعداء وكل ان
بعض ملوك مصر اخذ حبابا من الخزف وملأها ذهبا ثم سبكه
فيها ثم كسر الخزف وازاله فبقيت كهيئة الحباب ثم جعلها على باب
باب قصره يجلس عليها الناس وسماها الحسرات وانما قصد
بذلك ايضا لاقامة ناموس مملكته وتقوية لنفوس جنده فلهذا
الجانب حفظه والاحتياط عليه الركن الخامس من اركان المملكة
الحصون اعلم ان الحصون التي يتحصن بها الملوك ويمتنع بها جانبهم
تنقسم الى خمسة اشياء، كل نوع منها يحصل به التحصن والامتناع
الجانب وهي الماء والجبال والمفاوز والقلاع والرجال
وحصن هذه الحصون الرجال ثم القلاع وتحصين القلاع
بالرجال وتحصين الرجال بالاموال وافضل الاموال الاطعمة
وجمع الاطعمة وتحصيلها انما يتحقق بالعدل قيل كان مكتوبا
على منطقة بعض ملوك الفرس لا ملك الا برجال ولا رجال
الا بمال ولا مال الا برعية ولا رعية الا بعدل وقالت ام
ملكة طبرستان لنصر بن سيار الملك الحازم من اتخذ لنفسه سبعة اشياء
حصن يلجأ اليه اذا انتظم عليه بظرايه وزير صالح يثق برايه

انواع ٥

الجانب من الخانب وهو الناحية ٥

وتعيي لسره اليه ودخيرة حصينة المحل يرجع اليها عند النوايب وفوق
يثق بجريه اذا دهمته الاعداء وسيف اذا نازل الاقران لم يكبه ان الجبن
وامراة حسناء اذا دخل عليها ذهب بهجته وطباخ لفالم الشهية
الطعام صنع له ما يشتهيه وكتب ملك الى حكيم فقال له دلني
على ما تبقى به المملكة واختصر لي ذلك فكتب اليه باربعة اشياء
حصن يتناسق ووزير حاذق ومال وافر وعدل غامر وبلغ
بعض الملوك حسن سياسة ملك فكتب اليه قد بلغت من السياسة
ما لم يبلغه ملك قبلك فافدني ذلك فكتب اليه اني تحصنت بالرجال
وحصنت الرجال بالاموال ولم انزل في امر ولا نهي ولا وعد
ولا وعيد واودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت ووددا
لم يشبه كذب وعممت بالقوت ومنعت الفضول وسئل ملك
من ملوك الفرس حكيما من حكمائهم فقال ما عز الملك قال الطاعة
قال فما سبب الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على
العامة قال فما حصن الملك قال وزراؤه واعوانه فانهم اذا
صلحوا صلح الملك واذا افسدوا افسد الملك قال فما سبب صلاحهم
قال البذل والانعام والاحسان الشامل قال فاي الامور
احق للملك قال الرفق بالرعية واخذ المال منهم من غير مشقة وادلوه

اليهم عند اوانه وسد الثغور وامن السبيل وانصاف المظلوم من الظالم
وزجر القوى عن الضعيف قال فاى خصلة تكون للملك انفع قال التصدق
في جميع الاحوال واما الاساس الحامل للمملكة واركانها فهو الدين
اعلم ان الدين اساس المملكة لا قوام لها الا به ولا ثبات لاركانها
الا عليه ومواقامة منار الاسلام واظهار شعائر الحق واتباع احكام
الشرع والعمل بالفرائض والسنن ومندوبات الشريعة واقامة
الحدود واستئصال اهل الشر والاثنا عن نواسيه وايصال الحقوق
الواجبة الى ارباها والعمل بما يرضى الله تعالى سرا وعلانية فانه لا قوام
للملك بغير هذه الاشياء قال رسول الله صلعم من اصلح سريرته اصلح
الله علانيته ومن اصلح فيما بينه وبين الله اصلح الله فيما بينه وبين الناس
وحكى ان انوشروان قال لولده يا بنى ان الملك والدين اخوان لا غنى
لاحدهما عن الاخرة ولا قوام له الا به الدين اسس والملك
حارس فما لم يكن له مهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بنى
اجعل مرتبتك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين
وسرك لمن يعينه من ادرك ما عناك من اهل العقل وقال الاحنف قيس
من سدم دينه كان لجده اسدم ومن ظلم نفسه كان لغيره اظلم وقال
بعض الحكماء الدولة بلادين كالبناء على الثلج

الباب الحادى عشر فى معرفة الاوصاف المكرية وفضلها
الملك عليها ينبغى للملك المنتصب لتدبير الرعية ان يتصف بالاوصاف الكريمة
ويتلبس بها ويجعلها له خلقا مطبوعا ولا يهمل منها وصفا واحدا اذ بها
قوام دولته ودوام مملكته وهى خمسة عشر وصفا العدل والعقل والشجاعة
والسخاء والرفق والوفاء والصدق والزهد والصبر والعفو والشكر
والانابة والحلم والعفاف والوقار وسنشرح فضل هذه الاوصاف
وما يتعلق بها من المصالح الكلية فى تدبير المملكة الوصف الاول اعلم
ان العدل اشرف اوصاف الملك واقوم لدولته لانه يبعث على الطاعة
ويدعو الى الالفة وبه تصلح الاعمال وتنمى الاموال وتشتمل الرعية
وتكمل المزية وقد ندب الله عز وجل الخلق اليه وحثهم عليه قال تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون قال الحسن ان الله تعالى جمع الخير كله
والشر كله فى هذه الآية وكفى ان استقامة الملك بالثلاثة المامور
بها فى الآية واضطرابه بالثلاثة المنهى عنها فيها وقال رسول الله صلعم
ثلاث منجيات وثلث مهلكات فاما المنجيات فالعدل فى الغضب
والرضى وخشية الله تعالى فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر
واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وحكى

ان الاسكندر قال لحكماء الهند وقد رأى قلة الشرائع في بلادهم كم صارت
سنن بلادكم قليلة قالوا لاعطائنا الحق من انفسنا والعدل ملوكنا
فينا فقال لهم ايما افضل العدل ام الشجاعة قالوا الفاء استغنى العدل
استغنى عن الشجاعة وقال انوشيروان لغا رغب الملك عن العدل رغبت
الرعية عن الطاعة وعوتب كسرى انوشروان على ترك عقاب المذنبين
فقال سم المرضى فاذا لم نداويهم بالعدل فمن نداوي وقال افلاطون
بالعدل ثبات الاشياء وبالجود دوامها وقيل لانوشيروان من الرؤساء
احدا اقال من عدل في حكمه وكف عن ظلم نصره الحق والطاعة الخلق
وصفت له النعمة واقبلت عليه الدنيا فهنيا بالعيش واستغنى عن الجيش
وملك القلوب وامن الحروب وقال بعض العلماء ان ايدي الرعية
تبع لالسنتها فمتى قدرت ان تقول قدرت ان تصول فلن يملك
الملك السنتها حتى يملك جسومها ولن يملك جسومها حتى يملك قلوبها
فتحبه ولن تحبه حتى يعدل عليها عدلا يتساوى فيه الخاصة والعامة وقال
كسرى انوشروان لبزرجمهر ابن لي قبة واكتب عليها كلمات انتفع
بها في بقاء الدولة ودوام المملكة فبنا وكتب في طرازها العالم
بستان وسياجه الدولة والدولة ولاية تحرسها الشريعة والشريعة
سنة يسوسها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش اعوان

يكفلهم المال والمال رزق يجمعه الرعية والرعية عبيد يستعبدهم العدل
والعدل مألوف به قوام العالم وقال الوليد بن هشام ان الرعية
لتفسد بفساد الملك وتصلح بصلاحه وقال سفيان الثوري للمنصور
اني لاعرف رجلا ان صلح صلحت الامة وقال ومن هو قال انت واعلم
ان العدل لا يتحقق من الملك الا بلزوم عشرة خصال احدها اقامة منار
الدين وحفظ شعايره والحث على العمل به من غير اهمال له ولا تفريط
بحقوقه الثاني حراسة البيضة والذب عن الرعية من عدو
في الدين او باغ للنفس والمال الثالث عمارة البلدان باعتماد
المصالح وتهذيب السبل والمسالك الرابع النظر في تعديل الولاة
واهل الغرم من الاعوان على الرعية لان تعديهم منسوب اليه قال الشاعر
ومن ربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب
كذاك ومن ولى ابنه وهو ظالم ظلم جميع الناس من قبل الاب
الخامس النظر في احوال الجند وغيرهم من اهل الرزق ليملأ بحسنهم
العمال ارزاقهم او يحزون العطاء عنهم فيجحف الانتظار بهم
السادس الجلوس لكشف المظالم والنظر بين المتشاجرين من
الرعية والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع السابع تقدير ما
يخرج من بيت ماله على طبقات اربابه من غير اسراف ولا اقتار

الثامن اقامة الحدود على اهل الجرايم بالشرع المطهر على قدر الجريمة
التاسع اختيار خلفاية في الامور وولاته وقضاته وعماله
بان يكونوا من اهل الكفاية والامانة والحذق والدراية فيهم
بصدده العاشر تنفيذ ما وقف من احكام القضاة واهل
الخبرة وما عجزوا عن تنفيذه لقوة يد المحكوم عليه وتعزره فيخبر
الملك بالمحكوم عليه بالشرع فاذا فعل الملك هذه العشرة خصال
كان مؤديا لحق الله تعالى في الرعية بالعدل الذي امر الله تعالى به
وكان مستوجبا لطاعتهم ومستحقا لمناصحتهم وان ترك شيئا من
ذلك كان في العدل ناكبا وفي الجور راغبا انشد بعضهم

اختم وطينك رطب ان قدرتكم قد امكن الختم اقواما فما ختموا
ولوا فما عدلوا ايام دولتهم حتى اذا عزلوا ذلوا فما رحموا

الوصف الثاني العقل اعلم ان العقل وصف شريف
وخلق عظيم لا يبطل حقا ولا يحق باطلا وسوعبان عما يستفاد
من التجارب لمجاري الاحوال وقيل هو العلم بجواز الجايزات
واستحالة المستحيلات ومن نتايجه الفكرة السليمة والنظر الثاقب
في حقايق الامور ومصالح التدبير وسئل بعض الحكماء عن العقل
فقال الاصابة بالظن وموفقة ما لم يكن وقال ابن المعتز العقل

غريزة توتبها النوايب وقال بعض الحكماء خير مواهب الملك العقل وشر
مصايبه الجهل وكان يقال الجاهل يعتمد على امله والعاقل يعتمد على عمله وقيل
نظر العاقل بقلبه وخاطره ونظر الجاهل بعينه وناظره وقال ابن المعتز بايدي
العقول تمسك اعنة النفوس في تعب والناس عن اتباع الهوى وقال بعض
الحكماء العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة والاحمق من
نفسه في راحة والناس منه في تعب انشد لبعض اهل الادب

وافضل قسم الله للمرء عقله وليس من الاشياء شئ يقاربه
اذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت اخلاقه ومناقبه

وقال بعض الحكماء العلم قايد والعقل سايق والنفس حرون
فاذا كان قايد بلا سايق اعجمت النفس واذا كان سايق بلا
قايد عدلت يمينا وشمالا فاذا اجتمع القايد والسايق سارت
طوعا او كرها تامل بعينك هذا الانام وكن بعض من بانه بعقله
فحلية كل فتى فضله وقيمة كل امرء نبله ولا تتكل في طلب العلى
على نسب ثابت اصله فهل من فتى زانه قوله بشئ يخالفه عقله وقال
بعضهم يعرف العاقل بحسن بسمته وطول صمته وصحة تصرفه وقال
بعض الحكماء ليس للمرء ان يتبجح بحاله جليلة نالها بغير عقل فان الجهل
ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته بعد ان تظهر

يحيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه ماجيا وولية معاديا وكان يقال
الناس ثلثة عاقل واحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين
شريعته والحلم طبيعته والراى الحسن سجيته ان كلم اجاب وان
نطق اصاب وان سمع العلم وعى وان حدث الفقه روى واما
الاحمق فان تكلم عجل وان حدث ومل وان استشير عن رايه
نزل واما الفاجر فان ايتمنته خانك وان حدثته شانك
وان استكتم اخرا لم يكتم وان علم على لم يعلم وكان يقال لاعطية
اعظم من عقل ولا داء اذوى من جهل وقال المبرد الطرى ليس العاقل
الذى يحتال للامر الذى عشيه حتى لا يقع فيه وقال فيروز بن حصين الخ
اراد الله تعالى ان يزيل عن عبد نعمة كان اول ما يغير منه عقله
يعد رفيع القوم من كان عاقلا وان لم يكن فى قومه نجيب
اذا حل ارضا عاش فيها بعقله وما عاقل فى بلدة بغريب

الوصف الثالث الشجاعة اعلم ان الشجاعة من اجل الاوصاف
التى يلزم الملك ان يتصف بها ضرورة وان لم تكن له طبعا فيتطبع
بها ليحسم بهيبته مواد الاطماع المتعلقة بقلوب نظرائه ويحصل
منه حماية البيضة ورعاية المملكة والذب عن الرعية وحقيقة
الشجاعة ثبات الجاش وذهاب الرعب وزوال سيبة الخصم واستضعافه
عند لقائه ولابد ان يتقدم هذا راى ثاقب ونظر صائب وحيلة

فى التدبير وخداع فى الممارسة فقد قال رسول الله صلعم الحرب خدعة
وقال ابو الطيب المتنبى الراى قبل شجاعة الشجعان هو اول
وهى المحل الثانى فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء
كل مكان ولربما قتل الفتى اقرانه بالراى قبل تطاعن الفرسان
واعلم ان ثمرة الشجاعة من الجند الكر والفر وثمرتهما من الملوك
الثبات حتى يكون قطبا يدورون عليه ومعقلا يلجاون اليه هذا اذا
كان بحضرته من يذب عنه من اعوانه الذين يثق بهم وبشجاعتهم
فاما اذا لم يكن بحضرته من يذب عنه حسن منه حينئذ ان يذب
عن نفسه اما بالاقدام واما بالانهزام وحكى ان قيلا اعتل فدخل
قصر كسرى انوشروان والفيل اذا اعتل انكر سائسه ولا يمكنه
الاحتطه وان ذلك الفيل قصد الايوان الذى فيه كسرى وعنده جماعة
من كفاته فلما نظروا الى الفيل مقبلا اليهم فروا من حول كسرى وثبت
كسرى على سريره ولم يتغير عن هيئته وثبت عنده واحد من الرجال
بيده طبر فقام ذلك الرجل امام سرير كسرى وقصد الفيل فثبت
له فلما غشيه ضربه بالطبر على خرطومه فقدته فولى الفيل راجعا
وكسرى فى هذا كله لم يتحلحل عن سريره ولا تغير لونه ولا فارقته
ابهته وهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملوك وكذلك حكى ان مويس الهادى

كان نيوهذا في بستان على حمار له وليس معه سلاح وبحضرته جماعة من اهل
بيته وبطانته فدخل عليه حاجبه واخبره عن رجل من الخوارج كان فارا
باس شديد ونكاية في الناس وانه قد ظفر به بعض القوكه وهو معه
على الباب فامر الهادي بادخاله عليه فادخل بين رجلين قد قبضا
على يديه فلما نظر الخارجي الى الهادي يجذب يديه من الرجلين
واخترط سيف احدهما وقصد الهادي ففزع عنه كل من كان بحضرته من
اهله وبطانته وبقي الهادي وحده على حماره بمكانه ذلك حتى دنا
الخارجي منه ورفع يده بالسيف ليعلوه به فقال يا غلام اضرب
عنقه فالتفت الخارجي ينظر من خلفه فوثب الهادي من سرج حماره
فاذا هو على الخارجي فقبض عليه وانتزع السيف من يده فذبحه
به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته يتسللون
وقد ملؤا منه رعبا وحياء فما خاطبهم بشيء من ذلك ولم يكن بعد
ذلك يفارقه السلاح ولم يركب الا جوادا من الخيل وهذا العجب ما يكون
من الشجاعة وثبات الجاش في الملوك **الوصف الرابع السخاء**
اعلم ان السخاء عماد البر الذي هو سبب الالفة لما يوصل الى القلوب
من الراحة والالطاف ولذلك ندب الشرع اليه وحث الخلق عليه
لما فيه من عموم المصلحة في الدنيا والآخرة وكان في السخاء رضى الله سبحانه وتعالى ورضى الناس حيث قال

رسول الله صلعم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار وقال رسول الله صلعم تجافوا عن ذنب الكريم فان
الله يأخذ بيده كلما عثر وقالت عائشة رض الجنة دار الاسخياء
والنار دار البخلاء وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان لا تقتل السامري
فانه كريم وحدث ابن القاسم قال حضرت حكم بن المطلب بالمدينة منبج فلما اخذ في النزع واشخص ببصره قال ابو معيوف اللهم
ارفق به فقد كان جوادا شجاعا صواما قوامًا فقال فاق من غشيته
ثم نظر الينا وقال من المتكلم قال ابو معيوف انا قال ان ملك الموت
يسلم عليك ويقول لك ان الله تعالى امرني ان ارفق بقبض روح
كل كريم ثم اضطجع كأنه كان فتيلة طفئت وكان يقال سؤدد
بلا جود ملك بلا جنود وقيل من جاد ساد ومن اضعف
اثقل وكان يقال جود الرجل محبته الى اضداده وبخله ببغضه
الى اولاده واعلم ان السخاء على نوعين النوع الاول سوان
يبتدي به الانسان من غير سؤال وهذا الطبع السخاء واشرف العطاء
لان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سئل عن السخاء فقال كان ابتداء
فاما ما كان منه عن مسئلة فحياء وتكرم وقال بعض الحكماء اجل انواع

ما كان قبل السؤال وقال بعض الشراح وفي خلاص ماله ومن المروة عير حال
اعطاك قبل سؤاله وكفاك مكروه السؤال وهذا النوع من السخاء قد
يكون لاسباب ثلثة احدها ان يكون قدير ذي خلة يقدر على سدها وافاقة
يمكن من ازالتها فلا يدعه الكرم وسماحة النفس الطبيعية ان
يهمل ذلك بل يكون متكفلا بنجاحها رغبة في الاجر الثاني ان يرى
في ماله فضلة عن حاجته فيرى انتهاز الفرصة بها فيضعها عند من
يكون له ذخرا الثالث ان يفعل ذلك سجية قد فطر عليها فلا يميز
بين مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم وهذا هو السخي
طبعا غير ان هذا لا يصلح بالملك لانه خارج الى السرف والتبذير
وبيت المال قد يقل عن الحقوق ويقصر عن الواجبات فاذا اعطى
غير مستحق فقد منع مستحقا وحال الملوك لا يقتضي ذلك النوع الثاني
من السخاء ما كان عن طلب وسؤال وعلامة السخي عند ذلك ان
يلقى السائل بالترحيب وطلاقة الوجه وان يكتفي بالتلويح ولا يلجئ
السائل الى التصريح كما قال الشاعر تلقى الكريم فتستدل ببشره
وترى العبوس على اللئيم دليلا واعلم بانك عن قليل صائر
خبرا فكن خبرا يروق جميلا وينبغي له عند السؤال ان يعجل بالوعد
قولا ثم يعقبه بالانجاز فعلا ليكون السائل مسرورا بعاجل العطية
بآجل الانجاز كما حكي ان النضر بن سهل سأله رجل فقال له ايني اعرك اليوم والمجنون غدا

حلاوة الامل ولكن لا يطيل الوعد على السائل فلا تفي حلاوة الاعطاء
بمرارة الانتظار وقد قال بعضهم ان الحوائج ربما ازدي بها عند
الذي يقضي له تطويلها فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة فاعلم بان
تمامها تعجيلها وقال الغزي ان العطية لا تكون سنية حتى تكون
قصيرة الاعمار وقد مضت سنة الخلفاء الراشدين وملوك
المسلمين بصلة المستقدمين على وجه الشرع من غير اسراف
ولا اقتار وذلك مشهود فاعرضنا عن شرحه الوصف الى من
الرفق اعلم ان الرفق من افضل اوصاف الملك واحمد خلائقه
في التدبير لانه يبلغ به في جباية الاموال من الرعية ما لا يبلغ
بالخرق فان الرعية قد تعامل بالرفق فيزول احقادها ويذل
مقادها وقد تعامل بالخرق فتكاشف بما اضمرت وتقدم على
ما نهيت ثم ان غلبت كان مغلبها دمارا وان غلبت لم يحصل
بغلبها افتخار وقد قال رسول الله صلعم ان الرفق رجلا
لكان حسنا ولو كان الخرق رجلا لكان قبيحا وقد بلغ الملك
برفقه ولينه في التدبير ما لا يبلغه بخرقه الا ترى ان الريح العاصف
بقوتها وسول صوتها كيف تتداخل الشجر ولا يقلع المستخلف منه
والماء بليونته وسلاسته يبلغ في اصل الشجر فيقلع المستخلف منه من

بصوله والعلقة تنال من الدم بغير اذى ولا سماع صوت ما تنال
البعوضة بعول صوتها واليم لسعتها وبالرفق ولين التدبير ينقلب
العدو صديقا كما يسم القاتل اذا رفق به المقدر له واحسن في
تقديره ولطف في تدبيره صار دواء وانقلب شفاء قال الله
سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة الآية وبالحري تنقلب
الصديق عدوا كالطعام الذي سوء غذاء الانسان وقوام جسده
اذا اساء المقدر له في تقديره وافرط في تناوله صار داء
وانقلب اذى وحكي لكسرى انوشروان سأل حكيما من حكمائهم
فقال ما عز الملك قال الطاعة قال فما سبب الطاعة قال
التودد للخاصة والعدل على العامة قال فما صلاح الملك
قال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم في غير مشقة وكذلك
اليهم عند اوانه وحكي شجاع الاحمر قال دخلت على المتوكل
وبين يديه نصر بن علي الجهضمي وسوسن المتوكل على الرفق بالرعية
ويرغبه فيه والمتوكل ساكت فلما فرغ من كلامه التفت اليه
المتوكل وقال حدثني مؤدبي الفضل قال حدثني ابي ورفعه الى
عمر بن الخطاب رض قال قال رسول الله صلو ان افضل عباد الله
تعالى عند الله يوم القيامة امام رفيق وان شر عباد الله عند الله

يوم

يوم القيامة امام جائر ثم التفت الى يحيى بن اكثم فقال وانت
حدثني حديثا ورفعته الى رسول الله صلو انه قال من يحرم
الرفق يحرم الخير ثم سكت ساعة وانشد الرفق يمن والاناة
سعادة فاستأن في رفق تلاق نجاحا لا خير في حزم بغير
روية والشكر وسن ان الموت سراحا وقال بعضهم دخلت
على المتوكل فسمعته يمدح الرفق فقلت له يا امير المومنين اشهد انك
لم ار مثل الرفق في لينه اخرج للعذر ما من جذر ما
من يستعن بالرفق في امره يسخر الحية من جحرها
قال فدعا بدواة وكتب اليه
فلا تقطع اخاك عند ذنب فان الذنب يغفره الكريم
ولا تعجل على احد بظلم فان الظلم مرتعه وخيم
ولا تحرق عليه وكن رفيقا فقد بالرفق تلتئم الكليم
فان الرفق فيما قيل لين وان الخرق فيما قيل شوم
واعلم انه لا ينبغي للملك ان يستعمل الرفق واللين في جميع
المواطن بل يجعل الرعية ثلاث طبقات ويسوسهم بثلاث
سياسات طبقة هم الخواص من الابرار فيسوسهم بالرفق واللطف
واللين وطبقة هم خواص الاشرار فيسوسهم بالعنف والشدة

الكلوم

وطبقة منهم العامة فيسوسهم باللين تارة وبالشدة اخرى قال مسلم بن قتيبة ملاك
السلطان الشدة على المريب واللين على المحسن وسئل ملك من ملوك
الفرس عن رزجمهر فقال ما احمد سيره للملوك فقال ان يعاملوا احرار الناس
بمحض المودة ويعاملوا العامة بالرغبة والرهبة ويعاملوا السفلة
بالمخافة صراحا انشد في بعضهم نظم اذا كنتم للناس في الارض قادة
فسوسوا كرام الناس بالحلم والبذل وسوسوا ايتام الناس بالذل والقهر
صرحا فان الذل اصلح للنذل الوصف السادس الوفاء لما
كان الوفاء من الاوصاف العلية والشيم السنية امر الله تعالى الخلق
به ومدحهم على فعله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
وقال تعالى يوفون بالنذر الآية والوفاء خليق بالملك لما فيه
من ايصال الراحة واستعطاف القلوب بانجاز الوعد اودوام
العهد قال بعض الحكماء الملك في زمانه اوصيك باربع خصال ترضى
بهن ربك وتصلح بهن رعيتك لا تعدن وعدا ليس في يدك وفاؤه
ولا تواعدن من لا تنفذ فيه الفعل فان بالاول تذهب عظمتك
وبالثاني يجري عليك ولا يغرنك ارتقاء السهل اذا كان المنحدر
وعرا ولا تستعش ناصحا فتستر عنك امور الرعية وقد كان يقال
من احسن الوفاء استوجب الصفاء وكان يقال الوفاء من اخلاق

الكرام والخلف من اخلاق اللئام وقال ابو الحسن المدائني كان عمر بن عبد العزيز
لا يكاد يوجب حاجة ثم تقاعس عن الخلف فاذا اوجب او قال نعم لم يتقرر
قرارا حتى يفي بذلك وانشد رجل من بني تميم اذا قلت في شيء نعم
فاتمه فان نعم دين علي الحر واجب والا فقل لا تستريح وتريحها
لئلا يقول الناس انك كاذب وانشد آخر لزمت نعم حتى كانك لم
تكن عرفت من الاشياء شيئا سوى نعم وانكرت لا حتى كانك لم
سمعت بلا في سالف الدهر والامم وكان يقال وعد الكريم نقد وتعجيل
ووعد اللئيم مطل وتعليل وكان يقال العاقل لا يعد ما لا يستطيع
انجازه ولا يسأل ما يخاف منعه انشد بعض اهل العلم

لا تقولن اذا ما لم ترد	ان تم الوعد في شيء نعم
واذا قلت نعم فاصبر لها	بنجاح الوعد ان الخلف ذم
حسن قول نعم من بعدلا	وقبيح قول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة	قبلا فابدا اذا خفت ندم

وقال بعضهم ما قال لاقط الا في تشهد لولا التشهد كانت لاؤه نعم

الوصف السابع الصدق اعلم ان الصدق من اسنى السمات
واشرف الصفات واسلم مناهج النجاة يدعو اليه الشرع المؤيد

والعقل المؤكد لان الشرع ورد باتباع الصدق ولو كانت الهلكة فيه
وحظر الكذب ولو جر نفعا او دفع ضررا على من الشارع بما يغلب
اليه عاقبتها والعقل يدعو الى فعل ما كان مستحسنا ومنع من اتيان
ما كان مستقبحا والكذب مستقبح عقلا لاسيما اذا كان لا يكلب نفعا
ولا يدفع ضررا وقد قال رسول الله صلعم تحروا الصدق وان
رايتم الهلكة فيه فان النجاة فيه وتحنبوا الكذب وان رايتم ان
النجاة فيه فان فيه الهلكة وقال بعض الحكماء دع الكذب حين ترى
انه ينفعك فانه يضرك وائت الصدق حين ترى انه يضرك فانه
ينفعك وكانت العرب تقول لسان الصدق مع العشرة خير من
سوء الذكر مع الميسرة وانشد بعضهم
عود لسانك صدق القول تحظ به ان اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له فارتد لنفسك وانظر كيف ترتاد
وقال المهلب لا يكون السيف الصارم بيد الملك الشجاع باعز له
من الصدق وكان يقال ينبغي للملك ان يكون صدوقا ليثق الاعوان
بوعده وان يكون شكورا فيستوجب الزيادة وقال الاحنف بن قيس كل الناس
حقيق بالصدق واحقهم به الملوك لان الذي يدعو الى الكذب مهانة
النفس والملك لا يكون مهينا وقال بعض اهل الادب

فكن صادقا في كل شيء تقوله ولا تك كذابا فتغري بك الناسا
وقال بعض الحكماء اول سعادة الملك صدقه اول الاكه جوره
الرافة اعلم ان الرافة جبلة كريمة تقتضيها حال الملوك لانها
تبعثهم على حراسة الامة وكمال الشفقة على الرعية والتحنن عليهم
واصطناع المعروف اليهم وكشف الاذية عنهم وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحلبوا المعروف عند الرحماء من امتي وعيسوا
في اكنافهم وقال عز وجل ان الله رحيم ولا يرحم من عباده الا الرحماء
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وروي ملك ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دعا رجلا ليستعمله على بعض مدائن الشام فجاء
ولده الصغير لعمر فاخذ عمر الى صدره ثم قبله فقال ذلك الرجل يا
امير المؤمنين اتقبله قال نعم فقال والله ان لي اولادا ما قبلت
واحدا منهم قط فقال له عمر انت لا ترحم ولدك ولا تحنن عليه
فانت للناس اقل رحمة وتحننا ثم صرفه ولم يستعمله ثم قال لا يصلح
والي من لا رحمة عنده لرعيته وروي ملك ايضا ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مر بطريق مكة فابصر راعيا غنمه في مكان جدب
فناداه وقال انظر مكانا خصبا فالحق به ثم قال على اثر ذلك كل
راع مسؤول عن رعيته وروي اسلم مولى عمر بن الخطاب رضه قال طاف عمر

ليلة في المدينة واذا بامرأة في جوف دارها وحولها صبية
يبكون وهي توقد تحت قدر لها فاتاها من الباب وقال يا امة الله
ما بكاء هؤلاء الصبيان فقالت من الجوع قال فما في هذه القدر
قالت انما جعلت فيها ماء اوهمهم ان فيها طعاما واعللهم حتى يناموا
قال فجلس عمر وبكى بكاء شديدا ثم قام وجاء الى بيت الصدقة
فاخذ غرارة وجعل فيها دقيقا وشحما وسمنا وتمرا وثيابا وطعاما
حتى ملأ الغرارة ثم قال يا اسلم احمل على ظهري قلت يا امير المؤمنين
انا احمله عنك فقال لا اثم لك يا اسلم احمل علي فانا المطالب
عنهم يوم القيمة قال فحمل الغرارة على صلبه حتى اتى بها منزل المرأة
فاخذ القدر وجعل فيها شيئا من دقيق وشحم وتمر وجعل يحركه وينفخ
تحت القدر قال اسلم وكانت له لحية عظيمة فلقد رأيت الدخان
يخرج من خلال لحيته ثم جعل يغرف لهم بيده ويطعمهم حتى شبعوا
قال ثم خرج وربض بجرائهم على الباب كانه سبع فجعلت منه ان
اكلمه فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان وضحكوا ثم قام وقال يا اسلم
هل تدري لم ربضت بجرائهم قلت لا يا امير المؤمنين فقال لكنت رأيتهم
يبكون فكرهت ان اذهب حتى اراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت
نفسي وحكي ان عمر بن عبد العزيز عليه الرحمة والرضوان لما ولي الخلافة جعل

عند محدث كعب القرظي وقال له دلني على النجاة وصيرورة الوعيد فقال له
ان اردت النجاة من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك اخا واصغرهم ولدا وقال نصر بن سيار الكناني كان عظماء العرب
يقولون ينبغي للملك العظيم ان يكون فيه عشرة خصال اربعة من خصال
الطير وستة من خصال الوحش فمن سماحة الديك وتحنن الدجاجة
وحراسة الكركي وحذر الغراب وحملة الحرير وقلب الاسد
وغارة الذيب وروغان الثعلب وصبر الكلب وشقاء الضب

وقد نظم بعض الشعراء فقال

ابا الطير لا يتركن انا رحيلنا ... لاكل لحوم من اعاد وشواغب
وماذا ترى من جب لنا غير عادة ... لهن علينا في القفاء الكتائب
ارى الملك المقدام من تم امره ... بعشر خصال من خيار المناقب
سماحة ديك ثم زاف دجاجة ... وحرسة كركي وحذرة ناعب
وحملة خرير وقلب عضنفر ... وغارة ذيب ثم روغ الثعالب
وصبر بصير حين يقرع بالعصا ... وشقوة ضب في بلاد سباسب
فمن كان هذا وصفه فهو كامل ... عظيم والا فهو اخيب خايب

وقد نظم بعض العلماء جز الملوك من اشرب قلوب رعيته محبته كما اشعرنا
سيبته ولن ينال ذلك منها حتى يكون عاملا بخمس خصال اكرام شرفها

ورحة ضعيفها واغاثة لهيفها وكف عدوان اعاديها وتامين السبل
لزايريها وعاديها ومتى اعدم المرء شيئا من ذلك فقد احقد ما
بفقد ما افقد ما **الوصف التاسع الصبر** اعلم ان الصبر يتبنع
انواعا كثيرة اليقها بكتابي هذا صبر الملوك وسوكهان عن ثلث
قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو الثانية قوة الكلام
والحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها
في الملوك الثبات لان اقدامهم في المعارك تهور وطيش
والصبر سيد الاوصاف الجليلة واميرها ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله
والعمل قائده والرفق والده والبر اخوه والصبر اميرجنوده
وليس المراد تفضيل الصبر على العلم والعقل وانما المراد
ان الثبات على هذه الخصايص انما يكون بالصبر لان من
الصبر الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشيء من
هذه الخصال ولم يصبر كان عند فزائلة كمن لم يتصف به فالصبر
ضابط للاوصاف الشريفة كما يضبط الامير جنوده وقيل
كان مكتوبا في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل العرش
ان الحديد يعشق المغناطيس فكذا الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر

انشدني بعض اهل الادب شعرا اني وجدت في خير القول الصدق والصبر عاقبة
محمودة الاثر وقل من جد في طلبه واستصحب الصبر الا فاز بالظفر
وقال بعض حكماء العرب ما بين الرجل بين صبر وجزع الا واحد مما تغاوين
الصبر حسن العلانية محمود العاقبة والجزع غير معوض شيأ ولو كان
في صورة لكان الصبر اولاهما بالغلبة بحسن الخلقة وكرم الطبيعة
وقال بعض الحكماء الحولوث النازل نوعان احدهما لاحيلة فيه
فدفعه بالصبر الدايم والاعراض عنه الثاني يمكن فيه الحيلة
فدفعه بالصبر عنه الى حين يعود الحيلة فيه قال بعض الفضلاء
من يمتطي الصبر يضع رجله في ساحة الراحة واليد
الصبر لين وبه للفتح قال الشاعر صيانة النفس عن العذر
اصبر اذا تدميك نايبة ماخاب مقطع الى الصبر
فالصبر اولى ما اعتصمت به ولنعم حشو جوانب الصدر
وقال الحسن البصري رضي الله عنه جربنا وجرب المجربون فلم نر شيأ
انفع من الصبر به تداوي الامور وسو لا يداوى بغيره وروي عن
سليمان بن داود عليهما السلام انه قال انا وجدنا خير عيشنا
الصبر وكان عيسى بن مريم عليه السلام يقول يا معشر الحواريين انكم
لا تدركون ما تأملون الا بالصبر على ما تكرهون وقال نهشل بن حري

ويوم كان المصطلمين بحره ٥ وان لم تكن مارقيام على الجمر
صبرا له حتى تنوح وانما وقال آخر تفرج ايام الكريهة بالصبر
اني رايت مغبة الصبر ٥ تقضي بصاحبها الى اليسر
لابد من عسر وميسرة ٥ بهما تدور دوائر الدهر
فكما يلذ اليسر صاحبه ٥ فكذاك فليصبر على العسر
الصبر اولى بوقار الفتى وقال آخر ٥ من قلق تهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة ٥ كان على ايامه بالخيار
لاتيأسن وان طالت مطالبة ٥ وقال آخر اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ٥ ومدمن القرع للابواب ان يلجا

الوصف العاشر العفو اعلم ان وصف العفو خليق بالملك
لما فيه من المزية وكمال مصلحة الرعية لان الملك متى عاقب على
الزلة وقابل على العفوة واخذ بالجرم الصغير ولم يتجاوز عن
الكبير قبحت سيرته وفسدت سريرته قال عمر بن الخطاب رض
افضل القصد عند الجدة وافضل العفو عند القدرة وما
اقبح مجازاة القادر على سوء صنيع المقدور عليه وكان معاوية
يقول ان اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وان انقص
الناس عقلا من ظلم من دونه وقيل ان عظيما من عظماء قريش

في سالف الدهر كان يطلب رجلا فلما ظفر به قال له لولا ان القدرة
تذهب الحفيظة لانتقمت منك ثم اطلقه فحسنت سيرة الرجل بعد
ذلك وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله القسري
فلما دخل عليه قال يا امير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة
وانك جل عن العقوبة فان تعف فاهل ذلك انت وان تعاقب
فاهل ذلك انا فعفى عنه وحكي ان المامون لما ظفر بعمه ابرهيم بن
المهدي احضر عنده جماعة من خواصه ثم قال علي به فادخل
اليه وسوء حال في قيوده فقال السلام عليك يا امير المؤمنين
قال لا سلم الله عليك ولا رعاك فقال ابرهيم علي رسلك يا امير
المؤمنين ثم انشد شعرا انا المذنب الخطاء والعفو اوسع
ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو ٥ سكرت فابدت مني الكاس بعضها
كرمت وما ان يستوي السكر والصحو ٥ فان تعف عني تلف خطوي واسعا
والا تداركني فقد قصر الخطو ٥ ثم قال يا امير المؤمنين انت
ولي ثاري وان القدرة تذهب الحفيظة وانى قد اصبحت فوقك كل
ذي ذنب كما اصبح كل ذي عفو دونك فان تعاقب فبحقك وان
تعف فبفضلك قال فاطرق المامون ثم رفع راسه وقال ان
سدين اشار اعلي بقتلك يعني العباس والمعتصم فقال انهما را

بما يشير به متلهفا على مثلك اذا كان مني الذي كان فقال المامون
يا ثمامة ان من الكلام كلاما كالدرر في لبات الغواني وان هذا
الكلام منه يا غلام حل القيود عن عمي وكان المامون يقول
ليس عيّ في العفو مؤنة واني وددت ان اهل الجرائم علموا حلي
ورأيي في العفو فيذهب عنهم الخوف وكان يقال اقبح
المجازاة المكافاة بالاساءة وقيل ان عبد الملك بن
مروان اشتد غضبه على رجل فلما صار في يده قال له يا فاجر
لامثلن بك اشد مثلة فقال له رجاء بن حيوة ان الله تعالى يضع
ما احببت يا امير المومنين فاصنع ما يجبه الله من العفو عنه
قال فعفا عنه والحلقه وكان المامون يقول لو علم الناس
رغبتي في العفو ما تقربوا الي الا بالذنوب انشدني لبعضهم
اقبل معاذيرَ من يأتيك معتذرا ۞ واعفر له ذنبه ان تر او تجر
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ۞ وقد اجلك من يعصيك مستترا
ويحكى انه جرى بين شهرام المروزي وبين ابي مسلم الخراساني
كلام شديد ومنازعة فما زال ابو مسلم يقاوله الى ان قال
له شهرام يا لقيط فلما قال ذلك سكت ابو مسلم ثم ان شهرام
ندم فاقبل على ابي مسلم معتذرا وخاضعا ومتضللا فلما رآه ذلك

منه ابو مسلم قال لسان سبق ووسم اخطأ وانما الغضب
من الشيطان والعذر يسعك وقد عفونا عنك فقال شهرام
ايها الامير ان عفو مثلك لا يكون غرورا قال اجل فقال ان اعظم
ذنبي لا يدع قلبي يسكن فقال ابو مسلم يا عجبا كنت تسيء
وانا احسن فاذا احسنت اسيء ۞ انشدني لبعضهم
تعفوا الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها ۞ ويخاف شدة نكلها
ويحكى ان المنصور بعث الى جعفر بن محمد فلما اتاه قال
اني اريد ان استشيرك في امر قد رأيت الطباق اهل
المدينة على حربي قد نهيتهم مرة بعد اخرى فما ارتهم ينتهون
وقد رأيت ان ابعث اليهم من يقطع نخلها ويغور عيونها
فما ترى انت فسكت جعفر فقال له مالك لا تتكلم قال
اتكلم آمنا قال نعم قال يا امير المومنين ان سليمان عليه السلام
اعطي فشكر ۞ وان ايوب عليه السلام ابتلي فصبر ۞ وان يوسف عليه السلام قدر
فغفر ۞ وان محمدا عليه السلام اوذي فاحتمل ۞ وقد جعل الله من
نسل الذين يغفرون ويعفون ويصفحون قال فانطفأ غيظه

وامسك عنهم انشدني بعضهم شعرا اشكو اليك ممولا ليس يكشفها
الا رضاك فقومي بالرضى اقوي • ان تعف عني فاهل العفو انت وان
عاقبت فيما يجني علي يدي • وقال آخر
لقد ناديت عفوك من قريب • كما سالمت شخصك من بعيد
فان عاقبتني فبسوء فعلي • وما ظلمت عقوبة مستفيد
فان تمنن فاحسان "جديد" • منت به علي شكر جديد

الوصف الحادي عشر الشكر اعلم ان الشكر ينقسم الى ثلثة اقسام
عقد بالجنان • وثناء باللسان • ومكافاة بالافعال الحسان
فاما العقد بالجنان فهو ان يضمر اعظام المنعم واجلاله والخشية
له والاقبال عليه والعجز عن القيام بحقيقة شكره واستكثار
النعمة منه وان قلت • واستقلالها في غيره وان جلت • واما
الثناء باللسان فهو اظهار الحمد للمنعم والثناء عليه والتحدث
بما خوله من تواتر النعم وبلوغ المقاصد وحصول الاغراض
وغير ذلك مما خصه به المنعم دون كثير من الناس • واما المكافاة
بالافعال فهي الاقبال على طاعته والوقوف عند حدوده ومنهياته
وان يواسي الضعفاء من نعمته • ويعمهم ببذله • ويخصهم ببذله بما
لمن ناصح في دولته • واخلص في خدمته • وصدق في ولايته من اعوانه

وخاصته • اولمن اظهر نكاية في عدائه • اولمن سارع في مرضاته
وغير ذلك مما يجلب اليه به المسرة • او يدفع عنه به المضرة فانه
اذا فعل ذلك من نية • وقول وعمل سمي شاكرا على الحقيقة
وكان لمزيد النعمة مستحقا • ولتتابع الاحسان موجبا
لقوله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم • وقد قال بعض الحكماء
لا يكون الملك شاكرا للنعمة حتى تجتمع فيه اربعة اشياء
المواساة فيها • والاستعانة بها على طاعة مولاها والاشادة
بذكرها • وتيقن العجز عن القيام بحقيقة شكرها • وكان يقال للزوال
للنعمة مع الشكر • ولا بقاء لها مع الكفر • وقيل الشكر قيد
النعمة • وقيل الشكر مثمر النعم • وعصمة من النقم • وقال
بعض الحكماء من لم يشكر على الانعام فاعدده من الانعام
وقال بعض ملوك الهند خير الملوك الشكور على حسن الافعال
والصبور على تحمل الاثقال • وكان يقال من كفر النعمة اسبوجب
حرمان المزيد • وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه شعر
من حاول النعمة بالشكر لم يخش على النعمة ما اغتالها
لو شكروا النعمة زادتهموا • مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لازيدنكم • لكنما كفرهم غالها

والكفر بالنعمة يدعو الى زوالها والشكر ابقى لها
وقال بعض البلغاء الشكر وان قل ثمن كل نوال وان جل
لو كنت اعرف فوق الشكر مرتبة اعلى من الشكر عند الله في الثمن
اذا منحكها مني معذبة خذوا اعلى حذو ما اوليت من حسن
وقال اخر فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لرفعة حال او علو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه فقال اشكروني ايها الثقلان
الوصف الثاني عشر الاناءة اعلم ان الاناءة من احمد اوصاف
الملك واكمل اخلاقه وعلامة توفيقه لانه يتعلق بها صواب الراي
في التدبير واتضاح الامور في السياسة ولا يقترن بها زلل
ولا يعقبها ندامة ولا فشل قال رسول الله صلعم التؤدة من الرحمن
والعجلة من الشيطان وقال بعض الحكماء على الملك ان يجمل بخصال
ثلث تاخير العقوبة في سلطان الغضب وتعجيل مكافاة المحسن
والعمل بالاناءة فيما يحدث من الامور فان له في تاخير العقوبة
امكان العفو وفي تعجيل المكافاة بالاحسان المسارعة الى الطاعة
من الرعية وفي الاناءة اتضاح الراي وانفساح الصواب
وسال ملك من الملوك حكيما فقال اي خلايق الملك احمد في العواقب
قال الاناءة قال فايها اجلب لمودة الرعية قال الكرم فاي الملوك

اخرق قال انهكم عقوبة للرعية قال فاي الخلال اجمع للمكارم والمناقب
قال العدل قال اوصني وصية انتفع بها في ملكي قال قد فعلت
وحكي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سال كبيرا من كبراء فارس
فقال اي ملوككم كان احمد عندكم سيرة قال ان الله شيره لفضيلة
السبق في المملكة غير ان احمدهم سيرة انو شروان قال فاي خلاله
كان اغلب عليه قال الحلم والاناءة قال علي رضي الله عنه ان الاناءة
والحلم توامان ينتجهما علو الهمة والله سبحانه وتعالى اعلم
الوصف الثالث عشر الحلم اعلم ان الحلم ضبط النفس عند صيحان الغضب
وسوخليق بالملوك لما فيه من الراحة واجتلاب الحمد وحسن العاقبة
ورضى الخالق قال رسول الله صلعم ان الله يحب الحليم ويبغض الفاحش البذي
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من حلم ساد ومن تفهم ازداد وقال بعض
العلماء كل ملك لا يجتمع فيه ثلث قوات فملكه مسلوب القوة الاولى
قوة الحلم وثمرتها العفو القوة الثانية قوة حفظ الرعية وثمرتها
عمارة المملكة القوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات
وفي الجند الاقدام وكان يقال اوكد اسباب الحلم رحمة الجهال وقال
بعض الحكماء الحلم حجاب الافات وقال معاوية اني لارفع نفسي ان
يكون لي ذنب اوسع من حلم وكان يقال ليس الحليم من اذا ظلم حلم حتى اذا قدر عفى

اخرز

ومما حفظ من وصية انوشروان لولده يا بني ان من اخلاق الملوك
وعزة النفس العلم وانك ستبتلى بمداراة اقوام وان سفه السفيه ربما يغلب
فان كافيته بالسفه فكانك قد رضيت بما اتى فاجتنب ان يحتذى على
مثاله وان كان سفه السفيه عندك مذموما فحقق ذمك اياه بترك ما
مثله ويحكى انه قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا يثلبانك فلو عاقبتهما
لانزجرا فقال ما بعد العقوبة اعذر فثلبي وقال الاحنف بن قيس
ما جهل علي احد الا اخذت في امره باحدى ثلث خصال ان كان اعلى
منى عرفت له قدره وان كان نظيري تفضلت عليه فاخر محمود الوراق مزاحم الكلام

سالزم نفسي الصفح عن كل معتب ... وان عظمت منه علي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفى ... تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

وقال عبيد بن عاصم العنبري

وانا وان كنا اسنة قومنا ... وكان لنا فيهم مقام مقدم
لنصفح عن اشيا منهم تسوءنا ... وننضب عن ذكى الجهل منهم ونحلم
وننصح منهم معشرا يحسدوننا ... سنبني عطا ليس فيه تندم

ونظم شوا

الانفة

ولا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

وكلاهما بالغيب منا حيطة ... واكبادنا وجدا عليهم تضرم
ولا نسأم النعماء منا عليهم ... وان كثرت حتى يملوا ويسأموا
وليس بمحمود لدى الناس من جزا ... بسيئة باتى المسيء الملوم
سأحمل عن قومي جميع كلومهم ... ولو في غنهم كل غرم واغرم

وجهل ردوه بفضل حلومنا ... ولو اننا شئنا ردوناه بالجهل
وحلما وقد خفت حلوم كثيرة ... وعدنا على امثال السفاهة بالفضل

واعلم ان كمال العقل وشرف النفس وعلو الهمة يبعث على الحلم
عند هيجان الغضب لاسباب خمسة احدها الترفع عن السفيه
والاستهانة به واطراح جانبه الثاني ان يكون السفيه
ممن له حرمة سالفة وحرمة لازمة فيراعى منه ذلك فيحلم تحفظا
لاجله الثالث الرحمة له والرأفة به لضعفه عن القدرة
الرابع ان يتألفه بالحلم ويتفضل عليه به الخامس الاستحياء
من الله تعالى ومن الحاضرين ان يجيب السفيه بسفهه مثله وينبغي
للملك ان يعرض على نفسه هذه الاسباب عند هيجان الغضب
ليجلب اليه الحلم واحدا منها واعلم ان الحلم ليس بمحمود في كل
المواطن لانه قد يطرا على الملك من الامور ما يكون الحلم
معها مفسدة والتراخي عنها مضرة لان الرعية على قسمين قسم

لا يخشى فسادهم ولا يضره ما صدر عنهم فاطراح الملك لهم والترفع
عن مجاراتهم اليق والاستهانة بهم اصون وقسم لا يمكن الملك
اهمال امرهم واطراح جانبهم اما الخوف شر تم او لزوم ادبهم
فردعهم بالافعال الزاجرة اولى بالملك من الحلم عنهم حتى لا
يزدادون بالحلم شرا وتمردا وقد سأل يزيد بن معاوية عكبة ما يبقى
اياه فقال يا امير المؤمنين ما ذممت عاقبة حلم قط او حمدت
عاقبة اقدام قط فقال ما حلمت عن لئيم قط وان كان وليا
الا اعقبني ندما ولا اقدمت على عقوبة كريم قط وان كان عدوا
الا واعقبني اسفا وقال بعض الحكماء ان الحلم يفسد من اللئيم
بقدر اصلاحه من الكريم وقال بعض اهل العلم ليس الحلم محمودا
في كل المواطن كما ان الجهل ليس مذموما في جميع الاحوال الشر
اذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فان الجهل اغنى واروح
وفي الحلم ضعف والعقوبة قوة اذا كنت تحتشي كيد من عض نصفح
اذا كنت بين الحلم والجهل مائلا وقال ابو سليمان المهدي
ولكن اذا انصفت من ليس منصفا وخيرت اني شئت فالحلم افضل
ويغني للملك ان يتلطف في تدبير من منع صفته على وجه يحصل
به الردع والزجر من غير مبالغة في النكاية على ما يقتضيه المصلحة

في تدبير السياسة **الوصف الرابع عشر العفاف** اعلم ان العفاف هو
ضبط النفس عن الرذائل وكف الجوارح عن الاذى والمحارم
وذلك غاية السؤدد وكمال المروة وخاتم مكارم الاخلاق
قالت عائشة رضي الله عنها كان الجاهلية لا يسودون الا حلائل
تجمع فيه ست خصال ثم زلوت في الاسلام خصلة فصارت
سبعة السماحة والنجدة والصبر والحلم والبيان
والتواضع وتمامهن في الاسلام العفاف وكان يعال
من عف في حاله وعدل في سلطانه حشر في زمرة الابرار
وقد قدمنا في صدر الكتاب ان من لا يقدر على ضبط خاصته
وسم نصب عينه لم يقدر على ضبط رعيته وسم في اقاصي بلاده
فاذا عف نفسه وجوارحه فقد انتظم امر مملكته في دنياه
وينقلب الى الملك الدائم في عقباه فاما اعفاف الجوارح
فهو ان يعف بصره عن النظر الى المحارم وان يدرك التطلع
الى ما حجب عنه لان رسول الله صلعم قال النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركه من خوف الله آتاه الله تعالى
ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه من غض
بصره عن نظر الحرام زوجه الله تعالى من الحور العين حيث احب

ومن اطلع فوق بيت من بيوت الناس حشر يوم القيامة
اعمى ثم يعف سمعه عن سماع الكلام القبيح والغيبة والنميمة
وسماع المحرم من الملاهي وينزه مجلسه عن جميع ذلك فقد
قال عبد الله بن عمر رض نهينا عن الغيبة والاستماع اليها
والنميمة والاستماع لها وقال رسول الله صلو من استمع
الى قينة صب في اذنيه الانك يوم القيمة ثم يعف لسانه
عن قول الكذب والغيبة والنميمة والسخف من الكلام
فقد قال رسول الله صلو من ضمن لي الحيين وما بين رجليه
ضمنت له على الله الجنة وقال صلو لمعاذ بن جبل رض وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ثم يعف
يده فلا يتناول بها ما لا يحل كالسرقة من اموال الرعية ولا يبسطها
الى محذور في عقوبة ولا نكاية محرمة في حد ولا تعزير فقد قال
النبي عليه حرمة مال المسلم كحرمة دمه وقال رسول الله
صلو بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد ثم يعف
رجليه فلا يسعى بهما الى مكروه فقد قال مسروق ما حظا العبد
خطوة الا كتب بها حسنة او سيئة ثم يعف فرجه عن مقارنة
الزنا وذلك اصل العفاف وتمام المروة وحصانة الدين قال

ما بين ص

رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت
له على الله الجنة فاذا فعل جميع ذلك كان عفيفا وكان للسيادة
ولمزايد النعمة مستوجبا **الوصف الخامس عشر الوقار** اعلم ان وقار
الملك وسكينته من اعظم سياسات الملكة لما يتعلق به من اظهار الهيبة
وتعظيم الحرمة وقيام الابهة وارهاب العدو وامل الزعارة وسوء
ذلك في الباب التاسع ان شاء الله تعالى وهذه اصول مكارم الاخلاق
ومحاسنها التي تقوم بها السياسة وتدوم بها الرياسة وسنذكر اضدادها
ايضا حا بذكر قبايح اضدادها في الباب السادس ان شاء الله تعالى

الباب السادس في معرفة الاوصاف الذميمة والنهي عنها

لما ذكرنا من مكارم الاخلاق اوصافا جميلة واخلاقا حميدة
يزداد المتصف بها اجلالا وتعظيما احببنا ان نوضح ما ذكرناه
من محاسن بشرح قبايح اضدادها المذمومة الخارجة بالنفس عن
حد الاعتدال الى ما يعقبها من الاضطراب في تاتي للملك ليجتنبها الملك
ونختم هذا الباب بذكر اعراض بدنية ربما عرضت للملك فاخرجته
عن قانون الاعتدال في خمسة عشر وصفا وثلثة اعراض اما
الاوصاف هي الجور والجهل والبخل والسرف والخلف
والكذب والخيبة والغضب والعجب والكبر والحسد

وكما قال علي افضل الصدقات
والحكمة التي

والعجلة والمزاح والضحك والغدر واما الاعراض
في الهم والغم والسكر الوصف الاول الجور اعلم ان
الجور هو العدول عن الحق واستمراره يحمل الحكام الطاعة من
الرعية ويبعثهم على ترك المناصحة وعدم النفرة ويحملهم على نصب الغوائل
وترتبص الدوائر وليس شيء اسرع في خراب الارض ولا افسد لضمائر
الخلق منه لانه ليس يقف على حد ولا ينتهي الى غاية وقد قال رسول
الله صلعم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله
في سلطانه فجار في حكمه وقال صلعم لن تهلك الرعية وان كان ظلمة
مسيئة اذا كانت الولاة هادية مهدية وقال عليه السلام بئس
الزاد الى المعاد العدوان على العباد وقال بعض الحكماء الملك
يبقى على الكفر ولا يبقى على الجور وقال حكيم آخر الجور مسلبة النعم
مجلبة النقم وقال افلاطون بالعدل ثبات الاشياء وبالجور
زوالها وقال ايضا اياكم والجور فانه اداة العطب وعلة
خراب البلاد ويحكى ان الرشيد حبس بابا العتامية واقسم
لا اخرجه من حبسه فبقي في السجن مدة طويلة فلما
ضاق به الامر كتب على حائط الحبس هذه الابيات

اما والله ان الظلم شوم ... وما زال المسيء هو الظلوم

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
الى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
قال فاخبر الرشيد بذلك فبكى واحضر ابا العتامية واستحله
ووهبه الف دينار والحلقه وكفر عن يمينه وانشد بعضهم للرشيد
عليك بالعدل ان وليت مملكة ... واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على الكفر الهيم ولا ... يبقى مع الجور في بدو ولا حضر
قال بعض الحكماء ليس للجائر جار ولا تحل له دار وقال حكيم آخر
اقرب الاشياء سرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم
وقال بعضهم في المعنى لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم
مرتعه يدعو الى الوخم تنام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك
وعين الله لم تنم ويحكى ان يزدجرد الاثيم لما كثر عسفه لرعيته
واشتد جوره عليهم باغتصاب الاموال وانتهابهم بالعذاب
وطال ذلك عليهم اجتمع جماعة من المظلومين في بعض الهياكل
ثم دعوا الله تعالى ان يريحهم منه فمكث بعد ذلك خمسة ايام
او سبعة فجاء حاجبه فاخبره ان فرسا متوحشا قد جمح وحرن
صفات الخيل قد جاء يشتد عدوا حتى وقف بباب الملك
وقد تهيبه الناس فلم يجسر احد عليه وقد نفرت منه الخيل فلا تقرب

منه فلما سمع ذلك يزجر وخرج من قصره فنظر الى العرس قائما فاوات
منظرا عجيبا فدنا منه فخضع له العرس فخاره الاعجاب بنفسه
فمسك بناصيته ومسح وجهه ثم اقربا شراجه والجامه ثم استدار
به ومسح كفله فرحه رحمة خرمنها ميتا وقيل ركبه وخرقه فخرج
به فسبق الابصار عدوا حتى الى البحر فاقتحمه به فكان ذلك اخر
ما علم من جبره وقد يعلم قبح الجور عقلا وشرعا فيجب اجتنابه والنزوع
عنه لما فيه من اضمحلال الرعية واضطراب الدولة وخراب البلاد
وعذاب الآخرة **الوصف الثاني المجمل** اعلم ان اجهل من الاوصاف
الذميمة والاخلاق الرديئة لاسيما بالملوك فان صاحبه لا يعرى عن
الغضيحة بالافعال القبيحة ورايه ابدا في ضلال وتدبيره في وبال
يعترن به الزلل ويحيط به الخلل قال بعض الحكماء الجهل مطية
من ركبها زل ومن صحبها ضل وقال آخر خير المواهب
العقل وشر المصايب الجهل وقيل الجاهل يعتمد على امله
والعاقل يعتمد على عمله وقيل نظر الجاهل بعينه وناظره ونظر
العاقل بقلبه وخاطره واعلم ان للجاهل اوصافا تظهر عليه
وخصالا تترشد اليه فمن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال للجاهل خصال يعرف بها يظلم من خالطه ويعتدي على

من دونه ويتطاول على من فوقه ويتكلم بغير تدبر ان عرضت عليه فتنة
ارتدته وان رأى فضيلة اعرض عنها وقلة رياد يعرف الجاهل
بثلاث علامات كثرة الالتفات وسرعة الاجابة وتحريك راسه
اذا مشى وقال بعض العلماء ست خصال يعرف به الجاهل
الغضب في كل شيء والكلام في غير نفع والعطية في غير موضعها
وافشاء السر والثقة بكل احد وان لا يعرف صديقه من
عدوه وحكى صالح بن حسان قال كان عبد الله بن جعفر بن
ابي طالب رضي الله عنه صديقا للوليد بن زيد بن عبد الملك
وكان عبد الله يأتيه فخلوا يوما يلعبان بالشطرنج فاتاه
الحاجب فقال له ان بالباب رجلا سيدا من اخوالك من
ثقيف قدم غازيا وقد احب التسليم عليك قال دعه ساعة
حتى نفرغ من دستنا قال عبد الله وما عليك من ذلك ايذن
له قال لما علمت ان اللعب مجتمعا عليك ابوت ان تفسده
قال عبد الله فادع منديلا وضعه عليها حتى يدخل الرجل
فيسلم عليك ونعود الى تمام الدست ففعل ذلك ثم قال
ايذن له فدخل رجل مشمر له سبلة حسنة وعليه عمامة فاخرة
وبين عينيه اثر السجود وقد رجل لحيته بالحنا، فقال اصلح

الله الامير قدمت غازيا فكرمت ان اجاورك حتى اقضي حجتك
قال حياك الله وبارك فيك ثم سكت عنه ساعة فلما انس به
اقبل عليه الوليد وقال يا خالي سل حجت القرآن قال لا
قد كانت شغلتنا عنه شواغل قال فهل حفظت من سنن
رسول الله صلعم ومغازيه واحاديثه شيئا قال قد كانت
اموال تشغلنا عن ذلك قال فاحاديث العرب وايامها
واشعارها قال لا اني كنت عن ذلك في شغل قال فاحاديث
العجم واقوالها قال ان فلك لشيء ما طلبته قال فهل عرفت
من اقوال الحكما وسير الملوك ما تسوس به قومك قال لا ان
ذلك شيء لم اكن ابحث عنه قال فاستذار الوليد ورفع المجلس
وقال شاسكك فقال عبد الله سبحان الله قال الوليد لا يستحيا
منه والله ما معنا في البيت انسان فلما خرج ذلك الرجل قال
الوليد اما علمت ان الجهال كالانعام لا يستحيا منهم الوصف

الثالث البخل اعلم ان البخل من اذم الخلايق وانكر الطرايق
نهي عنه الشرع وقضي بقبحه العقل وحقيقة منع الحقوق الواجبة
وتعيير النعاة المستحقة وفي العرف والعادة سوء حفظ المال
ومنع المستفدين من فضوله واعلم ان البخيل لا يزال مسلوب

الهيبة مفقود الرهبة ثقيلا على النفوس بغيضا الى القلوب
ترمقه الابصار بالاحتقار بقلة الوقار وذلك ان البخل
يدعوه الى شدة الكدح وخزن المال ويمنعه من ايصال
الحقوق الى اهلها وسخط الفضايل ويظهر الرذايل انسد نقص البخل العلم
ويظهر عيب المرا في الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاوه
تغط بالوان السخا، فانني ارى كل عيب والسخا عطاوه
وقد نبغ عن البخل اربعة اخلاق مذمومة كل خلق منها في نهاية
القبح وهي الحرص والشره وسو، الظن بالله تعالى ومنع الحقوق
اما الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب والمبالغة
في جمع المال وربما افضى بصاحبه الى اقتحام الحرام واخذ
الشبهات فكان مذموما واما الشره فهو استقلال الكفاية
والاستكثار من المال بغير حاجة وذلك مذموم لنزوعه
الى اللوم واما كونه يسيء الظن بالله تعالى فان البخيل يعتقد
ان المال يذهب الانفاق وليس له خلف من الله تعالى ولا
عوض يرجع اليه فيحصل على عدم الثقة بالله تعالى فوذلك غاية
المذمة القبح واما منع الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق
المال او هو محبوبها ونهاية مطلوبها فلا تنقاد الى ايصال الحق

ولا تذعن بانصاف الخلق واذا كان البخيل بهذه الاوصاف
فليس عنده موجود ولا اصلاح مامول وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة
بعيد من الناس قريب من النار وقال عليه السلام طعام الجواد
دواء وطعام البخيل داء وقال عليه السلام بشر مال البخيل بحادث
او وارث انشدني بعض اهل العلم

المال مذ تيه ولكوث والوراث ما يديع كدوقة الغز
ما تبنيه يهلكها وغيرنا بالذي تبنيه ينتفع وقال بعض الحكماء
البخل جلباب المسكنة وقال حكيم آخر لا يدخل البخل مدخلا
الا اعقبته الخسرة ولا يدخل الطمع مدخلا الا اعقبته
المذلة ولا يدخل الشره مدخلا الا اعقبته الحيرة وقيل
البخيل ليس له خليل وقيل المال كالماء فمن استكثر منه
ولم يجعل له مسربا يتشرب فيه ماز ادعلى القدر الكافي
غرقه انشدني بعضهم

اراك تؤمل حسن الثناء ولم يزدك
الله ذاك البخلا وكيف يسود اخو فطنة يمن كثيرا ويعطي
قليلا الوصف الرابع السرف اعلم ان السرف في انفاق

المال وصف خارج عن حد السخاء المحمود ومجانس البخل في الذم والقبح
لان الله تعالى ساوي بين حالتيهما في النهي فقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
فنهى عن بسطها سرفا كما نهى عن قبضها بخلا فدل ذلك على استوائهما
ذما وانتفاقهما لوما ولان المسرف في عطاياه المبذر في سخاياه
لا يفرق بين محمود ومذموم ولا يميز بين مستحق ومحروم ومن هذه
الحال تدل على جود الطبع وطيش الراي وقصور التدبير فهو لذلك
لا يليق بالملوك لان بيت المال يقل عن الحقوق ويقصر عن
الواجبات فاذا اسرف في بذله فقد وضع الشيء بزيادته
على قدر المستحق قال بعض الحكماء الخطاء في اعطاء ما
لا ينبغي ومنع ما ينبغي وقال سفيان الثوري رحمه الله الحلال
لا يحتمل السرف وقال بعض العلماء ثلاثة لا ترتفع عنهم الرحمة
وتنزل بهم الشماتة في ثلاثة احوال احدهم المبذر لماله حين
تنزل به الفاقة الثاني الشره النهم حتى تصيبه المصيبة
الثالث الظالم المتعدي حين تنزل به العقوبة انشدني بعضهم

وكان المال ياتينا وكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما ان تولى المال عنا عقلنا حيث ليس لنا فضول

الوصف الخامس خلف الميعاد اعلم ان خلف الميعاد ينتصف
اللئام وتاباه الكرام لقبح صورته وشناعة سمعته وهو
من اركان النفاق ومساوى الاخلاق قال رسول الله صلى
علامة المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا ايتمن خان
واذا وعد اخلف وقال لطلحة الطلحات يا بات رجل منى على
وعد الا وبكر الى المظ بحاجته وبكرت الى قضايها تخوفا من
عارض الخلف ان الخلف من النفاق وليس من اخلاق
الكرام وقال ابو الحسن المدائنى كان عمر بن عبد العزيز رض
لا يكاد يوجب حاجة توفيا للخلف وقاله ابو بن عبد الله
فى وصيته الخ اذا وعدت واتق الخلف فانه يزل الهيبة
ويذهب بها، الوجه وقال بعض الحكماء من اخلف وعلم
فقد صغر خطره وجفاه القريب وحاماه الغريب انشد لبعضهم
لا تكسبن عداوة ومذمة بعد الصفاء ببذل وعد مخلف
وكان يقال الخلف نتيجة اللوم واقبح كل خلق مذموم واعلم
ان الخلف من فروع الكذب وسنذكره انشاء الله تعالى

الوصف السادس الكذب اعلم ان الكذب وصف ذميم
وخلق لئيم لا ينفك صاحبه عن الفضيحة لمنافضة كلامه بالسهو

ولا يكاد متعاطيه يسمو له رتبة ولا تحلو له منزلة لاحتقار الناس
له واستصغارهم اياه ونفورهم عنه وقلة ركونهم اليه لانه
ان عاقد لم يوثق بعقده وان اوعد لم يركن الى وعده وان
ذكر شيئا تسارعت اليه التهمة وان تركل به مكروه تراجعت
عنه الرحمة كل ذلك لما قد علمته النفوس من مهانته وقلة
امانته وان كان صادقا كما قال الشاعر ومن آفة الكذاب
نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان حاذقا وقد سلب
الله تعالى وصف الكذب عن المؤمنين بقوله تعالى انما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون وقال رسول الله صلى الكذب مجانب
الايمان وكان يقال لا يقوم على الكذب دين ولا دنيا
وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله اياك ان تستعين
بكذوب فانك ان تطع الكذوب تهلك وان احتاج فيه الى الحيلة فانك ان تطع الكذوب تهلك
وقال عبد الله بن مروان اللحن يجنبه الشريف والعجز آفة
الرأي والكذب فساد كل شيء وحكى ان قيصر كتب الى كسرى
ان عرفني ما ضبطت به ملكك فكتب اليه بثمان خصال
لم اكذب قط ولا مزل قط ولم اخلف في وعد ولا وعيد قط
ووليت للعفا لا للهوى وعاقبت للادب لا للغضب

واشربت قلوب الرعية المحبة من غير جراة ولا وقعت قلوبها
سيبة من غير صغينة وغمرت بالكفاء ومنعت الفضول
وقيل لعدي بن حاتم اى الاشياء اثقل عليك قال تجرع الصديق
ورد السائل قيل فاى الاشياء اوضع للرجال قال كثرة
الكلام والثقة بكل احد واللسان الكذوب وقيل الصدق
عزّ والكذب خزي وكان يقال الكذب من خبث المروة ومهانة
النفس وقلة الحياء انشد بعضهم لا يكذب المرء الا
من مهانته او عادة السوء او من قلة الادب فجنبة الكذب
عندي خير رايحة من كذبة المرء في جد وفي لعب وقال آخر
وما شيء اذا فكرت فيه باذهب للمروة والجمال
من الذي لا خير فيه وابعد بالبهاء من الرجال
واعلم ان دواعي الكذب ثلثة اشياء احدها ان تجلب به
نفعا او تدفع به ضررا فيرى ان الكذب اسلم له او اغنم
فيرخص لنفسه فيه لاجل ذلك الثاني ان يوثر ان يكون
حديثه مستغربا وكلامه مستطرفا ولا يجد من الصدق ما
يزين به حديثه فيستمد من الكذب الثالث ان يقصد
بالكذب وصمة عدوه فيسمه بالقبايح وينسب اليه الفضايح

ومن

وهذه الدواعي تابا ما النفوس الابية والهمم العلية فيما
نفوس الملوك لشرفها عن الرذايل وترفعها عن النقايص
الا انه ربما مست الحاجة الى استعمال قليل الكذب في كيد
الاعداء وتالف البعداء فان مثله مثل السموم القاتلة يعتمد
على انفرادها وتدخل في بعض الادوية المركبة فتصير دواء شافيا

الوصف التابع للغيبة اعلم ان الغيبة مع تحريمها شنعا
وعقلا هي عين البخر ونفس اللوم ودليل النقص تابا ما
العقول الكاملة والنفوس الفاضلة لما فيها من الخطاط الرتبة
والحفاض المنزلة قال علي بن الحسين الغيبة ادام الكلاب
الناس وقال عدي بن حاتم الغيبة مرعى اللئام قال
سمع قتيبة بن مسلم رجلا يغتاب رجلا فقال اما والله
لقد تلمظت بضغة طالما لفظتها الكرام وقال بعض
الحكماء من اكثر من عيوب الناس سهل عليه الاكثار انما
انما يطلبها بقدر ما فيه منها ولقد احسن القايل حيث يقول
اذا انت عبت الناس عابوا واكثروا عليك وابدوا منك ما كنت تستر
اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب الا دون عيبك يذكر
فان عبت قوما بالذي ليس فيهم فذلك عند الله والناس اكبر

وان عبت قوما بالذى فيك مثله فكيف يعيب الحور من سواده
وقال الوليد بن عقبة بن ابى معيط كنت اسير مع ابى فى
موكبه فلصق الى رجل ويغتاب رجلا غائبا فسمعه ابى
فالتفت الى وقال ويحك اما علمت ان الملوك يزنون
اسماعهم عن الخنا كما يزنون السنتهم عن الكلام به فانت
شريك القائل فلقد نظر الى اخت لها فى وعائه فافرغه فى وعائك
ويحكى ان بهرام ملك العجم ولى قائدا من قوادة تخوم ارضه
مما يلى ارض الترك فبلغه عنه انه يكثر من غيبة خاقان فقال
هذا دليل عجزه وضعفه عن مقاومته ثم عزله وولى غيره
وقال ابو الاسود فى ذلك وذى حسد يغتابنى جاهدا لكى
مكانى ويثنى صالحا حيث اسمع تورعت ان اغتابه من ورائه
بما ليس فيه وسوف يتورع

الوصف الثانى من الغضب

اعلم ان
الغضب وصف طبيعى ركبه الله تعالى فى الحيوان ليكون
له بالانتقام من الموذى له وسببه هيجوم ما تكره من النفس
ممن سودونها والحادث عن الغضب السطوة والانتقام
فاذا افرط وجاوز حده سلب العقل وحجب عن صواب الرأى
فيصير صاحبه متطوعا بالجناية قليل الحيلة وربما عاد ضرر الغضب

ونكايته على الغضبان دون المغضوب عليه وقد يظهر ذلك فى
نفسه وجسده والعاقل فى حال شدة غضبه ليس بينه
وبين المجنون فرق ولهذه الاوصاف صار قبيحا مذموما
قال رسول الله صلعم الغضب يفسد الايمان يفسد الصبر
العمل وقال عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما
الشديد من ملك نفسه عند الغضب وقال عليه السلام من كظم
غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال
بعض الحكماء الغضب اوله جنون وآخره ندم وقال الغضب
على من لا يملك عجز وعلى من يملك لوم وكان يقال
اياك وعزة الغضب فانها تفضى بك الى ذل العذر
وكان يقال ما كثر من كثره البغى ولا قوى من قواه الظلم
ولا ملك من ملكه الغضب وكان يقال ليس للملك ان يغضب
لان القدرة من حاجته وليس له ان يكذب لانه لا يغضب
احد على استكراهه على غير ما يريد وليس له ان يكون حقودا
لان خطره عظيم عن المجازاة واعلم ان الذين كان منهم الغلط
القبيح لشدة الانتقام فى وقت غيظهم انما كان ذلك منهم
عقولهم فى ذلك الوقت فيتبغى لمن ناربه الغضب عند هجوم

ما يغضب ان يكف بسورته بحرمه ويطفى ناره بحلمه ليسلم
الندم فى العواقب والذه يسكن الغضب عند سيجانه
خمسة اسباب احدها ان يذكر الله تعالى عند غضبه
فان ذلك يدعوه الى الخوف منه والخوف يبعثه على
الطاعة له بالعفو فيزول عنه الغضب فقد ذكر انه
مكتوب فى التوريته يا ابن آدم اذكرونى حين تغضبون
اذكركم حين اغضب وقيل ان ملكا من ملوك الروس
كتب كتابا وناوله لوزيره وقال له اذا رايتنى قد غضبت
فاتركه بين يدى وكان فيه مكتوبا مالك وللغضب
انما انت بشر ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء
فكان اذا غضب فذلك الملك ناوله الوزير الكتاب
فيسكن غضبه وقيل ان ملكا من ملوك الروم اخذ
جمجمة ملك كان قبله فوضعها فى طشت وناولها بعض
حجابه وقال له اذا رايتنى قد غضبت على انسان فضعها
بين يدى قال فكان اذا غضب وضعها الحاجب بين يديه
فيسكن غضبه السبب الثانى ان يتذكر عند
الغضب ثواب العفو وحسن جزاء الصفح فيقهر نفسه

على دفع الغضب رغبة فى الثواب وما وعد الله به العافين عن الناس
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم القيامة من له اجر
على الله تعالى فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا فمن عفى واصلح
فاجره على الله الثالث ان يتذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس
اليه عند العفو وكظم الغيظ فيمنعه التالف وجميل الثناء من اتباع
الغضب الرابع ان ينتقل من الحالة التى هو عليها الى حالة اخرى
فانه لو افعل ذلك زال عنه الغضب وقد كان هذا شعار
المامون اذا غضب الخامس ان يتذكر ما يؤل اليه الغضب
من الندم ومذمة الانتقام لاسيما انفاذه فيمن لا يستطيع
الدفع عن نفسه فهذه الاسباب الخمسة اذا تدبرها الملك
وتذكرها فى اوقات الرضا كان احرى ان يتصورها فى اوقات
الغضب فتصده عن انفاذ الفعل والافراط فى النكال
والانتقام الوصف التاسع العجب اعلم ان العجب وصف يورث
يسلب الفضايل ويجلب الرذايل ويظهر الحمق ويوجب المقت
ويخفى المحاسن ويشهر المساوى ويفضى الى المهالك قال الله
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال على بن ابى طالب

كرم الله وجهه

الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب وقال بعض الحكماء
اعجاب المرء بنفسه احد حساد عقله وقال آخر العجب رحمق
وثمرته يتجنبها الكبر وكان يقال العجب بنفسه عاقل لان العجب
فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وحكى
ان رجلا نظر الى المهلب بن ابي صفرة وعليه حلة فاخرة يسحبها
ويمشي بالخيلاء فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها
الله ورسوله فقال له المهلب اوما تعرفني قال بلى اعرفك
اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وحياتك فيما بين
ذلك بول وعذرة قال فجعل المهلب والرق منه حياء وقد نظم
عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صنعته * يصير في اللحد جيفة قذرة
وسوء على تيهه وبخوته * ما بين جنبيه يحمل العذرة
وقال بعض البلغاء عجب الملك بتدبيره مفض به الى تدميره
وانشد بعضهم شعرا اذا المرء لم يرض ما امكنه * ولم يأت
من امره ازينه * واعجب بالعجب فاقاده * وتاه به التيه
فاحتمنه * فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوما ويبكي سنه
واعلم ان من لم يحسم عنه اسباب العجب المفضية اليه وقع فيه فهلك

في غالب الاحوال ومن اقوى اسبابه مدح المتملقين الذين يحملون
التملق دابهم والنفاق مسكنهم فيمنع نفسه من تصديق
المدح لها فان النفس ميالة الى سماع المدح ومتى كثر المدح
وجاوز الحد صار كذبا وملقا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال اياكم وكثرة المدح فانه الذبح وقال بعض
من رضي ان يمدح بما ليس فيه فقد اعان الساخر منه وقال
بعض العلماء قبيح بالليب ان يعجب بنفسه عند مدح المادح
او يغضب عند سماع القادح قبل ان يتفقد اعماله ويعلم
ما عليه وماله ولا يترك النصائح افضل منه فان احد اسباب اذا
وصف وجهها بما تحب او تكره امتحنت ذلك بالاطلاع في المرآة
وكذلك ينبغي للعاقل ان يمتحن احواله بان يكمل نفسه الى غيره من
اهل الثقة والامانة واللوب والديانة في لغتيار محاسنه
ومساويه وعيوب نفسه التي فيه ويستنصحهم في ذلك فان الانسان
قد يخفى عليه عيب نفسه لاستيلاء الهوى على عقله فاذا ازاح عن نفسه
ذلك فقد نال غاية الشرف بانعطاف القلوب عليه وميلها اليه

الوصف العاشر الكبر اعلم ان الكبر خارج بالنفس عن حد
الاعتدال وحقيقة استعظام النفس واحتقار الغير وسببه

علو اليد والتميز بالمنصب او النسب او الفضل ومتى جاوز حده و
طوره الى البغي والعتو سلب الدين وافسد الايمان وحض المرء
وحط الرتبة لانه يطمس من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضايل
ما اشتهر ويوغر الصدور ويوجب النفور وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر
وقال رسول الله صلعم لعمه العباس رض انهاك عن الشرك بالله
وعن الكبر فان الله تعالى يحتجب عنهما وحكي ان سليمان داود
عليهما السلام حبس يوما على بساطه بجنوده من الانس
والجن والطير والوحش ثم امر الريح فرفعت البساط
نحو السماء حتى سمعوا زجل الملائكة بالتسبيح وسمعوا
صوت قايل يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة
من كبر لخسفنا به اكثر مما رفعناه وقال بعض العلماء ان للدولة
امراضا يخاف عليها ان تموت بها احطر ما اربعة اشياء
احدها ما يعرض للملك من الكبر الثاني ما يعرض له من
الغضب فان دولته في هاتين الحالتين تضطرب لخروجه
عن حدود السياسة الثالث ما يعرض له من الحرص فانه
اذا حرص ظلم وعسف الرعية الرابع سيجان الرعية فاذا عرض له

شيء من ذلك فليبادر بالحسم وحكي المدايني قال رايت جلالا بغولات
وسوء على بغلة يركب من دنب والغلمان والخدم بين يديه
والناس حوله وصولا يعباء باحد منهم فنظرت اليه متعجبا وقلت
له يا هذا ليس هذا موضع التكبر انما هو موضع التعظيم والخشوع
فانزل عن بغلتك واصرف الخدم من بين يديك في هذا الوقت
واقبل على الله تعالى بخضوع وخشوع فانه يقبل عليك برحمته
ورضوانه قال فلفت الي وتركته وانصرفت فلما كان
العام المستقبل عبرت بالجسر ببغداد فوجدت ذلك الرجل
اعمى يتصدق من الناس فقلت له انت الذي كنت في
العام الماضي على بغلة بعرفات قال نعم انا ذاك الرجل الذي
تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه وضيعني الله في موضع
يتكبر عن مثله الناس انشدني بعض اهل الادب يا مظهر الكبر
اعجابا بصورته مهلا فانك بعد الكبر مسلوب لو فكر
الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب وماكول التراب غدا اقصر فانك ماكول ومشروب
واعلم ان من قطع اسباب الكبر عنه وحسم مواده
واعتاض به تواضعا وخشوعا وتعظيما لله تعالى فقد اكد

اسباب الشرف ومواد النعم وازاح عنه المقت واستعطف
اليه القلوب الوصف الحادي عشر الحسد اعلم ان الحسد
داء عظيم من ادواء النفس لا يشفى سقيمه ولا يرثى سليمه
مع ما فيه من افساد الدين واضرار البدن لان الحاسد
يدوم همه ويكثر غمه ويدوب جسمه ويزمل عقله عن
صواب الراي ويشتغل قلبه عن صحيح الفكر ومنوره
من البخل لان البخيل يحتال لا يقبل احدا شيا من ماله
فكان اعظم قبحا واشد ذما وليس شيء اعظم ضررا
من الحسد قال رسول الله صلعم ان الحسد ياكل الحسنات كما
تاكل النار الحطب وقال بعض الحكماء يكفيك من الحسود
انه يغتم وقت سرورك فاذا رزق الله المحسود نعمة كانت
على الحاسد نقمة وكان يقال الحسد نار في الجسد وكتب بعض
الحكماء الى صديق له قد حسدك من لا ينام دون الانتقام
وطلبك من لا يقصر دون الظفر بك فليكن حذرك بعد
الثقة بالله تعالى على حسب ذلك وقيل مكتوب على فص
خاتم بعض الملوك الحسود لا يسود ابدا والذي خبث
لا يخرج الا نكدا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

لن يصل الحاسد الى المحسود حتى يقتل الحاسد نفسه بغم
دائم وعقل ناقص وهم لازم وما رايت ظالما يشبه
بالمظلوم الا الحاسد انشد بعض اهل الادب
كم من حسود اطال الله حسرته فاغتاض مما على الايام من حسن
وحاسد الخير طول الدهر في تعب يزين الحسد المذموم في كمن
ان الحسود الظلوم في كمده يخاله من يراه مظلوما
في نفسه ايم على نفسه يظهر منه ما كان مكتوما
واعلم ان اسباب الحسد ثلاثة احدها بغض المحسود
قبل ظهور النعمة عليه فاذا ظهرت عليه نعمة او اشتهرت
عنه فضيلة اثارت البغضاء القديمة له حسدا
على ذلك الثاني ان يظهر على المحسود نعمة شاملة
او فضيلة كاملة يعجز الحاسد عن تحصيلها وتقصر همته
عن ادراكها ويكره تقدمه عليه بذلك واختصاصه به دونه
فيصير حسودا الثالث ان يكون الحاسد شحيحا بالفضائل
المكتسبة وبخيلا بالنعم الموسبة وليس يقدر على منعها
ودفعها عنه اذ هي ليست في يده ولا مفوضة اليه فيحسد
على ما منح الله تعالى من عطاياه العميم وفضله الجسيم

وهذا السبب داء ليس له دواء فان كان الحاسد ذا قوة
واقتدار حدث عن حسده الانتقام من المحسود وان كان ذا
عجز وضعف حدث عنه همّ دائم وستم لازم فينبغي ان يحترز عنه
اصحاب الحسد ويأنف من تعاطيه ويتنكف من
من مجانسه مساويه ليدفع ضرره ويتوقى اثره ولا يغالب
قضاء الله تعالى فيرجع مغلوبا ولا يعارضه فيما امر فيصير مسلوبا
ونذكر من تاثير الحسد وضرر عواقبه حكاية تختم
بها هذا الفصل ذكر اهل التواريخ ان بهرام بن يزدجرد
ملك الفرس كان صديقا لخاقان ملك الترك وكان بينهما
مهاداة وتلطف وان بهرام اشتهر امره بالقوة والشجاعة
والكرم وحسن السيرة والعدل في الرعية فحسد خاقان على
ذلك حسدا شديدا وكان له وزيران فذكر ذلك لافضلهما
وسأله التدبير في هلاك بهرام فقال له الوزيران كتم الملك
ذلك سعيت له فيه فقال سأكتمه وليث متع ثم سأل
الوزير عما صنع فيه فاستصبره فلما تكرر ذلك منهما قال له
الوزير ايها الملك لا حيلة لي فيما كلفتنيه وانما استصبرتك
رجاء ان يزول ذلك من قلبك فاني رأيت الحامل لك عليه

انما هو فرط الحسد وتدبير الحاسد راجع عليه بالمضرة والخوف
ان ينصب الملك مكيدة فيقع فيها قال فغضب خاقان
عليه ثم اطلع وزيره الآخر على ذلك وكان فيه شر وخبث
وحسد وحيلة فتكفل لخاقان بنيل مراده ثم انه تلطف
له فاتكا من فتاك الترك لم يكن في الترك اشد باسا في الحملة
منه ولا اجرى منه في هلك وضمن له ان قتل بهرام ونجا
اعطاه رياسة الجند وجعل فلك خالدا في ولده والفاتك
دون مرامه مشرف ولده تشريفا يخلد ذكره ابدا وان الفاتك
استصحب اخاه معه وتوجها الى دار ملك بهرام فلما
وردا قصر بهرام قال الفاتك لاخيه بعني من بعض خدمة
قصر بهرام فلم يزل يتلطف حتى باعه من حافظ القصر الموكل
بحراسته ليلا فجعل ذلك الفاتك يتحبب الى مولاه بحسن الطاعة
ونصح الخدمة حتى تفوق عنده واختص به وان سيده
تخلف عن حراسته لمرض ناله فاستناب الفاتك فتمكن
ذلك الفاتك الى خزائن سلاح بهرام وكانت بازاء
قصره فالقى فيها نارا وثبط اصحابه عن المبادرة الى
اطفائها حتى اشتد عملها فارتفعت الضجة فخرج بهرام

من قصره على فرس له ولا سلاح معه فانتهز الفاتك فيه
الفرصة ودنا من بهرام وبيده خنجر وقد اخفاه في
كمه فنظر اليه بهرام وضوء النار فراى دلائل الريبة
ظاهرة عليه فتفرس فيه الشر فجمع يديه معا في شماله
وانطلق به يقوده حتى لحظه القصر فخلا عنه وسأله
عن امره فصدقه الحديث فقال له بهرام انا
انت فلك ذمتي على حفظ نفسك والاحسان
اليك اذ كنت انما اتيت الذي اتيت طاعة
لخاقان ومناصحة له وبذلت نفسك في مرضاته
ومثلك من يصطنع ويحفظ عليك نفسك
التي ضيعها صاحبك غير اني اريد ان تحبسك
مدة ثم نطلقك ونحسن اليك لغرض نريد ان تفعله
فدللنا على اخيك فدله عليه فارسل في اليه من قبض
عليه وحبسهما في قصره مكرمين واخذ عليهما ان
يكتما امرهما وكان قد رفع الى بهرام ان رجلا من عتبة بزداعا
في بعض الرساتيق له ابنة لم يسمع بامراة خلقت على
مثل صورتها طولها سته اذرع وشعرها ينسحب على موطئ قدميها

وكان جلدها في لونه وصفايه كانه قشور الدر ومي متناسبة الخلق
بديعة التركيب دقيقة التخطيط لا يستطيع من راى عضوا من
اعضايها ان ينقل بصره عنه الا بعد محاسدة النفس واذا قابلت
عينا ما عيني ذي لب اضطرب قلبه فلا يسكن حتى يضمها الى صدره
ويرشف من ريقها وكان لها مع ذلك الجمال البارع ادب وعقل
وحزم فشرعت نفس بهرام تهم اليها ثم تنزه ان يكون تحته ابنة زراع
فقمع نفسه عنها انفة ونخوة ثم نهى ان يذكرها له احد واقر العامل
على البلد الذي هي فيه ان يتفقد امرها ومنع اباها من انكاحها
حتى اذا حدث عليه من خاقان ما ذكرناه احضر رجلا من اصحابه
ذا دهاء ومكر وحيلة فندبه للمكيدة لخاقان واقره بما سنذكره
في اثناء الحكاية واعطاه من الذهب والفضة ونفايس الجوهر
وذخاير الملوك ما ظن انه يحتاج اليه في عمل المكيدة واقره ان يسير
متنكرا في زي تاجر الى والد تلك الجارية التي ذكرناها فيشتريها
منه ليستعين بها على ما ندبه اليه وارسل الى العامل على بلد
ابيها يطالبه بما يعجز عنه من المال ففعل ذلك فجاء التاجر واشترى
منه ابنته بوزنها ذهبا وبمذا شيء كان يفعله امثال الخراج من الغرض
اذا ضيق السلطان عليهم باعوا اولادهم قال ثم ان التاجر قصد بها

بلاد الترك حتى حل بمدينة خاقان فقصد الى الوزير الساعى له
في المكيدة بهرام فاهدى اليه هدايا نفيسة وتملق عنده بالتحف
الى ان انس به الوزير ووثق على قلبه فلبث عنده بعاما ثم
انه قال له انى احببتك ايها الوزير حبا شديدا واولى عاما
انازع نفسى فى اتحافك بتحفة لم يظفر احد بمثلها وكانت نفسى
تضن بها ثم قد سمحت بايثارك فقال وما هذه التحفة قال
جارية طولها ستة اذرع وشعرها يتسحب على موطئ قدميها
كانما كسى جلدها قشور الدر قال فلما سمع الوزير الصفة
استفزته الهوى اليها وجعل يتقاضاه باحضارها فلما احضرها
ووقع بصره عليها لم يملك نفسه ان وثب عليها فعانقها
وقبلها ورشفها ثم التفت الى سيدها وقال له سل ما شئت
واحتكم فقال حظى القرب منك والحضور عندك قال هو لك
وخذ من المال ما شئت قال لا حاجة لى فيه ثم خرج من عنده مبادرا
الى باب قصر الملك خاقان فقال البعض ثقاته ان عندى نصيحة
يخاف فوتها فادخله على خاقان فى الحال فسأله عن نصيحة
قال ان قصدت الملك تحفة لا تصلح الا له فسألت الوزير الخلاف
ان يوصلها الى الملك فاستأثر بها واعتدى وبذل مالا كثيرا

على كتمان ذلك السر فلم افعل قال وما هذه التحفة قال هى جارية صفتها كذا
وكذا فارسل خاقان من فوره رجالا من ذوى البسك والدين وامرهم
بالهجوم عليه وحفظ الحال التى يرونه عليها والاتيان به وبالجارية
محجوبة عن الابصار ففعلوا ذلك وقالوا انهم ابصروا بين يديه جالسة
متجردة فسألها خاقان عما نال منها فقالت عانقنى وقبلنى وجرد
وطر الى سائر بدنى وهممت ان يقتضينى فهجم عليه القوم فاقر
خاقان ان يقطع يديه وتقلع عينيه ويقطع لسانه فرشفته ففعلوا
ذلك بالوزير ثم ان خاقان خلا بالجارية وسألها ابكر هى ام ثيب
فقالت بل بكر فلم يملك نفسه ان افترعها فلما نزع عنها ازالت
عن راسها قناعا فمسح يده ذكره فاحس فيه من ساعته تبللا
ثم بعد ذلك ظهر فيه نفخ ثم ابتدا به الوجع الشديد فعلم انه سم
فتناول موسى فقطع به ذكره وآخر بالجارية فخنقت عنه وحفظت
وطلبوا مولاتها فلم يظفروا به وان خاقان عالج نفسه حتى برئ
ثم احضر الجارية فسألها عن نفسها واهلها وبلدها فاخبرته ولم
تكن تعلم من امر مولاتها اكثر من انه رجل تاجر اشتراها من ابيها
بوزنها ذهبا وسألها عن القناع فقالت كسانيه سيدى
وعرفنى انه يهدينى للملك وان من شان الملوك اذا وقع واحد منهم

على جاريته ونزع عنها ان تمسح ذكره بما على رأسها كائنا ما كان فان
لم تفعل ذلك سقطت من عين الملك وتوقعت لسخطه فعلم خاقان
انها محذوعة فلم يتعرض لها بشر ولما عاد صاحب بهرام اليه واجره
بما تم له من المكيدة امر بهرام باحضار الفاتك الترك واجزله
واحسن اليهما وكتب معهما كتابا الى الخاقان يقول فيه ان الحسد
والبغي اوقعا واوبقا وزير ك وزير السوء موالوا الندم وقد كنا
انزلنا بمنزلة الاخ قبل ان نعرف خبث نيتك فينا وحسدك لنا
فلما علمنا ذلك اهوينا بك الى الهوة بنا فقضى الله لنا عليك بنجح
السبق لعلمه بصلاح نيتنا وخبث نيتك والان فاتق الله تعالى
على نفسك فلسنا نعرض لك بسوء لما الزمت حسن النظر لنفسك
بما التمنا قال فلما انتهى الكتاب الى الخاقان من ايدي اتى ثم اتاه
داخلة الحمية والانفة فتهيج لقتال بهرام فاقام من الترك الكثير
وسار الى ارض فارس فانتجب له بهرام انجادا من ساورة
الفرس والقيه فهزمه بهرام وقتل رجاله ونهب اموالهم واستولى
على بلاده وكان سبب اثارة هذه الفتنة الحسد والبغي

الثاني عشر العجلة اعلم ان العجلة بقوية العاقبة مذمومة الاثر
ينتجها طيش وتهور اولها ملامة وآخرها ندامة لا يفارقها الزلل

ولا يعدمها الفشل وقد قال رسول الله صلعم العجلة من الشيطان
وكان يقال لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا
الشره غنيا وقيل انه اجتمع اربع ملوك من الروم عند حكيم
من حكمائهم فقالوا اوصنا ايها الحكيم وصية ننتفع بها
فيما صار الينا من امر الملك فقال من استطاع منكم ان يمنع
نفسه من اربعة اشياء فهو حقيق ان لا ينزل به مكروه وهي العجلة
واللجاجة والعجب والتواني فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة
الحيرة وثمرة العجب البغضة وثمرة التواني الذلة وكان يقال
التثبت في النوائب معقل اهل التجارب والعجلة في الامور
داعية كل محذور واوصى ملك من ملوك اليمن من يخلفه من بعده
فقال اوصيك بتقوى الله تعالى فانك ان تتقيه يهديك ويرضى
عنك ومتى رضي الرب عن عبده ارضاه واحرى ان لا تعجل
فيما لا يخاف فيه الفوت فان العجلة ندامة ولو اشكل عليك امر
فشاور ولو اتهمت فاستبدل واذا استكفيت فاخبر
واذا قلت فاصدق ولو اوعدت فانجز واذا اوعدت
في حق فانفذ واعلم انك اذا ضبطت حاشيتك ضبطت
قاصيتك والسلام واعلم ان العجلة مذمومة الا في افعال البر

وصنايع المعروف فانها حسنة محمودة قال بعض الحكماء على الملك
ان يعمل بخصال ثلاثة تاخير العقوبة في سلطان الغضب وتعجيل
مكافات المحسن والاناءة فيما يحدث فالة في تاخير العقوبة
امكان العفو وفي تعجيل المكافات بالاحسان المسارعة في
الطاعة من الرعية وفي الاناءة ايضاح الراي وانفساح
الصواب وذكر بعض الملوك في وصيته له لولي عهده لقد امت
بخير فعجله ولقد امت بخلافه فتاني فيه واذا حكم تورحم وكان يقال
العجلة مكروهة قبيحة الا في ثلثة اشياء في اصطناع المعروف
اذا امكن وفي تزويج البكر اذا خطبت وفي دفن الميت اذا مات

الوصف الثالث عشر المزاح

اعلم ان المزاح شاغل عن الامور المهمة مذهل عن النوائب
المدلهمة يذهب الهيبة والوقار وليس لمن وسم به مقدار
يزيح عن الحقوق ويفضي الى العقوق ويوقع صدود الاحباب
ويجانب محاسن الاداب ويذهب البهاء ويجري السفهاء
اوله حلاوة واخره عداوة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
اتقوا المزاح فانه خفة توزث الضغينة قال اكثم بن صيفي
المزاح يذهب البهاء والمهابة فاحذروه واوصى مسلم بن قتيبة ابنه

فقال لا تمازح فانك ان مزحت استخف بكم نظراؤكم ويجري عليكم اكفاؤكم وسفلة
مسلبة للهيبة مقطعة للصحبة اوله فرح واخره ترح وقيل
اذا مازح السلطان فان عنده رعيته ولؤاسفه ذهبت
حرمته وقيل في منشور الحكمة من قل عقله كثر مزاحه وقيل
المزاح مفضل الدواء عزيز الدواء وقيل خير المزاح لا
ينال وشره لا يقال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من اكثر من شيء عرف به ومن مزح استخف به ومن كثر ضحكه
دهبت مهابته ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء
به الظن وقال محمد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف
فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك وكان يقال لكل شيء بذر
وبذر العداوة المزاح انشد بعضهم
اترك مزاح الرجال ان مزحوا ... فان في فاح الغبي مروءته
ان مزحوا لم ار قوما تمازحوا ... ورب قول يسيل منه دم
وقال آخر واياك واياك المزاح فانه يجري عليك الخفة والدنس الذلة ويذهب ماء
الوجه بعد حياءه ويعقبه من بعد عزة ذلا وقال آخر
ولقد حبوتك يا بني وصيتي ... فاسمع مقال اب عليك شفيق
اما المزاح مع المرأة فدعهما ... خلقان لا ارضاهما لصديق

اني بلوتهما فلم احمدهما ٥ لمجاور جار ولا لرفيق
والجهل قد يضع الفتى في قومه ٥ وعروقه في الناس غير عروق
حتى تراه في نباذ البغضة ٥ ذليلا غير محبب مسؤوق
واعلم ان النفوس متى سلك بها الجد والزمت به
سئمت عنه وضجرت واستثقلت حمل الحق وربما افضى
بها ذلك الى ضيق العطن وسوء الخلق فينبغي ان يرفهها
بقليل المزاح ويسير الرعاية وليكن كما قال ابو الفتح البستي
افد طبعك المكدود بالجد راحة ٥ ترحه وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن ٥ بمقدار ما تعطي الطعام من الملح
وقال رسول الله صلعم اني لامزح ولا اقول الا حقا
وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني اقتصر في مزاحك فان الافراط
فيه يذهب بالبهاء ويجرئ عليك السفهاء والاقصاد عنه
بالكلية يبغضك الى اصحابك ومؤانسيك فامزح معهم
وليكن بمقدار ما يحصل لهم به الانس منك من غير افراط
وليحذر مع هذه الشريطة ان يمازح عدوه فيصير ذلك طريقا
له الى اعلان المساوي فقد قال بعض الحكماء اذا مازحت عدوك ظهرت

الوصف الرابع عشر الضحك

كثرة الضحك
يغيب المزح في المذمة والقبح ولا يقتضيه حال الملوك
وارباب المناصب لما فيه من زوال المهابة فوق ثياب الوقار
وقلة الادب وقد قال رسول الله صلعم لابي ذر الغفاري
اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بهاء الوجه
وقال عمر رض الخطاب رض من كثر ضحكه قلت مهابته ومن اكثر
من شيء عرف ولكن لابد ان يرى الانسان او يسمع ما
يغلب عليه الضحك منه او تمسه الحاجة اليه لا يناسب الجليس
فينبغي اذا طرا شيء من ذلك ان يجعله تبسما من غير قهقهة
واسترسال ويراعي فيه الشريطة التي قدمناها في المزح

الوصف الخامس عشر الغدر

اعلم ان الغدر بعد عقد العهد حرام وعاقبته وخيمة
ودمار ولا نقضنا حتى ينتهي امده وينقض لسدده قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال تعالى
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وروي سليمان عامر قال
كان بين معوية وبين الروم عهد فسار معوية في ارضهم كانه يريد
ان يغير عليهم فقال له عمر بن عبسة سمعت رسول الله صلعم يقول

من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحل عقدة ولا يشدها حتى يمضي
امدها او ينبذ اليهم على سواء قال فانصرف معاوية فلك
المعام وقال بعض الحكماء الغدر يسرع الى الملك ويعجل الى
زوال الملك وكان يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر
معزول وجيش العدوان مخذول وعزتين الطغيان مذلول
وكان يقال لكل عاثر راحم الا الغادر فان القلوب
مجمعة على الشماتة بمصرعه وقال حكيم لبعض ملوك زمانه او صيك
بخمس خصال ترضي بهن ربك وتصلح بهن رعيتك لا يؤتين
ارتقاء السهل اذا كان المنحدر وعرا ولا تقدرن وعدا
ليس في يديك وفاؤه واعلم ان الامور بعتاب فكن على
حذر واعلم ان للامور جزاء ومكافاة فاتق العواقب
واياك والغدر فانه اقرب الاشياء مرعة واوصى
ابو مسلم الخراساني قوما بعثهم الى منازلة قوم عدوهم
فقال اقصروا قلوبكم الجراءة فانها سبب الظفر واكثروا
من ذكر الضعاين فانها تبعث على الاقدام والزموا
الطاعة فانها حصن المحارب واحذروا من الغدر فان
الغادر مصروع ويحكى ان موبذان قال ليفيروز ملك العجم

لما عزم على نقض العهد الذي كان بينه وبين الخشوار ملك الهياطلة
وخرج الى بلاده ايها الملك ان الرب تعالى يمهل الملوك على الجور ولم
يشرع في صدم اركان الدين فاذا شرع فاذخ لك لم يمهلهم وان عقد
الميثاق من اركان الدين فلا تنقضه فلم يلتفت اليه فيروز وخرج طالبا
الخشوار فهزم جيشه وقتله واستولى على بلاده وقد اوضحنا في هذا
الباب من الاوصاف الذميمة والاخلاق الليئمة ما احتمله كتابنا
هذا او ضمنه بذكر عوارض بدنية ربما عرضت للملوك او بعضها
فاضرت بهم واخرجتهم عن حدود الاعتدال وهي ثلثة اعراض العوض
الاول والثاني الهم والغم اعلم ان مزين العرضين اذا طريا
واشتدا افراطهما فانهما يجلبان من الالم والاذى على النفس
والجسم امرا لا يمكن تلافيه ويودي بان الى التقصير في المطالب
والقصور في التدبير مع ما يظهر في الجسم من الخبل وفي العقل
من الذهول وهذان العرضان لا مندوحة لاحد عنهما ولا بد من
طريانهما في مقابلة الحوادث المملة والنوائب المهمة فالهم سوء يقع في
النفس حدوثه وطريانه في الزمن المستقبل من الامور المهمة والغم
سوء الكمد للنفس وحزنها على فوات ما ذهب في الزمن الماضي فينبغي
للملك ان يروح نفسه وجسده عند طريان احدهما وينال شيئا من

النعم الاوفر والوهو واخ انواع ومن
لكرعة مندوحة
اي سعة ٥

اللذة والسرور بالاشياء المباحة في الشرع بقدر ما يبلغ به مصلحة
ويحفظ به صحته وينبغي ان يكون مقدار اصابته من ذلك ما يحصل
به الاعتدال من غير افراط فيه فان الاكثار من اللهو يحصل به
من الغم لانه يلهيه عن تدبير مصالح المملكة فكان الاعتدال
في ذلك اقسط وقد كان الملك العادل نور الدين محمود
زنكي رحمه الله اذا طرى عليه احد هذين العرضين نزل
الى الميدان وشرع يلعب بالكرة والصولجان نهارا
اجمع فاذا جن عليه الليل بسط رقعة الشطرنج وجعل يلعب
حتى يغلب عليه النوم العرض الثالث السكر من الشراب اعلم
ان السكر حرام في جميع الاديان وانما اختلفوا في عين المسكر
وقد جمع اهل العقل على قبح السكر مع تحريم الشرائع له وسوء
الاعراض الردية المفضية بصاحبها الى البلايا والاسقام
وقد ذكر اهل الطب ان الافراط من السكر ربما حدث منه في
وقته على صاحبه علة السكتة والاختناق وامتلاء بطن القلب
الحاب للموت فجاءة وربما حدث منه انفجار الشريانات
التي في الدماغ ويحدث منه في غير وقته الحميات الحارة والاورام
الدموية والصفراوية ويحدث منه الرعشة والقولنج اذا كثر

مع ما يجلب على صاحبه من فقد العقل وهتك الستر وافشاء السر
والاشتغال عن درك المطالب ولا يكاد صاحبه يسمو لحال
ولا يستقيم له امر في تدبير ولا يزال محظ الرتبة عند نظرائه
مسلوب الوقار في اعين الناس قال الشاعر
متى تبلغ الخيرات او تستطيعها ولو كانت الخيرات منك على شبر
اذا بت سكرانا واصبحت مخمارا وعاقرت الشراب من الخمر
واكثر ما تنصب الغوائل والمكايد للملوك في حال سكرهم من اكله
مع ما يؤول السكر بصاحبه في الآخرة الى العذاب المهين والنكال الدائم

الباب السابع في كيفية رتبة الملك واوليائه في حال جلوسه وادبه

اعلم ان ملوك الامم على اختلاف اجناسهم كانت لهم سنن وآداب
تميزوا بها واقاموا ابهتهم بالمواظبة عليها يضيق كتابنا هذا
عن شرحها ولا فائدة في ذكرها لان الشرع ورد بالنهي عن التشبه بها
بل نقتصر في ذلك على مثال رتبة خلفاء بني العباس اذ هم قدوة
ملوك الناس لينسج الملوك على منوالهم ويحذو حذوا مثالهم
ونذكر من ذلك قدر الحاجة على سبيل الاختصار فنقول ينبغي للملك
ان يجعل جلوس طبقات اعوانه واوليائه على ثلاث مراتب
المرتبة الاولى يجلس فيها الجند والغلمان الذين ليستلم مرتبة

على غيرهم المرتبة الثانية يجلس فيه القوله المتوسطون الذين
قد ولوا الاعمال من قبل الامراء ومن يجري مجراهم من الطوائف
وغيرهم المرتبة الثالثة يجلس فيه القوله والامراء الاكابر
الذين يتولون الاعمال ويخطب لهم على المنابر وكبراء
الحجاب والعلماء والقضاة وهذه المرتبة تسمى دهليز
الخاصة وهو القريب من السرير فاذا جلس الناس لا يخلط
قوم بغيرهم ولا يعلو احد منهم في الجلسة على من هو فوقه ويستقر
الحجاب طول جلوسهم فاذا وجدوا احدا جلس في غير مرتبته
اقاموه اليها ويجلس صاحب الحجاب ملاصقا للوزير
والباب الذي يوصل منه الى الملك لانه اول من يصل اليه
ويكون السرير مستقبلا على الباب الذي يمسكه الملك مع خدمه
وجلس على سريره المفوض اليه شرف وقف على رأسه الخادم
صاحب المذبة ويكون ممن له طلاقة وصورة
حسنة مقبولة ثم يخرج الخادم الحرمي صاحب
الرسالة فيستدعي صاحب الحجاب فيدخل وحده ولا
يشال الستر لكن بعضه حتى يقف في صحن الدار بين يدي الملك
ثم يستدعي الوزير فيتقدم الحاجب يمشي معه الى ان يقرب من السرير

فيتقدم وحده ويرجع عنه الحاجب فاذا علم انه عما يعامل به
الناس من التقدم معه فيخدم الملك ثم يقف على يمنة السرير على
نحو خمسة اذرع منه ثم يدخل امير الجيش بعده فيمشي معه الحاجب
كما فعل بالوزير فيخدم الملك ثم يقف على يسرة السرير ثم يدعى
بالحجاب فيدخلون ويخدمون الرؤساء الاستادين فيدخلون
ثم يدعى بالامراء القواد فيوصلهم الحاجب ويقفون على مراتبهم
يمنة ويسرة على حسب محلهم وموقعهم من الاختصاص ولا يتقدم
احد على غيره ثم يدعى بالعلماء والفقهاء والقضاة فيدخلون
دون الوزير على يمنة السرير ثم يدعى رؤساء المتطببين فيقفون
بازين فاذا احتيج الى مسالتهم عن شئ تقدموا الى الملك عند
خروج الناس ثم يدعى بالغلمان والجند ومن حضر الدار ويقفون
بازين صفا مفردا خلف الناس ثم يخرج الناس على طبقاتهم
بعد وقوفهم ساعة وبعد ان يلحظهم الملك ويشاهد حضورهم ويعرف
من تخلف من وجوههم وليحذر كل من وقف بين يدي الملك ان
يتسار اثنان او يتحدثان ثم يستخلف الوزير ساعة طويلة
وقد تخلى صاحب المذبة الكبيرة من موضعه الى ان يفرغ ما يحتاج
الى ذكره ويأخذ الوزير المذبة الصغيرة فيذب بها ويكون صاحب

الحجاب واقفا بالبعد من السرير بحيث يستدعى اذا احتيج اليه
يخرج بعد ذلك الوزير ومعه الحاجب فيجلسان فى الدهليز وينظر
فى اعمال الملك المهمة وحوائج داره ويرجع الناس الى مراتبهم
واعمالهم واذا قدم الحاجب احدا من الاولياء لتقبيل اليد
او الخدمة يمشى مما يلى سيفه وقدمه بعضده الايسر ويكون يد
الحاجب اليسرى على سيف المتقدم فاذا اقبل به الملك اخره
الحاجب وتسلمه من الحجاب الاقرب منهم فالاقرب الى ان يقيموه
فى رتبته واذا اراد الملك ان يركب فى موكبه فبين جميع الناس
ممن ذكرنا ان يمشوا بين يديه واسلحتهم مشهورة الى ان
يصلوا الى مواضع الركوب فيركبون وقد تقدمهم قطعة من
الحجاب قدام الموكب يطردون ويمنعون احدا من سلوك الطرقات
وتكون الحجاب الخاصة قدام الموكب ليحرسوا منها ما اراد ولذلك
اصحاب الجوارح وكلاب الصيد والفهود يتقدمون الموكب
ثم يسير خلفا الحجاب ونوابهم يتفحصون الموكب ويتردون
فيه فيمنعون احدا من العامة المرور فى خلاله ثم يسير صاحب الحجاب
قدام الملك وبينه وبين الملك مقدار ما اذا ناداه او اشار
سمعه ويتبعه الملك ويكون الوزير وراءه فاذا استدعى صار

زايد على موكب الملك ليخاطبه ولا يكلف الملك ان يلتفت اليه بعنقه
فاذا استتم كلامه رجع الى ورائه ويكون خلف الوزير وجوه الخدم
والرؤسا، وسائر طبقات الاولياء ثم يتبع ذلك بغال الشراب
والماء المزملة وتكون بارزة بحيث ترى ولا يزحمها الموكب
ويكون معها بغال الكسوة وفيها خلع معدة ويكون معها بغل
عليه صندوقان يعد فيهما ما خف من الالطة مثل اوشاط
ولفات واقراص وغير ذلك ويكون خلف الخدم خادم
الجوايز والصدقات ومعه عيبة فيها صرار فيها من خمسة دراهم
الى مائة الى الف درهم فاذا الملك ببلغ عرفه كان يرسله الى صاحب
ويكون فى الموكب العلماء والفقهاء والقضاة والمؤذنون
يسيرون فى وسط الموكب ليلا يلحقهم الزحمة واذا وصل الملك
الى باب من ابواب قصره او متنزهاته التى يسلكها نزل الحاجب
والخدم ومر فى الموكب من امير الجيش وصاحب الشرطة ووجوه
الحجاب ومشوا بين يديه الى ان يخرج من ذلك الباب ثم
يركبون واذا اعاد الى قصره ترجل الناس اجمع ومشوا الى
ان يصلوا الى الموضع الذى يقف فيه الحجاب وتكون البوقات
التركية والطبول تقرب عند ركوبه ونزوله ولا ينبغى للملك

ان يكثر من الركوب والظهور من قصره فان سيبة الاسد في
اهل البلدان الذين لم يتكرر منهم الرؤية له اعظم من سيبته في
قلوب رعاة الضان الذين يرونه كل وقت ولا يطلب
اللبث والاحتباس في قصره فان اتباع الضاري
اذا لم تشاهد الراعي بلغت مراده من الضان

الباب الثامن في بيان فضل المشورة والحث عليها

اعلم ان المشورة عين الهداية وسبيل الرشاد الى الامر
وايضاح المبهم من الراي ومفتاح المغلق من الصواب وقد حث
الشارع عليها وندب الخلق اليها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر قال الحسن البصري رض
امره بالمشاورة ليستقر له الراي الصحيح فيعمل به وقال
الضحاك لما علم فيها الفضل ويعود بها من النفع ولان
ارسال الخواطر النافية واجالة الافكار الصافية لا يكاد
يعزب عنها ممكن ولا يخفى عليها جائز والمستبد برايه بعيد
من الصواب قريب من الزلل وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس
وما استغنى مستبد برايه وما هلك احد عن مشورة واذا اراد الله

بعبد سلكة كان اول ما يهلكه برايه وقال صلى الله عليه وسلم تفقوا عقولكم
بالمذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة وقال علي رضي الله عنه
طالب كرم الله وجهه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من
استغنى برايه وقال بعض البلغاء مع الاسترشاد احمد من الصواب
بالاستبداد وقال بعض الحكماء نصف رايك مع اخيك فشاوره
ليكمل لك الراي وكان يقال اذا اشكلت عليك الامور فارجع
الى راي العقلاء ولا تأنف من الاسترشاد وتستنكف
من الاستبداد فان تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد وتندم
وقال بعض حكماء اليونان اضعف الخيل خير من اقوى الشدة
واقل التوءدة خير من اكثر العجلة والزلة رسول القضاء
المبرم واذا استبد الملك برايه عمي عليه المراشد وقال حكيم
من الفرس النظر في الامور من العزم والعزم في الراي سلامة
من التفريط وداعية الى الظفر والتدبر والفكر يبحثان عن
عن الغطنة ويكشفان عن الحزم ومشاورة الحكماء تثبت
في اليقين وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم واعزم قبل ان
تصرم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وكان يقال
ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة

ولا اكتسب البغضة بمثل الكبر وقال عبد الملك بن مروان لابنه اخيك
وقد استشرته اجبا لي من ان اصيب وقد استبدت
برايي وامضيته من غير مشورة لان المقدم على رايه يؤدي به
امران تصديقه رايه الواجب عليه تكذيبه وتركه من المشورة
ما يفوله به بصيرة انشدني بعضهم شعرا اذا الامر اشكل
انفاده ولم ترمه سبيلا فسيحا فشاور بامرك في سترة اخاك
اخا اللبيب النصيحا فربت ما فرح الناصحون وابدو امن
الراي رايا صحيحا ولا يلبث المستشير الرجال اذا مو
شاور ان يستريحا وقال محمود الوراق في المعنى ان اللبيب
اذا التفوق امره فتق الامور مناظرا ومشاورا واخو
الجهالة يستبد برايه فتراه يعتسف الامور مخاطرا وقال آخر
شاور صديقك في الخفي المشكل واقبل نصيحة صاحب متفضل
فالله قد اوصى بذاك نبيه في قوله شاورهم وتوكل

الباب التاسع في بيان اوصاف اهل الشورى وحكاياتهم

اختلف الناس في اهل الشورى هل الاولى ان يجمعهم الملك على الرا
او ينفرد بكل واحد منهم في المشورة فذهبت العرب والفرس
وملوك الهند الى ان الاولى اجتماعهم في ارتياد الراي واجالة

ليتذكر كل واحد ما قد حضر خاطره ونجمته فكرته حتى اذا كان ملك
قدح في الراي ذكره وان توجه عليه نقض تقضه وانه لا يقع
في الراي مع اجتماع القرايح عليه خلل الا ظهر واشتهر فوجبت
الروم وملوك الفرس الى ان الاولى انفراد كل واحد منهم بالمشورة
ليجمل فكره ويستجد خاطره طمعا في الخطوة بصواب الراي
فان القرايح اذا انفردت استكدها الفكر واستفزعها الجهد
واذا اجتمعت كان اول بدا بالراي متبوعا وينبغي ان يجتمع
في اهل الشورى اربع شروط عليها مدار المشورة وبها ينتظم
شمل الصواب احدها الفطنة والذكاء ليلا يشتبه
عليهم الامور فيلتبس فلا يصح مع اشتباهها عزم ولا تم
مع التباسها حزم الثاني الامانة ليلا يخونوا فيما ائتمنوا
عليه ولا يغشوا فيما استنصحوا فيه الثالث صدق اللهجة
ليثق الملك بخبرهم فيما يهمونه اليه ويعمل برايهم فيما اشاروا به
عليه الرابع ان يسلموا فيما بينهم من التحاسد والتنافس فان
ذلك يمنعهم من الكشف عن صواب الراي الخامس ان يسلموا
فيما بينهم وبين الناس من العداوة والشحناء فان العداوة
تصد عن التناصف وتحجب عن صواب الراي السادس

ان لا يكونوا من اهل الاهواء فيحجبهم الهوى من الحق الى الباطل
فان الهوى خادع الالباب وصارف عن الصواب وان
ان يكونوا من كبار الدولة ومشايخ الاعوان لان المشايخ
قد حنكتهم التجارب وعركتهم النوائب وقد شاهدوا من
من اختلاف الدول ما اوضح لعقولهم صواب الراي وقد كانت
العرب تقول المشايخ اشجار الوقار ومنابع الاخبار
لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقد كان يقال عليك
بآراء المشايخ فانهم ان فقدوا الانكاء الطبيعة فقد حربت على
عيونهم وجوه الخبر وتصدقت لاسماعهم اثار العبرة
وحكي ان المامون قال لاولاده يا بني ارجعوا فيما
اشتبه عليكم الى ارآء اهل الحزم من اعوانكم المجربين
من المشايخ المشفقين فانهم يريدونكم ما لا تعلمون
ويكشفون لكم اغطية ما لا تعلمون فقد حنكوا لكم الدهور
ومارسوا لكم الامور وعرفوا حوادث الازمنة واعراضها
واقبالها ولعبارها فروضوا انفسكم لهم وتجرعوا مرارا تهم
فقد قيل من جرع حلو التسهل وينبغي ان لا يدخل في مشورته
بخيلا ولا جبانا ولا حريصا ولا متهما ولا كذابا لان البخيل يحمله

بعقلك والجبان يخوفك ما لا تخاف والحريص يعدل ما لا يرضى
فقد كان يقال البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة
مجمعها سوء الظن وقال عبد الملك بن مروان لبعض
عماله لا تستخفن في امر دمك برأي كذاب ولا تحب فان
الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب واما
المجرب فليس له رأي صحيح ولا روية تسليم وينبغي للملك اذا اتى
كل واحد بما عنده من الرأي ان يتصفح اقوالهم ويكشف
عن اصولها واسبابها ويبحث عن نتايجها وعواقبها مع
مشاركتهم جميعا في الارتياء والاجتهاد ويتوقف
في ذلك فليحذر مبادرة العمل بالراي قبل امعان النظر فيه
فقد قيل اضعف الراي ما سبح للبديهة وقيل افضل
الراي ما تكررت الفكرة بعده واحكمت الروية عقده
وكان يقال كل راي لم يتمحض به الفكرة ليلة كاملة
فهو مولود لغير تمام قال عبد الله بن وهب دعوا الراي
ثلاثا فان عيي به يكشف لكم عن محصنه وقال ابن سيرين
وصوفوب ولده لا تكونن اول مشير واياك والراي الفطير
ولا تشر على مستبد برايه وتجنب اركان الكلام انشدني بعض اهل العلم

واذا الخطوب عليك يوما اشكلت • فاعمد لرأي اخ حكيم مرشد
فاذا استشرت فكن لنفسك رائدا • مستبشتا خذ الرشاد وتندى
واذا توزر له الرأي الصحيح بعد الفكرة والروية شرع في
امضائه والعمل به وينتهز فيه الفرصة ويحذر مخالفة النفس
والاستهانة بنصائحهم فقد قيل من عصى نصيحا فقد
استفاد عدوا • وكان يقال يستدل على ادبار امر الملك
بخمسة اشياء • احدها ان يستكفي الاحداث الذين
لا خبرة لهم بمواقد الامور ومصادرها • الثاني ان
يقصد امثل موقته بالاذى • الثالث ان ينقص
خراجه عن قدر مؤونة ملكه • الرابع ان يكون تقريبه وابعاده
للهوى لا للرأي • الخامس استهانته بنصائح العقلاء
وارائهم ذوي الخبرة • قال كسرى انوشروان حزم ذوي الرأي
ومن لا رأي له ان يستشير عالما ويطيعه • قال الشاعر
اذا ما امور اعورت في اجتيالها • فلا تعص ذا لب وقل مثل قوله
وقال آخر
اذا ما الامور عليك التوت • فشاور لبيبا ولا تعصه
وان كنت في حاجة مرسلا • فارسل حكيما ولا توصه
وقال ابو الفتح البستي

لا تستشر غير مذب حازم يقظ • قد استوى منه اسرار واعلان
فللمدابير فرسان اذا ركضوا • فيما ابرموا كما للحرب فرسان
وللامور مواقيت مقدرة • وكل امر له حد وميزان
فلا تكن عجلا في الامر تطلبه • فليس يحمد قبل النضج بستان
وسنختم هذا الباب بثلاث حكايات موضحة لما شرحناه
الحكاية الاولى قيل ان كسرى انوشروان وصفت
له ارض من اليمن الهندية بتقارب اقصى بلاد اليمن
المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة العرائر وحصانة
المعاقل ووصف له تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة
الفهوم وشجاعة النفوس وقوة الابدان والصبر
على ملازمة الطاعة لملكهم ولين القياد فشرهت نفس
كسرى الى تملك تلك الارض فسأل عن ملكها فاخبر انه
عظيم من الاساكرة وانه شاب منقاد للشهوته مقبل
على لذته الا ان رعيته قد اشربت قلوبها ودته وابصرت
آمالها اليه عنده • قال فجمع كسرى وزرائه واعلمهم ان نفسه
تائقة الى تملك تلك الارض وعرفهم صفات الارض
واقبال رعيته على طاعته ومحبته فاجتمع رايهم على ان

ينتدب لاستفساد رعيته ذلك الاركن رجالا يحسنون
نصب الدعوات وقلب القول قال فاحضر رجالا من ذباة
العجم ونساكهم وامرهم بالاموال ونصب لهم مثالا
يحكمون عليه فنفذوا لما امرهم وتفرقوا في تلك المملكة وعلى
كل منهم قوته فيما انتدب له واحكموا امرهم في عامين
وبثوا الدعوة في مدينة الاركن وغيرها من قراه ورساتيقه
ومعاقله وثغوره واستمالوا قلوب الرعية الى كسرى
ثم كتبوا بذلك الى كسرى فاحضر المرزبان الذي يلي تلك
الارض وامره بالتوجه اليها فلما اخذ ذلك المرزبان
في الاعداد والتجهز وكان عسكره خمسين الف
فارس سوى اتباعها فكتب الى الاركن عيونه يخبرونه
بخروج المرزبان اليه ثم ظهر النفاق ببلاده وميس الناس
فيه فانتبه الاركن من غفلته وبحث عن الامر فوقف على
حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم
هم وزراؤه وجلساؤه وسماره والخامس رئيس الزمارقة
الذين يأخذون عنه الدين وكان حكيما عالما قال لجمهم في الاركن

واطلعهم على ما انتهى اليه من فساد الرعية وتجهيز جيوش
انوشروان الى جهتهم وامرهم بالنظر في ذلك وامعان
الفكر فيه فجلسوا للاشارة الراي فقال احد الوزراء الذين
الراي ان نستصلح الملك رعيته فيملأ ايديها رغبات
وقلوبها اموالا فان العدو اذا علم كان ذلك جريا عن
الاقدام وان اقدم لقيناه بكلمة مجتمعة وقلوب سليمة
فقال له رئيس الزمارقة هذا لو كان فساد الرعية
اوجبه جوع وعسف سيرة فيزال الحكم الفساد بازاحة
علته ولما فساد قلوبهم فانما اورده عليهم الجهل بمواقع
الصواب والبطر لترادف النعم وقد قيل اربعة اذا
افسدهم البطر لم تزدهم التكرمة الا فسادا الولد
والزوجة والخادم والرعية فان من الاربع اذا
ساجت لم تقومهم المدارة والرفق الا سيحانا وطغيانا
وانما تعالجهم بحسم موادها قال الملك صدق الحكيم قال الوزير
الثالث الراي ان تضرب بمن صلح من الرعية من غير
منهاج يرجع راغبة منقادة ثم نلقاعدونا بمن لا يحاف
دغلة فقال رئيس الزمارقة هذا انفع لعدونا من جيشه

وادعى الى طاعته من رعاته لانا نعلم ان رعيتنا لا تخلو من عاقل فهم
لم يمنعه من سل سيفه الا الخوف ولو افعل الملك ما اثرت به فقد اباح
سل سيفه ولو اسلم لم يسلم لنا انما يسلمه علينا ويتبعه الجمهور لما
قد طبعوا عليه من حب الملوك والتعصب للضعفا، وقد قيل
اربعة من استقبلها بالعنف والردع في اربعة احوال هلك
بها الملك في حال غضبه والسيل في حال تجرمه والفيل في حال
غلمته والرعية في حال ضيمها وقالت الحكماء اشبه شئ برد الرعية
عند ضيمها معاناة الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجلد بالاطلية
الرديعة فقال الملك صدق الحكيم قال الوزير الملك الرأي
ان يطلب الملك تعيين من فسدت طاعته بالامنا، الثقاة
من الجواسيس فاذا تعينوا عوملوا بما تقتضيه احوالهم من قلة
او كثرة فقال رئيس الزمارمة ان البحث الآن عن هذا خطر
لانه لابد ان يفطن له ولو افطن له خاف المريب فحذر ثم
لا يخلو اوره بعد ذلك من حالتين اما ان يحرك الى جهة عدونا
فيعتمده بالنصيح والدلالة على العورات ثم يقاتل معه على بصيرة
ليست للعدو لانه يطلب العود الى وطنه واهله وماله واما
ان لا ينفصل عنا ولا يرمينا بل يكاشفنا بالعداوة ويتكثر

على

عليا باشكاله من الرعية فيضرونه علينا وان لم يكونوا على مثل
رأيه لان في الرعية من لعقده الحرمان ومن لعقده التأديب
وجمهور الرعية يتعصبون على الاجناد لانهم لن يعدموا منهم
لؤيا واستطالة فان سوموا افسدوا المملكة وان قصد
المسيء بالعقوبة خاف البرئ ان يتعدى العقوبة اليه فانحاز
الى المسيء لعلة المشاكلة ولو كان عدوا له كما ان الكلبين
اذا تهارشا فرأيا ذيبا فانهما يتركان تهارشهما ويجتمعان
على الذيب وان كان مثلهما في الخلقة لكنهما يعاديان فيصطلحان
عند التعاون عليه وكذلك العاقل لا ينظر الى الملك من حيث
تحققه في الخلق الانساني بل ينظر اليه من حيث تفرده وانفته
وعلو همته وجراءته وشجاعته وكثرة ماله فيناوره ويالف
بالعاقل الذي سويت كله في جبلته وطبعه وغير ذلك من اخلاقه
ولا يخلو الرعية من ناسك احمق يظن انه يغضب لله بجهله
حمقه وجهله على الخروج من واجب الطاعة فيكون اغراه في
الرعية انفد من اغراء الملك في الجند وقد قيل ثلاثة ان كاشفتهم
بامتحان عندهم في ثلاثة احوال خشيتهم احدهم المؤدب
لك اذا امتحنت ما عنده من العلم في حال تأديبك الثاني

صديقك اذا امتحنت ما عنده من البذل في حال فاقتك الثالث
زوجتك اذا امتحنت ما عندها من محبتك في حال كهولتك وامتحان
الرعية في هذه الحال اشبه شيء بما ذكرناه وقد قال الحكماء
ان للدولة امراضا يخاف عليها ان تموت بها احظر ما لرعية
اشياء ما يعرض للملك من الكبر وما يعرض له من الغضب
فان دولته في ناحيتين الحالتين تضطرب بخروجه عن حد الاعتدال
في السياسة والثالث ما يعرض له من الحرص فانه اذا حرص عسف
وظلم والرابع سيء الرعية فقال الملك صدق الحكيم قال الوزير الرابع
وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا اني واصحابي كالاصابع الراحة
في حاجة بعضها الى بعض وقوام بعضها ببعض وكل منا يستمد
من نور عقل الملك بنظره الينا استمداد النجوم الدراري من
نور الشمس واني ارى غير مناسب اصحابي لامر وقعا عليهم ولا
عايبا لارائهم لان القبول والرد الى الملك لا الى غيره فقال الوزير
الملك ذكرية فقال الملك قل ايها الوزير الناصح فلك ولاصحابك
عندنا الثقة بكم والكرامة لانكم في المناصحة لنا والادا الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجدوا له ثم رفعوا رؤوسهم فقال الوزير
ان الرعية قليلة النظر في العواقب غير متحفظة من المعاطب وقد رت

فيما

فيها ثم الفساد ومكاشفتها الآن خطر والتطرق بها ومن في
الملك والعدو قوي التطلع شديد الحرص مستشرف بالظفر ولا
يرضيه الا الغلبة ولا مندوحة لنا عن محاربته فان رأى الملك
ان يصرف همته اولا الى الاستظهار باتحاد معقل حريز يامن
فيه على اهله وخاصته ففو خايره ومن خلصت نيته من رعيته
فاني اعرف في مملكته معقلا شامخا يظل على اهل الارض الطلال
زحل على الكواكب وسوسع ذلك لذيذ الموى فرات الما
وقد كان بعض اسلاف الملك اشرفه اثار احكمه فان رأى الملك
ان يتم به سعي سلفه ثم يودعه ذخايره ويجعله للاقامة استظها
ثم يلقى عدوه ان اقدم على بلاده فان ظهرت خيانة انصاح
الخازن باوليائه الى ذلك المعقل والزم نفسه الصبر وانتظر
الفرج قال فسر الملك برأي الوزير ووقع لجماعهم على رجيحه ثم
ركب في خاصته وحماته حتى اتى فلك المعقل فاشار اليه
الاعوان والرفهم الاسراع في اكمال بنايه وبادر من فوره
فنقل اليه خاص بيوت اموال ونفايس خايره وخزاين
سلاحه وشحنه بالاقوات والاطعمة وسوسع ذلك ليسد الثغور
وان المرزبان اقتحم اطراف بلاده بالجيوش المتوافرة ونازل

حتى اذا بلغ

الثغور وظهرت دعاة كسرى فى تلك الناحية فيمن استمالوه
من اهلها فظهر المرزبان على من نازله ثم جعل يطوى بلاد الاركن
لا يمتنع عليه مرام حتى وافته جنود الاركن فدافعته بعض
المدافعة فانهزم من فسدت نيته فى الاركن وانهزم المناصحون
بانهزامهم واستولى المرزبان على تلك الارض فى اخاز الاركن
واتباعه المناصحون الى ذلك المعقل فسار خلفه المرزبان حتى
اشرف على معقله فرآه منظرا رايعا ومعقلا مانعا فلم يمكنه
النزول بساحته فرجع من فوره الى البلاد فولى فيها الولاة
والعمال واستقامت المملكة للمرزبان ثم ان اغتنام
الفرس جعلوا يعاملون اهل الهند بالقسوة والفظاظة
ويعبثون بهم ويسيخون منهم فبدت الشحناء فى النفوس ورأى
اهل الهند خراج بلادهم يحمل ويصرف الى غيرهم وقد دخلوا
تحت حكم الاعاجم فداخلتهم الغيرة والحمية فعوقوا فضل
ما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم بالتسخط
وتوقف المرزبان عن ردعهم ليلا يوحشهم فكان امرهم الى
زيادة واما الاركن فان وزراءه اشاروا عليه بالكف
وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وبذل المال وفتح

عن المجرم وتالف المستوحش بنعمته تزداد حسنا والنفوس اليه
ميلا والالسنة له شكرا وان المرزبان بعكس ذلك واتفق
ان غلاما من عمال المرزبان على بعض الثغور اساء السيرة
فقام اليه ناسك من نساك الهند يعظه وغضب عليه وامر
بقتله فثار اهل البلد على العامل فقتلوه فبلغ الخبر الى المرزبان
فجاءه بجنوده فانحاز اهل تلك الناحية الى حصن الاركن
ثم ثارت الجنود فى البلاد على ولاتهم من العجم فقتلوهم وخرج
الاركن من حصنه فجمع اليه اهل البلاد وسار المرزبان راجعا
الى بلاده لما قامت عليه الرعية وخرج من تلك المملكة وعلا
الاركن الى دار ملكه فجرى على سنن العدل فاصبح للشعوب
باذلا للراحات مستعملا ما افادته التجارب من الادب
حتى بلغ اجله: **الحكاية الثانية** قيل لما عزم الامين
على انتزاع العهد بالخلافة من اخيه المامون وكان المامون
اثير الجانب عند امه ان كتب اليه الامين يستدعيه ويذكر حاجته
اليه وانه يريد لامر مهم تضيق عنه الكتب وان جواسيس
المامون وعيونه ببغداد لو كتبوا اليه يعرفونه ان اخاه
الامين يريد تحويل الخلافة عنه الى ولده موسى الناطق

فاطلع المامون خاصته على الخبر واستشارهم في امره فاشار
عليه ان يثبت مكانه وينتظر الفرج ويكتب الى اخيه يعتذر
اليه ويتعلل باعلال ففعل ذلك فعلم الامين باحتشاد جهان
وولاه خراسان وجهزه معه جنوده
فخرج على نيف عيسى بالجيوش
فبلغ ذلك الى المامون فاضطرب
انه يجز عن مقاومة علي بن عيسى
اهل خراسان واليه ورون
مستنزة له ليثا
امره فعا رضه
قد لخذ
بالفارسية
فلما نظر المامون
له وامر ان يحمل
الذي سوقاصده
استيذان ولما استقر المامون وزراءه في ذلك الموضع
ادخل عليه ذلك الشيخ المجوسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس

ثم اقبل على خاصته واخبرهم بما انتهى اليه من امر علي بن عيسى
وامرهم بادارة الفكر في الراي في ذلك وسوغ ان ذلك
لا يحسن العربية فقال احد الوزراء الراي اصطناع
اجناد من الاعمام الذين لا يعرفون علي بن عيسى فيلقاه
بهم قبل دخوله ارض خراسان فقال الوزير الثاني
الراي ان تبادر بالارسال الى اخيك معتذرا او منقادا
لما يريده منك اليوم ومنتظرا نصر الله تعالى في غد فانك
مكره على الخروج من عهد الخلافة اكراها لم يخف على احد من
الناس فهو حق لك متى امكنك طلبته وكنت فيه على
حجة ظاهرة قال الوزير الثالث الراي ان تجمع من تثق
بموالاته من ذوي النجدة والشجاعة فترج عللهم فتقصد
بهم بعض هذه الممالك الكافرة المجاورة لنا فتضمها
اليك فلعل الله تعالى ان يظفرنا بهم فنصير الى مملكة سنية
تؤوينا ويقنع الينا ان كان على مثل امرنا فيمتنع وكاتبه
حتى يقضي الله امره قال الوزير الرابع الراي
ان نخاز الى ملك الترك مستجيرا به ومستعينا على اخيك
الغادر فهذا امر لم تزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل

لهابه فلما سمع المامون كلامهم جميعا قال لهم قوموا عني
حتى انظر فيما ذكر كل واحد منكم ثم انه التفت الى الشيخ
فناجاه ورفق به وسأله عن حاجته فقال بالعربية
انى جئت لحاجة فعرض لي ما سواه وكد منها فقال له
المامون تكلم بما في نفسك قال ايها الامير لا تصدعنك
حقارة قدري فان الدرة النفيسة لا يزري بها حقارة
الغواص فقال له المامون ما بنا عنك ايها الشيخ
رغبة فتكلم بما عندك قال انى سمعت ما اشار به القوم
عليك وكل منهم مجتهد في الاصابة وانى لست ارضى شيئا
مما قالوه وانى وجدت في الحكم الذي اخذنا به آبائي عن
آبائهم انه ينبغي للعاقل لو لم يجد مما لا قبل له به ان يلزم
نفسه التسليم لاحكام الحكيم واسبب العقل وقاسم الحظوظ
ولا يترك مع ذلك الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل
على الحظ حصل على العذر فقال له المامون ان هذا
الرجل الذي سوقاصدنا اخلك بنا البلاد لا يمكننا
مقاومته قال الشيخ ينبغي ان تحمد هذا من نفسك ولا تجيء
الي من ينطق به فانه ما كثر من كثره البغي ولا اقوى من قواه

الظلم وان احاك ظالم لك باغ عليك فهو هالك لا محالة وانت منصور
عليه ظافر به وساحدثك حديثا ان حفظت مثاله نلت منالة
فقال المامون هات يا شيخ قال ان الخشوار ملك الهياطلة لما
اسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس واراد اطلاقه اخذ عليه
عهدا ان لا يغزو بلاده ولا يقصد بمكروه ولا يتعرض اليه
بسوء ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة ووثق فيروز
ان لا يتجاوز احد منهما تلك الصخرة بجيش ولا بمكروه لصاحبه
ثم اطلقه بعد ما اوثق منه الخشوار بالعهود فلما وصل فيروز
الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة وعزم على غزو الخشوار
وعلى اخذ بلاده واستيفاء ثاره فجمع وزراءه وشاورهم
في ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي والغدر فالقى عليهم
ما عزم عليه فاذكروه ايمانه التي حلفها للخشوار والصخرة
التي بين المملكتين فقال اني عاهدت بان لا اجاوزها
بجيوشي ولو انا بلغتها حملتها على فيل بين يدي جيوشي
فلا يتجاوزها احد منهم ولو فعلت ذلك فلا اكون ناكثا ولا
غادرا فلما سمعوا ذلك منه علموا ان الهوى قد وقف به على
حد الرضى بهذا القول والتأويل فامسكوا عنه ثم ان فيروز

السياحة ١٣

جمع مرازبته وسلم اربعة مع كل مرزبان منهم خمسون الف
فارس وامرهم بالنجد لحرب الخشوار فلما فعلوا ذلك سار
بهم فيروز وظن ان جيوشه لا غالب لها لكثرتها وشدة شوكتها
فعارضه موبذان موبذ في طريقه فقال ايها الملك لا تفعل فان
رب العزة وخالق العالم يمهل الملوك على الجور ولا يهملهم
اذا اخذوا في هدم اركان الدين وان العهود من اركان
الدين فلا تعرض له بسوء فتهلك فلم يلتفت الى كلامه وسار
راكبا سواه في معصيته ومخالفته نصحايه حتى انتهى الصخرة
التي جعلها حاجزا بين ارضه وارض الخشوار فلما بلغه مسيره
فيروز اليه حمل نفسه على الثبات وفوض امره الى الرب
الاعلى وسأله ان يغضب في لعهود والمواثيقه
الى ان يرجع حتفها فيروز ولا خلف
واخذ مع ذلك بالحزم في سد ثغوره وجمع جنده ثم خرج الى
فيروز بعد ما توسط ارضه وعاث في بلاده فجاءه
الخشوار وصدقه الحملة فانكشف فيروز منهزما واسلم
ما كان بيده وقتل الخشوار رجاله وغنم اموالهم واثخن
في طلب فيروز فظفر به وقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه

واستولى على بلاده كل ذلك بسبب الغدر ونقض الميثاق وكذلك
سبيل اخاك لغدره بك ونقض ميثاق ابيك وانت ظافر به
لا محالة قال فلما سمع المامون كلام الشيخ تهلل وجهه
وطابت نفسه فقال قد سمعت مقالتك فصادفت منا
قبولا وشكرا عليها سرورا تم حياة واكرمه وعمل برايه
فاتح الله عليه وبلغه من الخلافة املا الحكاية الثالثة قيل
ان عبد الملك بن مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن
الزبير وخرج بالجيش متوجها الى مكة شرفها الله وعظمها
وكان قد استصحب معه عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو
قد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطباعية في نيل الخلافة
فلما كان ببعض الطريق تعارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد
الملك في العود الى دمشق فاذن له فلما دخل دمشق صعد
المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس
الى خلعه من الخلافة فاجابوه الى ذلك وبايعوه واستولى على دمشق
وحصن صورها وحمى ثغورها وبذل الرغايب ثم اتصل الخبر الى النعمان
بن بشير امير حمص فرغبه من الطاعة ايضا وكذلك نائل بن قيس
ملك فلسطين وكذلك صنع زفر بن الحارث امير قنسرين ثم تشوف

اهل الثغور للخلاف فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فخرج على فوره
واهل خاصته فاطلعهم على بلغه وقال صده دمشق ان ملكنا
قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى
على الحجاز والعراق واليمن وهذا النعمان بن بشير امير حمص
وزفر امير قنسرين ونايل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من
الطاعة وتابعهم الناس لابن سعيد وقد تشوف اهل الثغور
للخلاف فما عندكم من الراى قال فلما سمعوا مقالته ذلت
عقولهم ونكسوا رؤوسهم فقال لهم مالكم لا تنطقون فهذا
وقت الحاجة اليكم هل ترون الرجوع الى دمشق اصوب ام
التوجه الى فاخرجنا اليه احزم ام اللحاق بفلسطين اجود
ام النزول على حمص واستيزال النعمان منها اكذام الانحياز
فى هذا الوقت الى مصر اغنم كيف ترون الراى فقال له
افضلهم لا راى عندنا فى هذا والله لقد فجئت ان اكون حربا
على عود من اشجار تهامة حتى ينقضى هذه الفتنة قال فلما
سمع عبد الملك كلامه علم انه لا غنى له عندهم فقام عنهم واقوم
يلزوم مواضعهم وركب من فوره منفردا وهو يقول

كثرت الاطباء على حراش ... فلا تدرى حراش لمن تصيد

وامر جماعة من اصحابه ان يركبوا متباعدين منه بحيث يرون اشارته
اذا اشار اليهم وسار ثم تبعه القوم فلم يزل سائرا منفردا
حتى اتى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم يجتنى الحفص من الاشجار
فسلم عليه عبد الملك ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا
العسكر فقال بلغنى انهم نزلوا بارض كذا وكذا قال فهل بلغك
شىء مما يقول الناس فى امر الخليفة قال فما سؤالك عن ذلك
قال لانى اريد اللحاق به والدخول عليه وقد سمعت ان عمرو بن
سعيد قد خالفه الى دمشق واستولى عليها فقال الشيخ
انى اراك اديبا واحسبك حسيبا فهل لك ان انصح لك
قال نعم ايها الشيخ قال ينبغى لك ان تصرف نفسك عن هذا
الامر الذى ترغب اليه فان الامير الذى انت قاصده قد انخلت
عرى ملكه وقد نابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان
فى حال اضطراب امور كالبحر فى حال هيجه لا ينبغى ان يقرب
احد منه فقال له عبد الملك ان الحيلة لم تبلغ بى فى مغالبة
نفسى على ما ترغب اليه وانى احرص ما تسرع الى صحبة هذا الامر
نزعا شديدا ولا بد لى من ذلك فهل لك ان تخبرنى بما تراه من الراى
فى تدبيره الان الخطوب التى دهمته حتى اعرض ذلك الراى عليه

والتحق به عنده فلعله ان يكون سببا لقربي منه فقال الشيخ
ان حكمة الله تعالى وعزته لتقضيان بحجب العقول والابصار
عن النفوذ في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة
التي نزلت بالخليفة من النوازل التي لا ينفذ فيها الرأي
واني اكره مع ذلك ان اقوم مسئلتك بالخيبة فيها انا اقول
لك فيما سألتني عنه قولا اقضي به حقك وان كان الخطب
عظيما قال عبد الملك لارجو ان يرشدك الله ويرشدني بك
قال الشيخ ان عبد الملك خرج لمحاربة عبد الله بن الزبير
فظهر من مشية الله تعالى ما صدّه عن ذلك واني مشير عليك
ان تفقد حال عبد الملك فان رأيته قد قصد عبد الله بن الزبير
فاعلم انه مخذول لا محالة لانه لج في طلب ما مُنع منه وان رأيته
رجع من حيث جاء فارج له السلامة والنصر لانه مستقيل
فقال له عبد الملك ايها الشيخ اوضح لي ما ذكرت ليتطلع
في فهم صورته قال الشيخ ان عبد الملك اذا قصد عبد الله بن
الزبير كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يخطه قط طاعة
ولا وثب له على مملكة فاما اذا قصد عمرو بن سعيد بدمشق
فانه يكون في صورة مظلوم لان عمرا رجل من رعيته طلب الخلافة

لنفسه واغتصب دار ملك لم تكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولآبائه
ثم ان عمرو بن سعيد ظالم له من وجه آخر وذلك انه ابن عم عبد الملك
وعزّ عبد الملك عزله وقد كان محسنا اليه فلما خرج عبد الملك
لتشييع عزّ نصيب عمرو بن سعيد منه او فرط عذر به ونكث
عهده فخذله ثم سعى في اجتثاثه من اصله واشمت به عدوه لما
فرجع عبد الملك الى دمشق استقاله فهو اشبه بالنقوض
والتسليم لامر الله تعالى ولا شك انه يظفر بمن خانه وبغى عليه
ونقض عهده فان الباغي مصروع واذا اظفر به استقال النعثان
وزفر ومن معه امما من اهل الثغور ورجعوا الى الطاعة عند
معاينة الظفر بعمرو بن سعيد قال فسر عبد الملك بقول الشيخ
وعزم على اتباع رأيه وقال له جزاك الله خيرا ايها الشيخ فقد احسنت
فيما اشرت فاخبرني باسمك واين منزلك فقال الشيخ وما
تريد من ذلك قال لاقضي حقك فارفع الي حوائجك فاني
انا عبد الملك فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم بنا
نرفع حوائجنا جميعا الى من انا وانت له عبدان ثم تركه الشيخ
وانصرف قال فذهب عبد الملك الى منزله وشرع في امر
يعمل برأي الشيخ وعمل به فافلح وبالله التوفيق

الباب العاشر في معرفة اصول السياسة والتدبير

اعلم ان الملك العظيم يحسن به ان يكون في تصاريف تدبيره وسياسة
اموره مشتبها بطبايع ثمانية وهي الغيث والشمس والقمر
والريح والنار والماء والارض والموت اما الغيث
فانه ينزل متواترا في اربعة اشهر من السنة فيساوي بين كل الكمية
مشرفة وموضع منحفظ ويعم كل من ماية بقدر موضعه في ارتفاعه
وسبوطه فيخزن تلك البقاع ما تغدى منه نباتها في الثمانية الاشهر
الباقية من السنة وكذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده واعوانه
في اربعة اشهر للثمانية اشهر الباقية فيجعل رفيعهم ووضيعهم في الحق
الذي يستوجبه في القسمة بينهم على حسب ما يراه من المصلحة على
قدر همتهم كما يسوي الغيث بين بقاع الارض واما الشمس
فانها تستقصي بحرها وحدتها وقعها في الثمانية اشهر الباقية مداواة
الغيث الذي توازن في اربعة اشهر وكذلك ينبغي ان يستقصي
قبض ما حل من خراجه في الثمانية اشهر الباقية من السنة ويستوفيها
جميع حقوقه من رعيته من ثمن غلاتهم ومواشيهم وغير ذلك من
الحقوق الواجبة له عليهم كما تستقصي الشمس مداواة الغيث
من الارض واما القمر فانه اذا طلع لتمامه انتشر نوره على الخلق

وانس الناس بضوءه واشراقه واستوى في ذلك القريب والبعيد وكذلك
ينبغي للملك ان يكون في بهجته ورتبته واشراقه في مجلسه وايناس
الرعية به وعدله مثل القمر في طلوعه واشراقه فلا يخص شريفا
دون وضيع بعدله وايناسه ولا يحتجب عنهم فتظلم احوالهم ويزول
النهم ويقل انتعاشهم كما كلفوا احتجب القمر في الليالي السود
واما الريح فانها بلطفها محيطة بالعالم السفلي وكذلك ينبغي
للملك ان يكون بلطفه وحذق جواسيسه وعيونه محيطا بمعرفة
احوال رعيته وقوكده وولاة ثغوره واعماله وحاشيته
وجنده عارفا باخبار اعدايه ونظرايه عالما بما يعملون فانها
يأتمرون بالعيون الثقاة والجواسيس المنتقاة واما النار
فيكون مثلها في الحدة على اهل الرعاة والفساد واصحاب
الشر لا يبقي احدا منهم ولا يذر ولا يترك لهم عينا ولا اثرا
واما الماء، فانه مع ليونه وسلاسته يقتلع الاشجار العظيمة
ويقهر من قاومه بالسياحة وكذلك ينبغي للملك ان يكون ليّنا
لمن لاينه شديدا على من خالفه يضرب لاعدايه الغوايل
مع ليونه ورفقه حتى يقلعهم كما يفعل الماء، واما الارض فانها
توصف بكتمان السر واحتمال الاذى والصبر على المكاره وكذلك

ينبغي للملك ان يكون مثلها في جميع ذلك واما الموت فانه
يأتي بغتة ويقاصف اهل اللذات على حامي عليه ولا يقبل
فمن نزل به رشوة وكذلك ينبغي للملك ان يبعث عدوه
من حيث لا يشعر به ويقاصف اهل العداوة والزعارة في
حال غفلاتهم كما يفعل الموت واعلم ان المملكة مثلها
مثل البستان فينبغي ان يسوسها الملك في غالب الاحوال
كما يسوس صاحب البستان بستانه فمن ذلك انه ينتخب اهل
الشكيمة من جنده وذوي الشوكة من اعوانه فيجعلهم في اقاصي
بلاده واطراف مملكته ليحفظ بهم الرعية كما يفعل صاحب
البستان فانه يخرج الشجر ذوات الشوك وما فضل عن
العيدان فيحيط بها على الشجر المثمرة والزرائع الطيبة
ليقيها من اهل الفساد والذوات الموذية ثم يطهر رعيته
من اهل الفساد والزعارة ويخرجهم من بينهم او يصلحهم بالاقامة
الحدود واظهار السياسة فانه لو افعل ذلك صلحت احوال الرعية
وانتعشوا وكثر خيرهم كما يفعل صاحب البستان فانه ينقي
بستانه من الحشيش الذي لا فائدة فيه ويخرج ما فيها من
الشوك والنبات الخبيث فينتعش زرعها وينمو شجرها

ويطيب ثمرها ومتى حمل خراج المملكة او تعين له حمل على رعيته
من اموال الثمار والغلات فلا يؤخر قبضه عن وقت محله
فيكون معرضا للهلاك بافات الزمان كما يفعل صاحب البستان
فانه لا يؤخر اجتناء ما نضج من ثمره وما طلع من وهده لانه
ان لم يبادر الى التقاطه سقط على الارض واحالت به الافات
وينبغي ان يتعاهد ابا جند واعوانه الذين ماتوا في خدمته
وطاعته ويرضخ لهم من بيت ماله رزقا يقوم بكفايتهم
فانهم ارجى للملك عند بلوغهم واشد نصحا في خدمته من غيرهم
كما يتعاهد صاحب البستان حوالف شجرة المالكة بالسقي
والتربية لما يرجوه من خيرها واستطابة ثمرها ومتى تباغض
قائدان من قواده وكانا متجاورين ورتما نتج منهما
او من احزابهما ما لا يمكن الملك تلافيه كما يفرق صاحب البستان
بين الشجرتين اذا تداخلت اغصانهما لعلمه ان خير هما لا يرجى مادامتا
كذلك واعلم ان الرعية وان كانت ثمارا مجتناة فهي خائرة
مقتناة وشيوفا منتضاة واحراسا مرتضاة فان لها انفارا
كانفار الوحوش وطغيانا كطغيان السيول ومتى قدرت على ان
تقول قدرت على ان تقول ومتى ثلثة اصناف فينبغي للملك

ان يسوسهم نبلاء سياسات صنف من اهل العقل و
والفضل يعلمون فضل الملك وطول عنايته ويرثون له من ثقل
اعبائه فى سياسة سؤلا، تحصل بالبشر عند لقائهم واستماع
احاديثهم وحسن الاصغاء اليهم وصنف فيهم حر وشره
فسياسة سؤلا، بالترغيب والرهيب وصنف هم السفلة
الرعاع اتباع كل رلع فسياسة سؤلا، باخافه غير مفرطه
وعقوبة غير مفرطه ولا يحقق ذلك منه الا ان يكون اغلب
اوصافه عليه الرحمة للرعية لان الملك انما يتميز عن السوقة
بفضيلتين فضيلة ذاته وفضيلة الآته اما فضيلة ذاته
فخمس خصال رحمة تشد رعيته ويقظة تحوطهم وصون
تذب عنهم وفطنة يكيد بها الاعداء وحزامة ينتهز بها
الفرص اذا امكنه واما فضيلة الآته فسعة وبسطة وفور
اموال وكثرة اجناده وحصانة معاقله واتخاذ المبانى
الوثيقة واعداد الملابس السنية وتحصيل الذخائر
النفيسة ولا ينبغى للملك ان يعتمد على فطنته وقوة حيلته
وكثرة ماله وجنده وحصانة معاقله فيترك الاستعداد
للنوازل ولكل ما يجوز وقوعه من الحوادث فيكون مثله كمثل

خطيب اعتمد على فصاحة لسانه وقوة بديهته فترك تزويق
القول وترتيبه ثم صعد المنبر فيوشك ان يستقيل عليه
البتى عند الحاجة بل ينبغى ان يتقدم فى الحيلة للامر قبل نزوله
فانه اذا انزل به ضاق عنه الحيل فحول المثل كالسكر الذى
يسكر على الارض التى يخاف غرقها فانه ان عمل قبل وصول
الماء اليها فانه يثبت ويمنع الضرر عنها وان وصل الماء
اليها فلا حيلة فيه باسكر انشدنى بعض اهل العلم
اقدر بغيرك او نفسك واعتبر وانظر وانت من الامور على حذر
واذا سمعت بورد امر فالتمس من قبل وصوله طريق المصدر
واذا عرف الملك وجه الكيد الذى يكيد به عدوه فينبغى
ان يحترس من مثلها لانه اذا لم يحترس من مثلها كان بمنزلة
الرامى الحاسر فى الحرب الذى لا تدبر معه فهو ان اصاب برميته
مستهدف رميته غيره وكذلك الملك اذا احتال على عدوه
بضروب الحيل ثم لم يتحفظ من كل ما يظن ان يبلغه من عدوه
كان عمله مؤنة عليه غير نافع له فى العاقبة وقد كان يقال
احترس من تدبير عدو كل كاحتراسك من تدبيره عليك
فرب مالك بما دبر وساقط فى البئر الذى حفر وجرح بالسلاح

الذى شهره وينبغى للملك ان ياخذ فى سائر اموره بالحزم وصدق
الحزم ولا يتركه لاحتراس والحذر فقد روى عن النبى صلعم
انه قال الحزم سوء الظن وليكون ظنه حقيقة بل للحذر
والاحتياط وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال ان يحذر
من كل ما يمكن وقوعه قيل فما العجز قال ان يامن مما
يمكن وقوعه وقال بعض الشعراء لا تترك الحزم فى شئ
تحاذره فان سلمت فما فى الحزم من باس العجز ذل وترك
الحزم منقصة واحزم الحزم سوء الظن بالناس واذا
حاول الملك امرا عرض له فليشمر فى طلبه عند امكان الفرصة
ولا يراخى عنه لصغره فان وثبة الاسد على الارنب
مثل التى يثب بها على الفيل ومبنى استهانة الملك
بالامر الصغير عاد كبيرا فان القروح التى تظهر فى الجسد
اذا استهان بها الانسان لصغرها صارت الى اعظم
العلاج واكبر المداواة انشدنى بعضهم شعر
ولا تحقرن عدوا ارماك وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب وتجزع حتى تنال الابر
واذا اوقع الملك امرا من عدوه يخاف فيه عن نفسه وسلطانه

فينبغى ان يعطى بلسانه كل ما يرضى عدوه منظهر الرقة والانقياض ومع
مع ذلك يكون متيقظا محترسا للوثبة عليه اذا امكنته الفرصة كالصقر
الذى يظهر الذلة والانقباض عند صيده ثم ينقض انقضاضه
اذا امكنته الفرصة ينال فيها حاجتها وقد كان يقال الحزم التزام
مداجاة العدو ما دامت له ريح ثابتة ودولة مقبلة كما ان العجز
اضاعة الفرصة فيه اذا ركدت ريحه وادبرت دولته قال بعضهم
واذا ابحرت عن العدو فداره وادرج له ان المزاح وفاق
فالنار للماء الذى موضدتا تعطى النضاج وطبعها الاحراق
فان دهمه امر لا طاقة له به فى امر من امور مملكته واشرف منه
على ان يدنب كله ورأى ان يتلطف الحيلة فى ان يرجع اليه بعضه
فليفعل ذلك وليكن رايا ولا يذنب به الاسف والانفة
والتمادى حتى يذنب كله فيكون مغبونا فان العاقل اذا اشرف
له ابنان على الهلكة وطمع فى نجاة احدهما بموت الآخر فان نفسه تسمح
بموته لنجاة اخيه ولا يداخله الاشفاق عليهما والجزع فيهما
جميعا واذا اعيا الملك رجلا فلا يعادى كل جنسه فانه ربما
انتفع ببعضهم انتفاعه بامل موتة فان السيف الذى يقتل
بحده ويقطع بمضاوته سوء من جنس الزرع الذى يتحصن به عن عضاوة

المعنى

مضاوة

حد السيف ولا ينبغي للملك ان يستدرج عدوه على ما فاته ومتى
فان فعل ذلك تعجلت له المساءة بما لا يقدر على استدراكه
ثم يشغله ذلك عن تدبير مستأنف امره واصلاح باقي شانه
وربما افضى به الى زوال الملك فان شدة الجزع مهلكة
فقد حكي ان ملكا من ملوك الفرس حبس على سريره في يوم نوروز
وجعل الناس يهدون له اصناف الهدايا فدخل عليه الموبذ
ومعه ظرف مغطى فاهداه اليه فلما كشف عنه راى فيه فحمتين
فقال ما هذا قال ايها الملك ان احداهما بازي والاخرى
درّاجة واني رايت البازي ارسل على الدراجة فلم يزل
يتبعها ومتى تظر بين يديه الى ان اتيا الى اجمة قد وقعت فيها
نار فحمل الجزع الدراجة على اقتحامها وحمل البازي الحرص
على اتباعها فاحترقا جميعا فرايت ان خير الهدايا هذه
الموعظة فاسد يتهالك فاجتنب ايها الملك الافراط في
الجزع والحرص فانهما سايقان الى الهلكة فقال الملك ما اشد
لي مدية انفع من هذه الدية ومتى صنع الملك بخطا، الراي
شيئا فاصاب فيه فلا يعاود ثانيا طمعا فيما ناله اولا
فان من وطئ حية مرة فنجا منها جدير ان لا يتوضع لها بالوطء

مرة اخرى واعلم ان كبار اعوان الملك ومشايخ دولته
الذين صحبوا اسلافه من الملوك هم اقوى دعايم مملكته
واثبت اركان دولته لانهم وان بدا لهم الزمان بحدة فلقلة
يقي كرم جوهرهم ومحض مودتهم فهم يزدادون في النصح اجتهادا
وفي البوس صبرا وجلادا ومثلهم كمثل دعايم الساج للبيت
فانها كلما دعليها الزمان ازدادت قوة وصلابة حتى ان
الارضة لو حاولت نقب عود لم ينفذ عملها فيها فيكون
البيت بها اقوم واثبت وينبغي للملك ان لا يصحب في اعوانه
كذابا ولا مطبوعا على شر لان الكذاب اذا حدث كذب
واذا حدثه الملك لم يصدقه لما يظن في نفسه والمطبوع
على الشر غير تارك لطباعه لانها املك به فيكون الملك
معه على خطر ولا يطمع الملك في استصلاحهما وتقلعهما عن طباعهما
فانهما بمنزلة القرد الذي يطعم الدسم والحلاوة ليس من جسمه
ويحسن وجهه فهو وان سمن جسمه لا ينه لحسن وجهه الا قبحا
ومتى كان الملك يضبط اموره ويصول على عدوه بقوم
ليس منهم على ثقة من رأي ولا حفاظ فهو منهم على اعظم خطر
حتى يعلم ان استطاع على الراي والادب الذي بمثله تكون الثقة

فلا يستبدل بهم ولا يغزو منهم قوته بهم على غيرهم فانما شركة
كراكب الاسد الذى يهابه من ينظر اليه وسوء ملكه اسبب
وميت اشرف الملك فى توسعة الارزاق على جنده ابطرهم
وميت ضيق عليهم احقدهم فيكون فى ماتين الحالتين معرضا
للهلاك فان الاسباب التى تجر الملك الى الملك ثلاثة احدها
من جهة الملك وسو ان تغلب شهواته على عقله فلا تسخ له
لذة الا اقتضها ولا راحة الا اقترصها الثانى من جهة
الوزراء وسوء تدبيرهم المقتضى لتعارض الاراء فلا يسبق
احدهم الى حق الا فندوه وعارضوه الثالث من جهة
الجند وخواص الاعوان وسو التكول عن الجلاد وترك المناصحة
فى الجهاد وسم صنفان الصنف الاول وسع الملك عليهم
الارزاق فابطرهم الترف والتنعم وافراص للذات فظنوا
بنفوسهم وخافوا عليها عند لقاء الاعداء فمنعهم ذلك من
الاقدام والصنف الثانى قدر الملك عليهم الارزاق فانطووا
منه على حقد ونفاق فنصبوا له الغوائل واسلموه عند النوازل
وينبغى للملك ان يتوقى اسباب الفتن وتنايجها المفضية
الى اختلاف الكلمة والخروج عن الطاعة ليحسم موادها ويقطع اسبابها

فقد قيل ان ملكا من ملوك العجم كتب الى حكيم من حكمائهم يقول له
الحكماء قد اكثروا من وصف اسباب الفتن بما ينشيها وبما يهيجها
فكتب اليه يقول ينشيها صغائن وينتجها اطماع لم تبغها
منيبة وجراءة عامة يولدها استخفاف بالخاصة واكدها
انبساط الالسنة بضمائر القلوب وغفلة امير ملتبد
ويقظة قوى محروم ومنتهاها غلبة الاسباب وذل المسلوب
وادراك البغية وموت الامل وتمكن الرعب فكتب اليه ان
الذى وصفت كما وصف فاتى الامور لوقوعها اذكرت فكتب
اليه الحكيم اخذ العدة لكل ما تخاف وقوعه واياك الجد
على الهزل والعمل بالعدل فى الرضى والغضب وكتب عبد الملك
بن مروان الى الحجاج بن يوسف ان صف لى الفتنة حتى
كانى انظر اليها فكتب اليه الحجاج ان الفتنة تلقح بالنجوى
وتنتج بالشكوى ويقوم بها الخطباء وحصارها بالسيف
وحكى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه قال يوما لجلسائه
وهو محصور وددت ان رجلا صدوقا اخبرنى عن نفسى
وعن مولاء القوم يعنى الذين يحاصرونه فقام رجل من الانصار
انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وتغافلت

عنهم فسلبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت
اجلس ثم قال له هل تعلم ما سبب نزان الفتنة قال نعم
قال لك عن ذلك شيئا باعقة في العلم فقال لي ان الفتنة
تثيرها احد امران احدهما اثرة تضغن الخاصة الثاني حلم
يجري العامة قال فهل سألته عما يحدثها قال نعم ان الذي
يحدثها في ابتدائها استقالة العثرة وتعمم الخاصة بالانكار
دون غيرهم فاما اذا استحكمت الفتنة فلا يحدثها غير الصبر
فقال عثمان سوداك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

الباب الحادي عشر في الجلوس لكشف المظالم

اعلم ان جلوس الملك لكشف قصص المظلومين والفصل
بين المتنازعين من اعظم قوانين العدل الذي لا يتم
اصلاح الامم اعاته ولا يتم التناصف الا به وقد كان
ملوك الفرس يرون ذلك من قواعد الملك واول من
افرد للظلامات يوما معلوما يتصفح فيه قصص المتظلمين
من غير مباشرة للنظر عبد الملك بن مروان وكان لفواقه
منها على مشكل رده الى قاضيه ادريس الاعوى فينفذ فيه
الحكم وكان ادريس المباشر وعبد الملك هو الآمر ثم زاد ظلم الولاة

وجور النواب بعد ذلك فافتقرت الحالة الى المباشرة فجلس
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكشف المظالم وسوى اول
من باشر ذلك بنفسه وجعل يراعي السنن العادلة وتتبع
مظالم بني امية على اهلها حتى قيل له وقد شدد عليهم انا
نخاف عليك العواقب من ردها فقال ان كل يوم اخافه
واتقيه غير يوم القيامة لا وقيته ثم جلس لكشف المظالم
من خلفاء بني العباس المهدي حتى عادت الاملاك الى
الى مستحقها ثم جلس لها من بعده الهادي ثم الرشيد
ثم المامون وآخر من جلس لها المهتدي ثم اجتث الخلفاء
لتظاهر الترك وغيرهم عليهم ودفعوا امر المظالم الى وزرائهم
ولما افضى ملك الشام الى الملك العادل نور الدين محمود
بن زنكي رحمه الله ابتنى له دارا في قلعة دمشق وسماها
دار العدل فكان يجلس فيها يتصفح قصص المظلومين
ويفصل بين المتنازعين ولديه الفقهاء ودائه الدين
فيرجع اليهم عما اشكل عليه من امور الشرع ويتتبع القضايا
ويفصل كلما انتهى اليه في ذلك اليوم وجعل مدار الستة في
جميع مدائن الشام حدثني الفقيه ابو طاهر ابراهيم الحنين

ابن الخصيب الحموي قال كنت عند الملك العادل محمود
زنكي في دار العدل بدمشق وقد اخرج املاك اهل الشام
فجعل ينظر فيها فلما انتهى الي ذكر خراج معرة النعمان قال
اني قد عزمت على انتزاع املاك اهل المعرة من ايديهم
فقد رفع الي اهل الخبر من الثقاة ان جميع اهل المعرة
يتعارضون الشهادة فيشهد احدهم لصاحبه في دعوى
ملك حتى يشهد ذاك معه في دعوى اخرى وان الملك الذي في
ايديهم انما حصل لهم بهذه الطريق قال فقلت له ايها الملك
ان الله تعالى اوجب عليك العدل في رعيتك فانظر واكشف
وتوقف في الامور اذا رفعت اليك قال ان اهل المعرة قد
كثر فيهم تواطؤ هم على شهادة الزور وانتزاع الاملاك
من ارباب بها بمجرد هذا القول لا يجوز قال فاطرق ساعة ثم
رفع رأسه وقال اني امسكها عليهم ثم اكشف عنها بعد
ذلك والتفت الي كاتبه وقال اكتب كتابا الى الوالي
في المعرة ليمسك جميع الملك الذي في ايدي اهلها حتى يسترعى
البينة في ذلك فكتبه ووضعه بين يديه ليضع
علامته فيه واذا صبي على شاطي بردايغني ويقول

اعدلوا ما دامت امركم نافذة في النفع والضر واحفظوا
ايام دولتكم انكم منها على خطر انما الدنيا وديعة
طيب ما يبقى من الاثر فلما سمعه الملك العادل تغيرت
وسملت عيناه بالدموع ثم نظر الي وقال قد جاءك
موعظة من ربك فانتهى فله ما سلف وامره الى الله
ثم استدار نحو القبلة وقال اللهم اني استغفرك واتوب
اليك مما عزمت عليه الآن ثم تناول الكتاب فمزقه
وجعل يستغفر الله تعالى جميع ذلك اليوم وينبغي للملك اذا
جلس لكشف المظالم ان يستكمل مجلسه بحضور خمسة
اصناف من الناس لا غنى له عن حضورهم ولا ينتظم
امور نظره الا بهم الصنف الاول الفقهاء والعلماء
اصحاب الفتوى ليرجع اليهم فيما اشكل ويسألهم عما اشتبه
عليه واعضل الصنف الثاني القضاة والحكام
لاستعلام ما يثبت من الحقوق ومعرفة ما جرى في
مجالسهم بين الخصوم وتنفيذ القضايا والاحكام الصنف
الثالث العدول ومشايخ البلد ليشهدهم على ما وجب
من الحقوق وامضاه من الحكم الصنف الرابع الكتاب

ليثبوا غايجرى بين الخصوم ومايوجبه الشرع المطهر لهم
او عليهم من الحقوق الصنف الخامس الكبار من
حماة دولته واعوانه وخاصته لنظهر بهم الرتبة
وتحصل بهم الهيبة فيخاف المعتدى فيزجر ويشتد ازر
المظلوم فينتصر فاذا استكمل مجلس نظره بمن ذكرنا
شرع حينيذ فى تصفح القصص وتنفيذ الامور والنظر فى امور
الرعية والولاة والعمال على ما قدمناه فى وصف العدل فى الباب الحادى

الباب الثانى عشر فى بيان ادب صحبة الملوك

اذا اخلصك الامير لخاصته وجعلك من اهل مجالسته
فالزم الصمت واستعمل الوقار ولا تحدثه نادرا ولا تقد
حديثك عليه ثانيا ولا تصل حديثا بحديث ولا تعارض
احدا فى حديث واخفض من صوتك واختصر فى لفظك
ولا تقاطع احدا عنده وان كثرت عيوبه وعظمت ذنوبه
واذا جالست الملك فغض عينيك وضم شفتيك ولا تقولن
فى غيبته ما لا تقوله فى حضرته ولا تامن ان يكون له عليك
عيون ترفع اليه اخبارك وتوقفه على اسرارك انشدنى بعضهم
اذا صحبت الملوك فالبس من التوقى اجل ملبس

ولفظ

وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج لقوا ما خرجت اخرس
واذا كان لك الى الملك حاجة فلا توفعها اليه ما لم يكن
وجهه بسيطا وقلبه نشيطا وليكن على مقدار حظك لا على
مقدار عزمك واذا طلبتها منه فقصر المقال وتوق الملال
ولا يحملك فرط ميله اليك على التبسط عليه فى السؤال فتحط
رتبتك وتذهب حرمتك ولو احدث الملك فاقبل عليه
بوجهك واصغ اليه بسمعك واشغل بحديثه خاطرك
وبمنظره ناظرك واسمعه استماع مستظرف له مستبشر
به واحذر ان يعاتب الملك على تقصير او تلومه فى تدبير
فان ذلك يفضى الى مقتك وبعدك منه بعد قربك ولا تكاشفه
بالنصيحة فى الخلوة ولا تتبسط عليه فى الخلوة فان النصح
فى الملاء تقريع والتبسط عليه تضييع انشدنى بعض اهل العلم
تعمدنى بنصح فى انفراد وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فان خالفتنى لترى نقصى فلا تغضب اذا لم تحظ طاعة
فان النصح بين الناس ضرب من التوبيخ لا ارضى استماعه
واذا قربك بانسه وادناك من مجلسه فالزم الاحترام وقابله
بالاعظام ولا يخرجك ما تراه من انسه الى الصباح ومكروه الازدراء

وايّاك وازالة الحشمة واضاعة الحرمة والمزل في الكلام والشره
في اكل الطعام فان سنخ الاحوال ترعوا الملك الى الملال
ولا تسار في مجلسه انسان ولا تحدق الى احد من الغلمان
واذا دخلت على الملك فحيّه باحسن تحيّة وتواضع له بالكلية
ولا تكثر من الدعاء له بحضرته ولا تسأله عن حالته ولا عما
مبنيّة في ليلته ولا تكثر مدحه ولا في الاكل نهماً وكل مما يليك
واطل المضغ في فيك واجعل نظرك الى الطعام الذي
بين يديك ولا تنظر من حواليك ولا تأكل بكلتا
الاصابع وقم عن الماء بدة وانت جائع ولا تحدق
ببصرك الى الطعام ولا الى الملك بل يكون نظرك
عند مضغه الى ما حضر من طرائف الاولين
الرغيف شيأ من اللحم عند كلامه والاطراق
ولا تحوّل اللقمة من لا تنقل من الصحفة الى
ولا يسمع لمضغك جانب فيك ولا تتعرض لمشمشة العظم
من طعام الملك الشرف بمواكلته والتجمل بلطف كرامته
ومن قام من الطعام لغسل يده فسبيله ان يبعد عن خدمته الى الموضع

الفصل الرابع في آداب الشرب

الرز

الذي خصّ بمرتبته ولا يبصق في الطشت بصاق يعلو صوته
ولا يستعمل بيديه التفرقع ولا يفيه التنخع ولا يدلك بالمنديل يديه
بل يمسح بلحيته وشفتيه ولا يظهر في يده شيأ من الكلال على حال من
الاحوال وسبيل سائر الملك ان لا يساويه في محجّة ولا يدني راسه
دابته من دابته ولا يأخذ عليه مهبّ الريح في مسايرته ولا يبرك فرسا
شغبا ولا حرونا فيقف عنه ولا يكثر الصهيل ولا ما فيه عيب
يضحك منه وينبغي للملك ان يكون عارفا بالمنازل والمناهل دارا
بكل ما يقع عليه عين الملك ويسأل عنه من المياه والانهار والنبات
والاشجار ومضيّ ساعات الليل والنهار عارفا بالكواكب وانتقا
ومنازل القمر ومياتها وان لا يظهر التعب والكلال وان يحمي العطا
والسعال وليكن متفقدا النكهة ظريفا في محادثته صبورا
على السهر غير متشاغل بالفكر حافظا للاسرار وما يطلع عليه
من الاخبار معتمدا على الصيانة مؤديا للامانة فاذا لاعب
الملك بالشطرنج فلا يظهر في لعبه التحادق عليه فاما في حال الغرسة
ولعب الصولجان فقد الحق الملوك التحادق عليهم في الميدان

الباب الثالث عشر في معرفة ما يكايد به الملوك في غالب الاحوال

اعلم ان مكايد الاعداء وغوائل الحساد وطرق المضار والمكاره

كثيرة ولا يحيط بطرقها علم البشر ولا يحصرها معقول ذوي الفكر فنقصر
على الملك الاحتراز والتحفظ من كل ما يتصور عمله من المكايد ونركن
فعله من نصب الغوايل ويعتبر ممن سلفه من ارباب الممالك وما
نصب لهم من المكايد والمهالك فيحسم عنه مؤلمها ويقطع اسبابها
ويحذر من مثلها وقد ذكرنا في الباب السادس في وصف
الحسد من حكاية بهرام وخاقان وما نصب كل واحد منهما
لصاحبه من المكيدة ما فيه اعتبار لذوي البصائر والافكار
واكثر ما روينا الملوك ذهبت في غالب الاحوال من امور لم
نذكرها ان شاء الله تعالى فمن ذلك السموم القاتلة التي تتلطف
بها الاعداء في الحيلة بوصولها الى الملوك على يد النسوان والغلمان
وهي تصنع غالبا في عشرة اشياء السرج والسرير والكرسي
والحلي والآنية والطعام والشراب والفاكهة والثياب
والفراش الذي ينام عليه فينبغي للملك ان يكون متيقظا لذلك
محترسا منه وسنذكر من العلامات الواضحة على مصير السم
في مدة الاشياء ما فيه كفاية للفطن بحيث اذا رأى علم ان
ذلك الشيء مسموم فينبغي للملك ان يتفقد ثيابه في كل يوم
وفراشه وغشية سرجه وكرسيه الذي يجلس عليه فان علامة

ذكر

ذلك ان كان مسموما ان يظهر في صفاء الوانها لمع كالوسخ
يضرب الى سواد من غير وسخ ويكون مدتها وحواشيها
في نظر العين كانها بالية واما عود السرج والسرير والكرسي
اذا كان ملطوخا بالسم فانه يكمد لونه ويعلوه كالغبرة
واما الحلي والآنية وما يستخرج من معادن الارض كالذهب
والفضة والنحاس والرصاص والحديد والجواهر فان ذلك كله
اذا كان مسموما يعلوه كالوسخ واما اواني الخزف والفخار
فانها اذا كانت مسمومة تحدث دسومة وزهومة وربما
افرط صفاء لونها حتى يظهر فيها بريق ليس من ذاتها
وربما ذهب بريقها الذي هو من ذاتها واما الطعام
المسموم فيستدل عليه من وجهين احدهما بالنار فان الطعام
المسموم اذا وضعت منه شيئا في النار لم يصعد دخانه
الى الهوى بل يدور على ذلك الطعام ويسمع له صوت شرار وربما
يكون طرف يابس منبعث من النار كانه عنق الطاوس وايضا
ربما ظهر منه اذا احترق رائحة منتنة الثاني ان يعرض
الطعام على الطير والدواب التي هي معدة في دار الملك لمعرفة
الطعام المسموم اما الطير فمنها الغراب فانه اذا اكل

من الطعام المسموم انكسر صوته ومنها الصرد والقفعاء فانهما
اذا شما رائحة الطعام المسموم صوتا باعلا صوتهما ومنها
طائر من جنس الاوز الصيني يقال له النيش فانه اذا راى
الطعام المسموم او شم رائحة مرب منه وجعل يعرق
ومنها الكركي فانه اذا شم رائحة الطعام المسموم او اكله
فانه يدور حتى يظن مغشيا عليه ومنها الفواخت والعقعق
فانهما يموتان باكل الطعام المسموم وكذلك اذا شما رائحته
ومنها الطاووس فانه اذا راى الطعام المسموم تشوف اليه
وطفق باكله ويهواه ومنها طائر من طيور الماء احمر العينين
يقال له حنون فانه اذا نظر الى الطعام المسموم او شم رائحة
ذهب حمرة عينيه ومنها طائر من طيور الماء ايضا يقال له
حوحير فانه اذا راى الطعام المسموم خر الى الارض مغشيا
عليه والذباب اذا اسقط على الطعام المسموم مات من ساعته
واما الدوابات المعدة لذلك فمنها الثور فانه اذا اكل
من الطعام المسموم او شم رائحة نفر من موضعه ولم يستوفيه
ومنها الفرد فانه اذا قدم اليه الطعام المسموم ايضا لم يتمالك
حتى يهرب منه ويصعد في الاشجار والحيطان فهذا كله يستدل

به على الطعام المسموم فينبغي للخادم المقدم للطعام ان يمتحنه بالفار
ويعرضه على الطير والدوابات التي ذكرناها قبل احضاره بين يدي
الملك ولو كان الطباخ بصيرا حاذقا عارفا بالسم اذا طرح في القدور
بالامارات الدالة عليه فان قدر الارز اذا وضع فيها السم ابطا
نضجها واذا انزلت عن النار انعقد فيها سريعا وصلب حبها
ويفور من القدر بخار كلون عنق الطاووس وقدور المرق اذا
وضع فيها السم فلا يلبث الا قليلا حتى ينشف المرق منها ويبقى اللحم
يابسا لاصقا عليه ومهما بقي منه تغير لونه وكدر واما دليل معرفة
الشراب المسموم فان كل شراب حلو اذا طرح فيه السم يظهر فيه خط
مستطيل كلون النحاس ويظهر في الحيض خطوط من الخضرة والصفرة
والسمرة ويظهر في ماء العسل خط كلون شعاع الشمس ويظهر
في الماء والنبيذ خط اسود واما معرفة الفواكه المسمومة
فان التي لم يدرك منها يظهر للعين كانها مدركة والتي قد ادركت
منها تظهر كانها لم تدرك لتغيرها وانقباضها وكل رطب منها
تراه كالمنهري وكل يابس تراه منقبضا متشنجا وجميع الفاكهة
يدخل صفاء لونها ويعلوها غبرة وكدرة والليمون منها يصلب
والصلب منها يلين واعلم ان من وضع السم في بعض هذه الاشياء

او صنع مكيدة من مكايد الاعداء من النسوان والغلمان والخدام
وغيرهم لابد ان يظهر عليه من الريبة امارات لا يخفى بها عن
الفطن اللبيب فينبغي ان يتفحص وجوه خدمه وغلمانه
وجواريه ونسائه في كل وقت فان المريب لا يملك نفسه ان
يصفر لونه او يخفر او يتبلع ريقه ويخفق فؤاده او يعض
على شفته السفلى او يدير عليها لسانه او يكثر تلفته ويرعد
فرائصه او يعثر في مشيته او يكثر تثاؤبه ويعرق جبينه
او يفتل مذبة ثيابه ويعبث بها او ينكت الارض
بابهام رجليه او ينقطع عما يريد ان يتكلم به او يكثر القيام
عن العمل الذي يعمله مثله ولم يتمه بغير عذر فجميع هذه امارات
تدل على الريبة فليراعيها الملك من متولي طعامه وشرابه
ومتولي خزانة ثيابه وفراشه وسروج دوابه وغيرهم من خدم
داره واما الاحوال التي يترصدها اهل المكايد في الغالب
فمنها المواضع الضيقة والطرقات المجهولة فلا ينبغي ان
يسلكها حتى يكون امامه دليل خبير بتلك الموضع ويقدمه
في حال سلوكه جماعة من اعوانه ومنها الموكب عليه في المواضع
الضيقة او في الاعياد والمحافل فلا يأمن ان يلج بين خواصه

من يريد به شرا ومنها الامعان في طلب الصيد والانفراد
فيه عن الخاصة وثقاة الاعوان فلا يأمن ان يدس عليه اهل
العداوة من يوقع به الفعل وتمكن له الاعداء على الخلو
السريعة في المواضع الوعرة او يعرض له احد السباع
الضارية عند انفراده ومنها الوزر الى الانهار
فان اغتيال المرء صاحبه في الماء الجاري من ايسر الحيل و
على المغتال لان الماء معين له على مربه لا سيما اذا كان
رجال الملك من وراء ظهره فينبغي ان لا يرد ماء حتى يتقدمه
من اعوانه من يختبر شطوطها ومشارعها ومنها حالة
شدة المطر وحال شدة الحر وحال ظلام الليل لان في
هذه الاحوال تقل الحفظة ويشغل كل واحد منهم بمصلحة
نفسه ومنها حال سروره ولهوه وطربه في مجلسه
وسكره من شرابه فان الحفظة ايضا يسكرون او ينامون
فيتمكن منه المغتال ومنها الثقة الى النسوان والركون
اليهن فان مكر النساء وحيلهن اكثر من ان يسطر
مع ضعفهن ونقصان عقولهن فلا يأمن من مكر من
وغيرتهن وجراتهن فقد يقدمن من الامور على ما يكفي

منه الرجال فليراع الملك جميع ما ذكرناه ومايظن
بباله من اشباهه فلك وامثاله مع تسليمه لامر
الله تعالى وقضائه وقدره والله الموفق

الباب الرابع عشر فيما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبيرهم

اعلم ان الملك اذا فصل بجنوده متوجها الى اعدائه
فينبغي له ان يضع في تدبيرهم وسياسة امورهم سبعة عشر شيئا
ليتم بذلك مصلحتهم وينتظم به الفتهم احدها استعراضهم
قبل المسير فيتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها فلا يدخل
فيهم كبيرا ولا صغيرا ولا سقيما كثيرا لان ذلك كله وهنا
في المجاهدين وانما يستعد للاعداء القوة ومايظهر
به الهيبة والرهبة قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتبطوا الخيل فان ظهورها لكم عز وبطونها
لكم كنز ويتفقد جميع اسلحتهم وسائر آلاتهم ولعدتهم
ويأمرهم باتخاذ قويها واستبدال ضعيفها الثاني ان يرفق
بهم في السير الذي يقدر عليه ضعيفهم ويحتفظ به قوتهم ولا يحملهم

ويستفرغ قوة القوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى الثالث
ان يراعي من معه من المقاتلة وهم صنفان مسترزقة ومطوعة
اما المسترزقة فهم اصحاب الديوان فيفرض لهم العطاء من بيت
المال من الفي بحسب الغنى والكفاية واما المطوعة فهم الخارجون
عن الديوان الذين خرجوا في النفير فيعطوا من بيت المال من
الصدقات دون الفي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور في آية
الصدقات الرابع ان يعرف عليهم العرفاء وينقب عليهم النقباء
فيكون عارفا بجميع احوالهم من عرفائهم ونقبائهم وقد فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامس ان يجعل لكل قائد من
تواده شعارا يتميز به اصحابه ليصيروا به عن غيرهم متميزين
وبالاجتماع فيه متظافرين السادس ان يصفر ركابه
عند مسيره فيخرج منهم من كان به تخذيل للمجاهدين وازحاف
بالمسلمين او كان عينا للمشركين فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورد عبد الله بن ابي بن سلول المنافق في بعض غزواته لتخذيله
للمسلمين السابع ان لا يتعرض عند اللقاء لمن خالفه
في العقيدة والمذهب اولمن ظهرت عليه امارات البغضاء

اولمن اساء ادبه على الملك او قصر في خدمته لان التعرض
لهؤلاء في مثل هذا الوقت يفضي الى افتراق الكلمة وحصول
الفشل قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم يعني دولتكم وقيل معناه قوتكم الثامن حراسة
الجيش من غرة يظفر بها العدو فينبغي ان يتفقد المكامن ويحفظها
عليهم ويحوط سولهم بحرس يامنون به على انفسهم واموالهم ليكونوا
في وقت الدعة ويامنوا وراءهم في وقت المحاربة التاسع
ان يخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم فيقصد اوطأ الارض
مكانا واكثرها مرعى وماء واحرسها اطرافا واكنافا ويكون
الموضع قريبا من جبل او شجر فان ذلك كله اعون لهم على المنا
زلة واقوى لهم على المرابطة العاشر اعلوا ما يحتاج اليه
الجيش من زاد وعلوفة ليفرق ذلك عليهم في اوقات الحاجة
حتى تسكن نفوسهم الى العادة بغيبتهم على الطلب ليكونوا على
الحرب اوفر على منازلة العدو الحادي عشر ان يتفقد
اخبار عدوه باجواسيس الثقات التي تكون له عند هم مكانة
ليكون خبيرا باحوالهم ويسلم من مكرهم ويلتمس العرة في النجوم
عليهم الثاني عشر ترتيب الجيش في مصاف الحرب والتعويل

في كل جهة على من يراه كفوا لها ويتفقد الصفوف بنفسه من حصول
خلل يقع فيها ويراعي كل جهة يميل العدو اليها بمدد من يكون عونا
لها الثالث عشر ان يحرض المجاهدين على القتال ويقوي نفوسهم
ويشعرهم الظفر ويذكرهم اسباب النصرة ويصغر العدو في اعينهم
ويعدهم الاقطاع والزيادة في الرزق اذا ظهرت منهم النكاية
في العدو الرابع عشر ان يذكرهم ثواب الله تعالى وما اعد
لهم في الاخرة من النعيم المقيم ويذكرهم فضل الشهادة ويعدهم
بابقاء رزقهم على اولادهم من بعدهم الخامس عشر ان يشاور
ذوي الرأي منهم وامثل الخيرة بالقتال والمشايخ من اعوانه والمثل
دولته ويرجع اليهم فيما اعضل ويسلم الامر اليهم فيما اشكل
ليامن الخطا، ويسلم من الزلل السادس عشر ان يلزم جيشه
بما اوجبه الله تعالى من حقوقه وبما اعره الله تعالى من اقامة
حدوده لانه من جاهد عن الدين كان احق الناس بالزام
احكامه والفصل بين حلاله وحرامه وقد قال رسول الله صلى
انهوا جيوشكم عن الفساد فانه ما افسد جيش قط الا قذف
الله في قلوبهم الرعب وانهوا جيوشكم عن الزنا فانه ما زنى جيش
قط الا سلط الله عليه الموتان السابع عشر ان لا يترك احدا

من جيشه يتشاغل بتجارة اوزراعة لان ذلك يصرف الاهتمام
مصابرة العدو وعن الصدق في الجهاد وقد روي ان نبيا
من بني اسرائيل غزا عدوا لهم فقال لا يغزون معي رجل بنى
بناء لم يكمله ولا رجل تزوج امراة لم يدخل بها ولا رجل
زرع زرعا لم يحصده فاذا سار الملك بالجيش فدخل ارض
العدو فينبغي ان يكون طلائع عسكره ومقدمة جيشه كالنهر
الجاري فان النهر في اول حربه يتخلل بما يمر به من الارض المتسعة
فاذا ابلغ نشزا من الارض وقف عنده حتى يقوى بالمدد
من ورائهم ثم يعلو ذلك النشز وكذلك ينبغي ان يكون طلائع
الجيش التي تتقدم عليه لا يقحم عند ما يرى من القوة من العدو
امامها الا بان تستمد من ورائها فاذا اتيها المدد قويت
على من قربه وغلبته كعلو النهر اذا استمد من ورائه وينبغي
ان يوجه مقاتلة الناحية المجهولة حتى يتقدم اليها من يختبرها
من طلائعه فقد كان يقال لا تطا ارض عدوك الا على ترقي او
وتوقي اقرا ان فانك لا تامن ان يكون قد نصب لك فيها
الاشراك ودفين الغوائل وآفات باك والنصر بيد الله تعالى

الباب الخامس عشر فيما ينبغي لامير الجيش ويلزمهم من حقوق

اعلم ان الملك اذا توجه بالجيش الى لقاء المشركين لزم اهل الجيش
من الحقوق اقران احد صما ما يلزمهم من حق الله تعالى الثاني
ما يلزمهم من حق الملك فاما ما يلزمهم من حق الله تعالى فاربعة
اشياء احدها مصابرة العدو عند التقاء الصفين
ولا ينهزمون من مثلهم فما دون لان الله تعالى قد كان فرض على كل
مسلم ان يقاتل عشرة من المشركين فقال تعالى يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة تغلبوا الفا ثم ان الله تعالى
بعد ذلك خفف عنهم لما شق عليهم الامر فاوجب على كل مسلم
ان يقاتل رجلين من المشركين فقال عز وجل الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة تغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله ثم ان الله تعالى اوجب
على كل مسلم ان ينهزم من مثله الا لاحد امرين اما متحرف لقتال
فيا وي للاستراحة او لمكيدة ويعود الى قتالهم واما ان يتحيز
الى فيئة اخرى ليجتمع معها على قتالهم لقوله تعالى ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فيئة فقد باء بغضب من الله
الثاني ان يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى وابطال الكفر

من الاديان فيكون بهذا الاعتقاد جايزا الثواب الله تعالى ومطيعا
له في امره ولا يقصد بقتاله فايدة تحصل من الغنيمة فيصير من
المكتسبين لا من المجاهدين الثالث ان يؤدي الامانة
فيما حازه من الغنايم ولا يغل منها شيئا بل يحمل جميعه الى المغنم
ليقسم بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة لان كل واحد
فيها حق الرابع ان لا يجابي في نصرة دين الله تعالى احدا
قرابة او مودة فان حق الله تعالى اوجب ونصرة دينه الزم
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية
واما ما يلزم الجيش من حق الملك فاربعة اشياء
الزام طاعته والدخول في ولايته والقبول لامره ونهيه
ما لم يأمرهم بالمعصية فان طاعة الملك واجبة في غير المعصية
لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم قال ابن عباس رضي الله عنه اولوا الامر هم الامراء
وقال رسول الله صلعم اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم
عبد حبشي فاما اذا امر بمعصية فلا يجب طاعته لقوله صلى الله عليه

للاخر

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الثاني ان يفوضوا امرهم الى
رايه ويكلوه الى تدبيره حتى لا يختلف آراؤهم فيختلف كلمتهم وتتفرق
جمعهم فان ظهر لهم صواب في شيء خفي على الملك ينبغي ان يتبينوا
سرا ليرجع به الى الصواب الثالث المسارعة الى امتثال
امره ونهيه في غير المعصية الرابع ان لا ينازعوه في شيء
من قسمة الغنايم اذا قسمها فيهم بل يرضوا به في القسمة فانه
يساوي بينهم فيها كما سوى الله تعالى فيها بين القوي والضعيف
ومثل بين الدني والشريف وسنذكر صفة القسمة فيما بعد

الباب السادس عشر في المصابرة مع المشركين

اعلم ان فريقا من المؤمنين وفريقا من المشركين اذا تقاتلا
وجب على الملك مصابرتهم ما صبروا وان طالت بهم
المدة ولا يولي عنهم وبه قوة فقد قال الله تبارك وتعالى يا
ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون قال الحسن معناه اصبروا على طاعة وصابروا
اعداء الله ورابطوا في سبيل الله وينبغي للملك ان يرتب حيشه
ويجعل لكل طبقة من اعدايه اشباههم من جيشه فانهم كفاتلا

في الاذن اذا دخلها فلا حيلة ارفق في اخراجه من الماء
الذي هو من جنسه واذا حمل على اعدائه فليكن كالنهر اذا
جرى لا تنثنا، له ولا راجعة حتى يبلغ غايته ومنتهاه من غير فيض
وكذلك ينبغي ان يشتد الملك في حملته حتى يوغل في عدوه
ويبلغ غايته منه واذا دعى احد من المشركين الى البراز
جاز للمسلم ان يخرج اليه لان ابي خلف دعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في يوم احد الى البراز فبرز اليه فقتله وفي
يوم بدر من المشركين ثلاثة نفر وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد
واخوه شيبة بن ربيعة ودعوا الى البراز فبرز اليهم من الانصار
عوف ومعاذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا اياقوم
انا لا نعرفكم فليبرز الينا اكفاؤنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر
من بني هاشم وهم علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة
بن الحارث بن المطلب فاما علي كرم الله وجهه فبرز الى الوليد
الوليد فقتله وبرز حمزة الى عتبة فقتله وبرز عبيدة
الى شيبة فاختلفا ضربتين اثبت كل واحد منهما صاحبه
فمات شيبة لوقته وحمل عبيدة حيا فمات بعد ذلك

وروي ان عمرو بن ود العامري دعى الى البراز يوم الخندق
في اول يوم فلم يجبه احد فقال يا محمد الستم تزعمون ان قتلاكم
في الجنة عندربهم ترزقون وقتلانا في النار تعذبون
فما يبالي احدكم ان
يقدم على كرامة من ربه ويعدم
عدقه اليه
النار
ثم انشد ولقد دنوت الى
النداء
جئتكم
هل من مبارز ووقفت اذ
لم ازل
المشجع
موقف القرن المناجز اني لذلك
متسرعا
نحو الهزاهز ان الشجاعة
في الفتى والجود من
خير الغرائز قال فقام علي
بن ابي طالب رضي الله عنه
فاستأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في مبارزته فاذن له وقال
اخرج اليه لحفظ
الله تعالى وعياذته قال
فخرج علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو يقول
ابشر اتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فائز
اني لارجو ان اقيم عليك نائحة الجنائز
من طعنة نجلاء يبقر ذكرها عند الهزاهز

قال فحاولا ساعة ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وفارت
بينهما عجاجة احفتهما عن الابصار ثم انجلت عنهما ولوا
على رضي الله عنه يمسح سيفه بثوب عمرو وسوفيل
واذا اراد المسلم ان يدعو الى البراز سيد ما جاز له
ذلك لان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فعلوه
وقد روي ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن المبارزة بين الصفين فقال لا بأس
وينبغي ان لا يبارز الا من اشتهر قوته وعلمت
شجاعته لان الضعيف اذا بارز لم يؤمن ان يقتل فيضعف
قلوب المسلمين ويجوز لاحاد الجيش ان يحمل منفردا على جيش
المشركين وقد كان يفعل ذلك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
وروي ان الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية
حضرت حرب القادسية ومعها بنوها الاربعة
فقالت لهم من اول الليل يا بني اسلمتم طائعين
وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو انكم لبنو
رجل ولحر كما انكم بنو امراة واحدة ما خنت اباكم

ولا فضحت خالكم ولا عيرت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون
ما اعد الله تعالى من الثواب للمسلمين في حرب الكافرين واعلموا
ان الدار الباقية من الدار الفانية بقول الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى
على ساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالغنم
والكرامة في دار الخلد والمقامة قال فخرج بنوها من عندها حتى
لقيها فلما كان الصبح بكروا مع اكرمهم فحانين تقابل الصفان
حمل احدهم على جيش المشركين وهو ينشد ويقول
يا اخوتي ان العجوز الناصحة قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فبادروا الحرب الضروس الكالحة
فانتم بين حياة صالحة وميتة تورث غنما رابحة
ثم حمل الثاني وهو يقول
قد امرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبرا بالولد
فبادروا الحرب حماة في العدد اما لفوز بارد على الكبد
او ميتة تورثكم غنم الابد في جنة الفردوس والعيش الارغد
فلم يزل يضربهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله ثم حمل الثالث منهم وهو يقول
نصحا وبرا صادقا ولطفا فبادروا الحرب العوان زحفا

حتى تلقوا آل كسرى لقا ٭٭ وتكشفوهم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير عنهم ضعفا ٭٭ والقتل فيهم نجدة وعزفا
فلم يزل يقاتل فيهم حتى استشهد ثم حمل الراية منهم وهو يقول
لله در الخنساء ولا للاكرم ٭٭ اعنى عمرو ذا السماح الاقدم
ان لم ازد فى الحرب جيش الاعجم ٭٭ اما لفوز عاجل او مغنم
فلم يزل يطعن فيهم برمحه حتى استشهد رحمه الله تعالى فلما بلغ
خنساء الخبر قالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو ان
ربى ان يجمعنى واياهم فى مستقر رحمته فلما بلغ ذلك عمر رضى
رضى الله عنه قال اعطوا الخنساء ارزاق اولادها الاربعة
واجروا عليها ذلك حتى تقبض قال فلم يزل تأخذ عن كل
واحد منهم مائتى درهم فى كل شهر حتى قبضت رض وينبغى ان يكون سولاء
العسكر وجمهور الموكب كمداد النهر اذا طما وزجر لا يمر بشىء الا علاه وغرقه

الباب السابع عشر فى معرفة قتال اهل الردة واهل البغى وقطاع الطريق

اعلم انا نقتصر فى هذا الباب على ذكر ما يجوز للملك فعله وتوضيح
قواعد المذهب فى ذلك من غير ذكر خلاف ولا تطويل لبيع الفعل
فى ممارستهم موافقا للشرع وهو ثلاث فصول الفصل الاول
فى معرفة قتال اهل الردة اذا حكم باسلام قوم ثم ارتدوا عن دين

(العياذ بالله)

الاسلام

الاسلام الى اى دين خالفه لم يجز اقرارهم عليه لان الاقرار
بالحق يوجب التزام احكامه ثم لم يخل حال اهل الردة من امرين
احدهما ان يكونوا فى دار الاسلام منفردين فلا حاجة الى قتالهم
لدخولهم تحت القدرة بل يجب ان يحبسوا ويأخذوا بالتوبة مما
دخلوا فيه من الباطل فان تابوا فذاك وان اقاموا على ردتهم
عليهم حكم الاسلام ومن اقام منهم على ردته
بعد ذلك وجب قتله حدا كان او افراة لقوله
صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه واختلف
العلماء فى كيفية قتل المرتد والوقت الذى يقتل
فيه فمنهم من قال يقتل فى الحال لان حق الله تعالى
اذا وجب لا يجوز تأخيره ومنهم من قال يؤجل
ثلاثة ايام لان عليا رضى الله عنه اخر طلب
المستورد الغلى بالبقة ثلاثة ايام ثم قتله بعد ذلك
ويقتل ضربا بالسيف ومنهم من قال يقتل ضربا بالخشب
ولو قتل لم يغسل ولم يكفن ولم يصل عليه ولم يدفن فى مقابر
المسلمين ويكون ماله فيئا فى بيت مال المسلمين واما لو اخاف
اهل البغى الى دار يتحرزون بها عن المسلمين حتى صاروا فيها متحيزين

وجب قتالهم على تقوتهم ويجري على قتالهم اهل الحرب في جواز قتلهم
غرة وبياتا ومقبلين ومدبرين ومن اسر منهم جاز قتله ولا يجز
استرقاقه واذا غنمت اموالهم لم تقسم بين الغانمين بل يكون
مال من قتل منهم فيئا لبيت المال ومال من لم يقتل موقوفا على
اسلامه فان عاد الى الاسلام رد عليه ماله **الفصل الثاني**
في معرفة قتال اهل البغي ولو خرجت طائفة من المسلمين وخالفوا
راي الجماعة وانفردوا عنهم وخرجوا عن قبضة الامام الاعظم
وتحيزوا بدار وامتنعوا بمنعة وجب قتالهم بعد ان يلزمهم
ويسالهم ما ينقمون لان عليا رضي الله عنه كرم الله وجهه بعث
عبد الله بن عباس الى الخوارج فسالهم ما ينقمون منه ثم يلزمهم
ما الزمهم فان رجعوا الى الطاعة كف عنهم وان ابوا قاتلهم
لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء الى امر الله وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي
الزكوة وقاتل علي كرم الله وجهه الخوارج بالنهر وان وقاتل
معاوية بصفين واعلم ان قتالهم يخالف قتال المشركين
من تسعة اوجه احدها انهم عليهم غرة ولا بياتا ويجوز ذلك في قتال

المشركين الثاني ان يقصد بقتلهم دفعهم ودعوتهم ورجوعهم الى
الحق ولا يعد الى قتلهم الثالث يقاتلهم مقبلين ويكف عن مدبرين
الرابع ان لا يجهز على جريحهم الخامس ان لا يقتل اسراهم السادس
ان لا يغنم اموالهم ولا تسبى ذراريهم السابع ان لا يستعين
في قتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي الثامن ان لا يهادنهم على
مدة ولا يولهم على مال فان هادنهم الى مدة لم تلزم فان ضعف
عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم وان ولوهم على مال بطلت
الموادعة ثم ينظر في المال فان كان من صدقاتهم او خراجهم لم يعود
عليهم وان كان من خالص اموالهم رده اليهم ولا يجوز ان
يتملكه عليهم التاسع ان لا يضرب عليهم العرادات
والمنجنيقات ولا يحرق عليهم المساكن ولا يقطع اشجارهم
لان دار الاسلام تمنع ما فيها كل ذلك بخلاف قتال المشركين
فان احاطوا بامنع العدل وخافوا منهم الاصطلام جاز
ان يدفعوا عنهم ما استطاعوا من اعتماد قتلهم وينصب
المنجنيقات عليهم ويحريقهم بالنار وغير ذلك لان المسلم
اذا ارتدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من اراقها
اذا كان لا ينزجر الا بالقتل ولا يجوز ان ينتفع بدوابهم

ولا استعانة به في قتالهم قال ابو حنيفة رضي الله عنه
يجوز ذلك كله الفصل الثالث في معرفة قطاع الطريق
وان اجتمعت طائفة من اهل الفساد على شهر السلاح
وقطع الطريق واخذ الاموال وقتل النفوس ومنع
السبل فهم المحاربون الذين قال الله تعالى في حقهم انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من
خلاف او ينفوا من الارض قال الشافعي رحمه الله ورضي عنه
من قتل منهم واخذ المال قتل وصلب بعد قتله ومن قتل ولم ياخذ
المال قتل ولم يصلب ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده
ورجله من خلاف ومن لم يقتل ولم ياخذ المال ولكنه وسعى
واخاف السبيل عزر بالحبس وسوالنفي من الارض وقالا لكل
من كان منهم ذا راى وتدبير قتل ومن كان ذا بطش وقوة عزر وحبس
واعلم ان قتال قطاع الطريق كقتال اهل البغي في عامة احواله
ويخالفه من خمسة اوجه احدها انه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين
بخلاف قتال اهل البغي الثاني يجوز ان يعد الى قتل من قتل منهم
في حال الحرب بخلاف اهل البغي الثالث انهم يؤاخذون بما استهلكوه

من دم او مال في حال الحرب وغيرها بخلاف اهل البغي الرابع
انه يجوز حبس من اسر منهم ليعلم براءة حاله من غير خلاف بخلاف
اهل البغي الخامس ان ما حبوه من الخراج والصدقات
يكون كالمأخوذ على وجه الغصب والنهب لا يسقط عن اهل
الخراج والصدقات ويكون غرمه مستحقا عليهم لمن اخذوه منه بخلاف اهل

الباب الثامن عشر في معرفة قسم الغنيمة والانفال

اعلم ان المسلمين اذا اخذوا من الكفار مالا بالحاف
الخيل والركاب فهو غنيمة تجب على الملك ان يقسمها بين الغانمين
فيجعله خمسة اخماس خمس منها لاهل الخمس الذين قال الله تعالى
في حقهم واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واربعة
اخماس للغانمين وينبغي ان يقسم ذلك جميعه في دار الحرب
لان رسول صلى الله عليه وسلم قسم غنايم بني المصطلق على
مياههم وقسم غنايم حنين بأوطاس وهو اول من حنين والسلب
سلب المقتول في القسمة بل يكون للقاتل دون غيره لان النبي
عليه السلام جعل السلب للقاتل فان كان الجيش كلهم فرسانا
سوى بينهم في القسمة وكذلك ان كانوا رجالة واذا كان بعضهم

لم يقاتل في القسمة سواء وكذلك من حضر بفرسين او اكثر
لم يفوق سهمه على من حضر بفرس واحد ولو بعث الملك سرية
من الجيش الى جهة الكفار فغنمت السرية شاركهم في ذلك
اهل الجيش وكذلك ان غنم اهل الجيش شاركهم اهل السرية
لان رسول الله صلى لما هزم هوازن حنين اسرى سرية
قبل اوطاس فغنمت فقسم غنائمهم بين الجميع ومن فعل من اهل
الجيش فعلا يفيض الى الظفر بالعدو كالتجسس والدلالة
على طريق او قلعة او التقدم بالدخول الخ او الحر جاز
للملك ان ينفله من الغنيمة زيادة على سهمه لان رسول الله
صلى الله وسلم كان يفعل ذلك ويقتضيه العقل وبالله التوفيق

الباب التاسع عشر فيما ينبغي للملك ان يفعله

اعلم انه ينبغي للملك اذا اقفل بالجيش من غزاة او سفر
ان يفعل كما كان يفعل رسول الله صلى في قفوله من غزواته
واسفاره كان يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات
ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب
وحده كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وينبغي
اذا اشرف على مدينته ان يحرك دابته ويقول اللهم اجعل
لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل الى نوابه واهل
مدينته فيخبرهم بقدومه ليخرجون الى لقائه لان الرعية
يفتشون بطلعة الملك عليهم ورجوعه اليهم كانتعاش
النبت بوابل القطر ولو دخل البلد فليقصد المسجد
وليصل فيه ركعتين كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه
ولو دخل منزله واستقر على سريره فليقل توبا توبا لربنا
اوبا لا يغادر حوبا ولا حوبا ثم يرفع حجابه ويفتح
بابه ويأذن لوجوه بلدته وبياض رعيته بالدخول اليه
لتهنيته بما افاء الله عليه وحققه لديه من شمول النعمة
وحسن المنقلب ثم يكثر من الصدقة والصلات ويوسع
في العطايا والهبات ويتقي الغضوب والظلامات
ويكشف عن احوال من حبسه من اهل الجنايات ويكثر

من صنايع المعروف وافضال البر فانه اذا فعل ذلك كان شاكرا
لله تعالى وكان لمزيد النعم مستحقا ولتتابع الاحسان من الله مستوجبا

الباب العشرون في الحث على استماع المواعظ وقبولها من النساك

اعلم ان استيلاء الدنيا على الملوك واقبالها عليهم ربما
شغلهم عن امر الاخرة واغفلهم عن مهمات الدين فيجتمحون
الى اللذات ويهملون امر الديانات لان النفوس مطبوعة
على الميل الى الترف وايثار النعم وكراهة التكليف فلا ينبغي
ان تخلو مجالسهم من علماء الدين واصلح المتنسكين لينبهوهم
عند طريان الغفلة ويذكروهم عند ضراوة الشهوة ويوضحون
لهم نهج الاخرة ومعالم الشريعة وقد كان لملك شعار الملوك
الغابرين والخلفاء الراشدين في مجالسهم الحكماء واستماع
مواعظ العلماء وكانوا في ملك ثلاث طبقات فمنهم طبقة
لما سمعوا الموعظة والتذكير نبذوا ملك الدنيا الذي يفنى
ليقتاضوا عنه ملك الاخرة الذي يبقى واخرجوا ذلك من قلوبهم
وايديهم واستمروا باطراف الاخرة والعمل لها لينالوا الفوز
الاكبر والنعيم الدائم ومنهم طبقة عند استماع الموعظة اخرجوا ملك
الدنيا من قلوبهم ولم يخرجوه من ايديهم واستمروا باطراف الاخرة ليقتاضوا ملك الدنيا والطبقة الثالثة

عظيمة وسلطان فلك مثل من الزم نفسه التظلم وخفض
باب بسيطه اليه ويقدر على تناول شربته ومن كان مقام الخلفاء
الراشدين واقرانهم وعمالهم ومن سلك سبيلهم ومنهم
طبقة اصمتهم حب الدنيا وثقل لذاتها عن استماع المواعظ
واعمى ابصارهم عن كل مذكر وواعظ فاثروا اللذات على
المهمات وقطعتهم الشهوات عن امور الديانات وساذكر
من اخبار اهل هذه الطبقات الثلاثة ما يكون فيه رياض
لذوي الافكار ورياضات لاولي الابصار حكايات الطبقة
الاولى خمس روضات **الروضة الاولى** حكاية اصحاب
الحديث ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل عمير بن سعيد
الانصاري رضي على حمص واعمالها فلبث بها سنة كاملة
فجلس يوما وعنده رجل من اصحاب عمر بن الخطاب كان قد اتاه
يستدعي منه ما اجتمع عنده من المال فحضر عنده رجل فجعل
يتكلم ويرفع صوته فقال له عمير اسكت اخزاك الله فقال
له الرجل الذي عنده من اصحاب عمر يا عمير اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا ولي خصم المحاسد واليتيم ومن خاصمته
خصمته يا عمير اتق الله من فوقك يتقيك من تحتك وكان كتب

ان يصنع الله بك فاصنع برعيتك قال فبكى عمير وشهق
ثم اتيتا الى منزله فعمد الى خرج زاده واداته وقصعته
فعلقهن على عصاة وحملهن على عاتقه وخرج من حمص
ماشيا حتى قدم على عمر رضي الله عنه فسلم عليه فرد عليه السلام
متثاقلا ثم قال له يا عمير ما هذا الذي اري بك من سوء الحال
امرضت بعدي ام بلاد كل بلاد سوء ام صنع خديعة منك
فقال له عمير يا امير المؤمنين الم ينهك الله عز وجل عن
ثم ما الذي ترائى من سوء الحال الست ترائى صحيح البدن
قد جبتك احمل الدنيا فقال له عمر وما الذي جئت به من الدنيا
قال جرابي فيه رادي واداتي فيهما مايي لستر اي بروضوئي
وقصعتي لجبني وعكازي لوثب بها عن نفسي قال عمر صدقت
رحمك الله فما فعل المسلمون قال عمير تركتهم يوحدون الله تعالى
ويصلون ولا تسألني عما وراء ذلك قال فما فعل اهل الذمة
قال اخذنا منهم الجزية عن يد وهم صاغرون قال فما جلبت
من المال قال لا انت وذاك اني لما قدمت حمص اجتهدت
رايي وجمعت من بها من المسلمين فاخترت منهم رجالا فقلدتهم
ثم نظرت فيما اجتمع من المال فقسمته في اهله ولو كان عندنا فضل

فقال يا عمير واين راحلتك قال لم يكن لي راحلة فقال اما كان
في رعيتك من يتبرع لك ببراية تركبها بئس المسلمون وبئس المعاشر
ثم قال لابنه عبد الله جيئني بصحيفة لاجدد لعمير عهدا الرجع الى
عمله فقال عمير لا والله لا اعمل شيئا ابدا قال عمر ولم ذاك قال
لاني ما نجوت فاني قلت يوما لمعاشر اجزاك الله وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا ولي خصم المعاشر ثم اتى قبر رسول الله صلى
فقال السلام عليك يا رسول الله ثم قال السلام عليك يا ابا بكر
ثم بكى عمر وقال ماذا لقيت بعدكما اللهم الحقني بصاحبي لم اغير
ولم ابدل وبكا معه عمير طويلا ثم قال يا عمير الحق باهلك وكان
اهله على ثلاث فراسخ من المدينة قال ثم قدم بعد ذلك رجل
على عمر بمال من عند بعض عماله فدعى رجلا من اصحابه اسمه
حبيب فدفع اليه صرة فيها مائة دينار وقال انطلق الى
منزل عمير فاقم عنده ثلاثا وتفقد حاله ثم اعطه هذه الصرة
فاتاه حبيب فوجده بفناء بيته يتقلى في الشمس فسلم
فسلم عليه فقال له عمير من اين اقبلت قال من المدينة
قال كيف تركت عمر قال صالح قال لعله جار في الحكم قال لا
قال فلعله وضع السوط قال لا ولكنه ضرب ابنا له الحد فمات

فقال اللهم اغفر لعمير فانه يحبك ويحب رسولك ويحب اقامة
فنزل عنده حبيب ثلاثة ايام يقريه كل يوم قرصا ما دوما
مريت فلما انقضت الثلث قال له عمير ارحل عنا رحمك
الله فقد اجحتنا وانك لم تصادف عندنا فضلا ولكنا
اثرناك فقال له حبيب خدمته الصرة قال عمر بعتها
اليك فلما صارت في يده قال صحبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم ابتل بشيء من الدنيا وصحبت ابا بكر كذلك ثم صحبت
عمر اياحي يوم صحبت عمر وجعل ينتحب ويبكي فقالت له امراته
لا تبك رحمك الله ضعفها حيث شئت قال صدقت فخلا حي
الى بعض حلفائك ففعلت فجعل يصر الدنانير ثلاثة
واربعة وفوق ذلك وتحته حتى قسمها في فقراء جيرانه وعارفي
حبيب الى عمر فاخبره فارتاع لذلك ولبث اياما ومر
عمير فقال ما صنعت بالدنانير قال اقرضتها ربي ليوم
فقري قال هل عليك دين قال لا فاقر عمر رضي الله عنه له بوقر
بعير تمرا وبوقر بعير بثوبين فقال اما الثوبان فاقبلهما واما التمر
فلا حاجة لي اليه لاني قد تركت عند اهلي صاعا من الشعير
وسوف يبلغهم الى وقت ثم انصرف عمير الى اهله فقال لبث ان توفي

خرج عمر رضي الله عنه وقال لاصحابه قوموا فتوضأوا فتوضأ
اتبع رجالا مثل عمير استعين بهم على امور المسلمين
الثانية ما حكاه الاصمعي قال ركب النعمان بن امرئ القيس
بن عمرو الاكرحتى اشرف على الخورنق وهو الذي بناه فلما
نظر الى حوله وكان في فصل الربيع وقد اخضرت الارض زينتها
فسرح طرفه مليا فيما حوله وكان معجبا بالشقايق الى تعالى
لها شقايق النعمان ومن اجل اعجابه بها وتتبعه لها في الارض
نسبت اليه قال وكان هناك روضة شقايق فلما تأملها
ورأى حسن تنضد الشقيق في منابته وتفتح حمرته وخضرة
سوقه ومسيبه بهبوب النسيم عليه وتناثر القطر في ارجائه
ارتاح قلبه اليه فامر ان يبسط له بازاء تلك الروضة
بساط وشيء من الحرير المخمل فكان البساط كانه روضة
مختلفة باصناف النوار وضربت عليه قبة من الديباج الاحمر
منضدة من الخشايا عما يضاميها ويجانسها في لونها
ولبس من ثياب الحرير افضل ما عنده ثم جلس في تلك القبة
مواجها للملك الروضة اكابر قوله وخواص مملكته
ووجوه رعيته وفيهم عدي بن زيد قال فاعجب الملك بما يرى

فقال الملك هل رأيتم مثل هذا قبله او علمتم ان احدا
اوتي مثل ما اوتيت قالوا لا ايها الملك ما رأينا مثلك
وعدي بن زيد ساكت لا يتكلم فنظر اليه الملك مستدعيا
لكلامه فقال ايها الملك ان لفتت لي تكلمت قال تكلم
قال عدي ايها الملك ارأيت ما جمعت اشيء سولك لم يزل
ام شيء كان لم يكن قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شيء
كان لم يكن قبلي ثم صار الي قال افيزول عنك الى غيرك
ام يبقى عليك قال بل يزول عني ويصير الى غيري قال فاراك
ايها الملك سررت بشيء يذهب عنك لذته ويبقى عليك
تبعته تكون فيه قليلا وترتهن فيه طويلا قال فبكى النعمان
وقال له يا عدي فاين المهرب قال احد الامرين الاول ان تقيم
في ملكك وتحمل بطاعة ربك على ما تركل وساءك والثاني
ان تصنع تاجك وتخلع اطمارك وتلبس امساحك ثم تلحق بعض
الجبال وتحرك تعبد ربك حتى ياتيك اجلك قال فاذا فعلت
ذلك فما لي عنده قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة
لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال وكل ما اراه لي فناء وزوال

قال نعم قال فاي خير فيما لا يبقى ويزول ثم انه ترك
وسار طالبا قصره والى جانبه عدي بن زيد فانتهى الى
مقبرة فقال عدي اتدري ما تقول هذه المقبرة ايها الملك
قال لا قال انها تقول ايها الركب المحبون على الارض
المحدون كما انتم كنا وكما نحن تصيرون قال ثم سار وا فمروا
بشجرات متناوحات عند عين جارية فقال عدي ايها
الملك اتدري ما تقول هذه الشجرات قال لا قال انها تقول

من رآنا فليحدث نفسه ... انه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ... رب ركب قد اناخوا حولنا
عمروا دهرا بعيش حسن ... ثم اضحوا عصف الدهر بهم

فلما انتهى الملك الى قصره التفت الى عدي وقال قد علمت ان
المقبرة والشجرات لا يتكلمن وانما قصدت بذلك وعظي
وقد حصلت الموعظة فاذا كان السحر احضر عندي فان عندي
خبر احتى اطلعك عليه فلما كان وقت السحر حضر عنده عدي
فوجده قد لبس مسوح الشعر واخذ انبة السياحة فودع

قارفيم

عبدا تم ارتقى الى الجبل فلم يزل هناك يعبد ربه حتى حق به
ان يحشره الله تعالى الروضة الثالثة ما روى نافع عن عبد الله
بن عمر رضى الله عنهم قال كان فيمن سلف ملك دان له الناس
فلما اعجب بملكه قال لوزرائه وقهارمته ابنوا لى دارا
لا يكون فيها عيب ففعلوا ذلك وامر ان يدعى الناس الى
طعامه فى تلك الدار ثم اقعد بالباب رجلين وامرهما ان
يسلا كل من خرج من الدار هل رأى فيها عيبا او فى الطعام
قال فمر بهما رجلان عليهما ثياب الشعر فسألاهما فقالا نعم
رأينا فى الدار عيبين قبيحين قالا وما هما قالا رأينا دارا
لا تخرب وصاحبها لا يموت فمضيا واخبرا الملك بما قالا فاخبرهما
وسألهما فذكرا له ذلك فاطرق الملك ساعة ثم قال لهما
فهل تعرفان دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها قالا نعم قال
واين هى فقالا هى دار الله تعالى ربنا وربك وهى الجنة
التى يدوم نعيمها ولا يزول ملكها قال فصفاها لى فوصفاها
له قال وبأى شئ تنال هذه الدار قالا بعبادة الله تعالى و
الانقطاع
اليه قال وكيف تكون العبادة فشرعا له الدين فوقع فى قلبه

الحق فقال لهما ايما اعز عندكما ان اعطيكما ما تتمنيان
لى فان انت فى ملكى جعلتكما وزيرين لا اعطيكما ذلك
منه تبعتكما على امركما ثم قام فدخل على ابنته له وكانت عاقلة
فهمة فقص عليها ما ذكراه له واخبرها انه تارك الملكة وخارج
معهما فقالت يا ابت تخل نفسك وتركك املاك قال يا بنية
انت عورة فكيف اصنع بك فقالت انى اكف شخصى فلا يعلم
احد اذكرا انا ام لا قال فاخلعى ثيابك واحترمى ففعلت
وخرجت مع ابيها الى الرجلين فقال لهما سيرا بنا ما
دام علينا ظلام الليل وهذا ولدى معى فسارا حتى
قطعوا المدينة وخرجوا منها ثم سار حتى جاوزوا بلاد
ذلك الملك ثم سار حتى بلغوا الى دير فقالا له هذا موضعنا
الذى نعبد ربنا فيه فدخلوا اليه جميعا فاقام عندهما
مدة طويلة يتعلم منهما الدين واحكام الشريعة ثم تجهز
للخروج عنهما فقالا له ما شأنك هل اذاك احد منا قال لا ولكنى
ارى اكثر مما كنت فيه من الملك فاريد ان آتى موضعا لا
اعرف فيه فاكون فى عمار الناس فتركاه ومضى حتى اتى ديرا
كبيرا كثير الاهل فيه مساكن كثيرة فقال هل من منزل فقيل له

احدث ٩

لرجل فرحل واختار مسكنا فكان هو وابنته يعبدان الله تعالى
وكان لا ينال فلك الدير مزرعة وعلى كل رجل من سكان الدير حرا
سنة كاملة فبلغت النوبة الى الشيخ وكان مريضا فقيل له
في ذلك فقال ان عذري واضح فقال له ابنته يا ابت انا اخرج
عنك فخرجت الى المزرعة وهي مستترة فما كان يراها الناس الا قليلا
تصلح او في امر يبه مغتبطة قال وكان بقربهم دير صغير ينسب
الى رجل بعينه وكانت ابنة جميلة فجاءت تلك الابنة فاضلت
بها وهي تظن انها غلام فجعلت تعرض عليها نفسها وجعلت تلك
تعتصم بها من شرها فلما رأت الجارية انها لا تفعل قالت والله
لاسلكنك ولاهلكن اباك ثم انها دست الى الراعي فامكنت نفسها
منه فحملت فلما عظم بطنها قال ابوها ما هذا فقالت اني كنت عند
ولد الشيخ مطمئنة اليه لما رأيت من كثرة عبادته واجتهاده
وكان سذاجة فجاء ابوها واهل ديره فاخبروا اهل ذلك
الدير الكبير بذلك وقالوا لا ينبغي ان يكون هذا الشيخ
وولده عندكم وهموا باخراجه الا انه لشدة مرضه لم يقدروا
على ذلك ثم توفي الشيخ مكانه فلم يأخذوا في جهازه فقال علماؤهم

فلا يدخل دير كم ففعلوا ذلك فقالت دعوني اتولى امرها
في الصومعة آخر السنة فيه من السباع فبنت لها بيتا
فكانت فيه تعبد الله تعالى وتزور قبر ابيها حتى كانت ليلة
من الليالي مر بها رجل من اهل الدير فاذا باب بيتها مفتوح
فاذنوا يا فتى فاجابته بصوت ضعيف فقال اخبرك
مريضا قال نعم قال فهل لك حاجة قالت نعم اذا انا مت
فلا تكشفوني ولا تزعجوني انوا ابي يغسلوني فيها ولو قبلوني
الى قبر ابي فقد حوت الى جانبه قبرا ثم اصبحوا فاذا هي قد
ماتت وولد الشيخ فعال الرجل الذي اوصت اليه اوصاني
بكذا وكذا فقال علماؤهم لا نغير سنتنا ابعثوا اليه
من يغسله مجردا من ثيابه ثم كفنوه ولفوه الى جانب
قبر ابيه كما اوصت قال فلما جاء الرجال فكشفوا عنها
ليغسلوها فوجدوها امراة فغطوها ونادوا في الدير
ان الذي طرقه انما هو امراة فبعثوا اليها النساء
فغسلوها فلما جهزوها حشدوا الى الصلاة عليها جميع من في
تلك الارض ثم دفنوا الى جانب قبر ابيها قال عبد الله بن عمر

خلصة كان امل ملك الناصية او الخط اخا، وا الى قريبا
فاستعقوا الله تعالى فيسقون الروضة الرابعة ما يحكى
ان ملكا من ملوك يونان قام من منامه فى بعض الغدوات
فاتته القيمة على ملابسه بثيابه فلبسها ثم ناولته المراة
فنظر فيها وجهه فراى فى خليته شعرة بيضاء فقال بها مات الملك
فاتته به فقصها فسناولتها الجارية وكانت حكيمة لبيبة عاقلة
فوضعتها فى كفها واصغت اليها اذنها والملك ينظر اليها
فقال ما هذا الذى تصنعين قالت اسمع ما تقول هذه
الشعرة التى عظم مصابها بمفارقة الكرامة لما سخرها الملك
فاقصانا فقال الملك وما الذى سمعت من قولها قالت زعم
قلبى انه سمعها تقول كلاما لا يجرى عليه لسانى خوفا
سطوة الملك فقال لها الملك قولى ما شئت امنه ان لزمت
قانون الحكمة فقالت انما تقول ايها الملك الى امد قصير
ان كنت قد علمت منك البطش بى والاعتداء على اذا
ظهرت على ظاهر بشرتك فلم اظهر فى وقتى هذا حتى عدت الى
اخوانى من بعدى فى الاخذ بثارى منك اما ما ستيصالك

واما بتبغيضك لزوجتك وتنغيص عيشك معها حتى تعد الموت راحة لك
قال فقال لها الملك اكتبى كلامك فكتبته فى لوح فجعل تنظره
ساعة ثم نهض مبادرا فاتى بسبعة من ثياب كلهم فرغ عنه ثيابه
وثيابا الملوك وتزيا بزى النساك وبلغ ذلك اهل مملكته فجاء
اليه وطالبوه بان يعود الى ملكه وتدبيره فامتنع عليهم وسالهم
اقالته وتمليك غيره فامتنعوا عليه وسموا باخذه فهرا فاصطلح
اهل الهيكل معهم على ان يتركوه فى الهيكل يعبد ربه ويستنيب
غيره فيما يستنيب فى مثله من الامور وولى سوغير ذلك من الامور
العظام بنفسه مع اقامته فى الهيكل فلبث على هذا الامر
حتى قبضه الله تعالى الروضة الخامسة ما حكاه ابو عبد الله
محمد بن ابى محمد بن ظفر الحجازى نعمه الله تعالى ان ملكا من ملوك
الاسن كان كافرا عاتيا بالله وكان لفرط كبره
لم يرفع احد صوته الا بالثناء عليه وكان له وزير
مؤمن بالله تعالى قد ادرك بعض حواريى المسيح
وسمع كلامه وتحير فى امره وقد كان يمكن فيه دعوة الملك
الى الله تعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا رافعا صوته
لبعض شانه فقال للاعوان خذوه فلما احضر الشيخ قال ان بلغ الله

فقال الوزير وخلوا عن الشيخ الى الغوالي فاشتد غضب
الملك على الوزير ولم يتكره الانكار عليه في ذلك المقام
فلما كان اليوم الثاني امر الوزير فعل ذلك بامره فلما جاء
الملك الى قصره احضر الوزير وقال له ما دعاك الى مناقضة
امري بمشهد من عبيدي فقال له الوزير ان لم يعجل الملك
علي اريته وجه نصيحتي له وشفقتي عليه فيما آتيه فقال
الملك ائذن فاني لا اعجل عليك فقال الوزير اسأل الملك
ان يختبئ في مجلسه هذا خلف حجاب فيكون تحيث يرى
ويسمع ما يكون مني ففعل الملك كذلك ثم ان الوزير احضر
قوسا جيدة صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع
اسمه عليها فاعطى القوس غلاما له وقال له اني سأحضر
صانع هذا القوس فاذا حضر وحادثته فاقرأ انت
اسم صاحبها جهرا حتى تعلم انه قد سمعك ثم اكسرها وتنو
بنظر اليك فحضر القواس ففعل الغلام ما امره به الوزير
فلما كسر القوس لم يملك صانعها ان ضرب الغلام فشجه
فقال الوزير اتضرب غلامي بحضرتي قال نعم لانه كسر القوس
التي صنعتها وعملت فيها غاية الجودة والحسن فلاي شيء كسرتها

وستعلم انها صنعتي قال الوزير فلعلك اعلم انها صنعتك
قال بلى ان القوس قد اجزته انها صنعتي قال الوزير اما ترى
قوسا تجيز قال نعم ان اسيي كان مكتوبا عليها وقد قرأته وانا
وانا اسمع ثم ان الوزير صرف الصانع والغلام ثم قال للملك
قد اوضحت لك نصيحتي واشفاقي عليك فقد كنت لما اقدمت
البطش بالشيخ اخبرك ان الله ربه فخفت عليك من ربه
ان يغضب له كما غضب هذا القواس لقوسه فقال له
الملك ومال للشيخ رب غيري قال له الوزير الم يره الملك
شيخا والملك شاب فهل كان قبل ان يولد الملك لا رب
له فقال الملك ان ابي كان ربه قال الوزير فما قال الرب
ملك والمربوب بقي فسكت الملك ساعة ثم قال الان علمت
ان للملك والمملوك ربا لا يزول فهل تعرفه قال الوزير نعم
قال فصفه لي وعرفنيه فشرع الوزير يشرح له صفات
الخالق واوضح له الدلالة على ذلك فانشرح صدر الملك
للايمان فآمن بالله تعالى فلما رسخ في قلبه التوحيد قال
له الملك لنا خدمة نتقرب اليه بها قال انه غني عن كل شيء
قال فما امرنا به اذا فعلناه حصلنا عنده قال بلى ان له

وخليفة اوجاها ورضي لها فعلها ووعدنا عليها رضوانه
والجنة بسببها عند ذكر الصدق واهله والصيام وغير ما من
شرايع المسيح عليه السلام فعرفها الملك وراض نفسه بها حتى
صارت له طبعا ثم قال يوما للوزير مالك لا تدعوا الناس
الي الله تعالى كما دعوتني فقال الآن امة لهم قلوب قسية
وفهوم قصية ونفوس عصية ولست امنهم على نفسي فقال
الملك انا افعله ان لم تفعله انت فقال الوزير ليعلم الملك
ان سم ان لم تقوم صيحتي عنك لم تقوم عنه وساقيه بنفسي
من النجاة فليحذر سم الملك على نفسه ان اجتروا بالقتل ثم ان
الوزير احضر وجوه اهل تلك المملكة وولاة احكام رعاياه
وافاضلها فلما اجتمعوا في منزله قام فيهم خطيبا بالدعوة
الى التوحيد فتواثبوا عليه فقتلوه ثم اتوا الى الملك فاخبروه
بما كان من وزيره فاظهر لهم الرضى بقتله فانقلبوا عنه
راضين ثم ان الملك ضاق صدره على وزيره فلما كان الليل
لبس مسح الشعر والبحى بالرماد ونبذ ما كان فيه من الملك
ولم يزل يعبد الله تعالى حتى قضى نحبه ثم حكايات الطبقة
الثانية من الملوك خمس بعضات الروضة الاولى ماحكاه

مالك بن انس رضي الله عنه ان عمر بن عبد العزيز رضي لما ولي الخلافة دخل
عليه محمد بن كعب وعنده مسلم بن يسار وقد وعظه فبكى فقال
فقال له محمد ما الذي ابكاك يا امير المؤمنين قال ابكاني مسلم
حين كرن وقوفي بين يدي ربي فقال له محمد يا امير المؤمنين
انما الدنيا سوق من الاسواق منها خرج الناس بانفسهم
ومنها خرجوا بما ضرهم فلا تكن من قوم قد غرهم منها مثل الذي
اصبحا فيه حتى اتاهم الموت فاستوعبهم منها فخرجوا منها
ملومين لم يأخذوا الما احبوا من الآخرة عدة ولا الما كرهوا
جنة فاقتسم ما جمعوا من لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم
فانظر يا امير المؤمنين الى تلك الاعمال التي تعبطهم بها فاخلعهم
فيها والى الاعمال التي تخوف عليهم منها فكف عنها وانظر
الى الذي تحب ان يكون معك لفاقتك على ربك فلتكن منه
وابدل حيث يوجد البدل ولا تدع بدلا الى سلعة قد بارت
على من كان قبلك ترجو ان تحوز عنك فاتق الله يا امير المؤمنين
وافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وارفع الظالم
يا امير المؤمنين ثلاث من كن فيه استكمل الايمان من لم يرض
لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق

اراد ان يتناول ما ليس له قال فاشتد بكاء عمر بن عبد العزيز
وعلا نحيبه قال اللهم اعني على ما ابتليتني به من امر عبادك ولا در
فارزقني فيهم العمل بطاعتك واختم لي منك بخير وعافية

الروضة الثانية ماحكي ان سليمان بن عبد الملك لما قدم
المدينة اقام بها ثلثا فقال له مهنا رجل ممن ادرك الصحابة
يحدثنا فقيل له ان مهنا عابد رجل من التابعين اسمه
ابو حازم ادرك جماعة من اصحاب رسول الله صلو ونقل
عنهم الاحاديث فبعث اليه فلما جاءه واستقر به المجلس
قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم
اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون النقلة من العمران
الى الخراب قال صدقت يا ابا حازم فكيف القدوم على الله
تعالى قال اما المحسن فكغائب يقدم على اهله واما المسيء
فكالعبد الآبق يقدم على مولاه قال فبكى سليمان وقال ليت
شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب
الله تعالى فانك تعلم مالك وما عليك قال واين اصيب ذلك
من كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم قال يا ابا حازم فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين

قال فبكى سليمان واطرق ساعة ثم رفع رأسه اليه وقال يا ابا حازم
من اعقل الناس قال من تعلم الحكمة وعلمها الناس قال فمن
احمق الناس قال من دخل في سوي رجل ظالم فباع آخرته
بدنيا غيره قال فما تقول فيما نحن فيه فقال اعفني من هذا السوال
قال سليمان انما نصبت بلغتها فقال ان ناسا اخذوا هذا
الامر من غير مشورة من المسلمين ولا اجماع من رأيهم فسفكوا
الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما
قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت
ياشيخ قال ابو حازم كذبت والله يا جليس السوء ان الله
تعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
فقال سليمان يا ابا حازم كيف لنا على الصلاح قال
تدع التكلف وتتمسك بالنصفة قال فكيف طريقنا الى ذلك
قال تأخذ المال من حله وتضعه في اهله قال فمن
يقدر على ذلك قال من قلده الله تعالى من الارض ما قل او كثر
قال اصحبنا يا ابا حازم تصيب منا ونصيب منك قال اعوذ
بالله من ذلك قال ولم ذاك قال اخاف ان اركن اليكم شيئا قليلا
فيذيقني ضعف الحياة وضعف الممات قال يا ابا حازم فدلني على ما

الصنع قال اتق الله ان يراك حيث نهاك او يفقدك
امرك قال ادع لنا يا ابا حازم قال اللهم ان كان سليمان
وليك فيسره الخير في الدنيا والآخرة واكفه الشر في الدنيا والآخرة فقال سليمان
يا غلام اعط ابا حازم مائة دينار ليقضي بها دينه قال
للحاجة التي اليها فاني اخاف ان تكون عوضا من كلامي فيكون
اكل الميتة احب الي من اخذها ثم نهض فخرج من عنده فلما كان
الغد بعث اليه فاحضره عنده فلما دخل عليه قال يا ابا حازم
عظنا عظة ننتفع بها قال ان هذا الامر لم يصل اليك الا
بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك
فبكى سليمان وكاد يسقط عن جنبه فلما افاق قال ابو حازم
انما انت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير او شر
فاخسر لنفسك ايهما شئت قال سليمان ارفع الي حوائجك يا ابا
حازم قال هيهات فاني قد رفعتها الى من لا يحتجب دونه الحوائج
في اعطائي منها قنعت وما منعني منها رضيت فهو لك اني
نظرت في هذا الامر فاذا انا على قسمين احدهما الآخر لغيري
اما ما كان لي فلو اني احتلت فيه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه

الذي قدر لي فيه واما الذي لغيره فذلك الذي لا اطمع نفسي فيه فكما
منع غيري من رزقي كذلك منعت اما من رزق غيري ثم تركه والتفرغ
قال فما برح سليمان بعد ذلك متواضعا حتى مات **الرواية**
الثالثة ما حكاه ابو القاسم عبد العزيز بن حسن باسناده
ان امير المؤمنين المنصور بعث الى الاوزاعي وهو بالساحل
فاحضره عنده فلما استقر به المجلس قال له المنصور ما الذي
ابطأ بك عنا يا اوزاعي قال وما الذي تريد مني يا امير المؤمنين
قال اريد الاخذ عنك والاقتباس منك قال يا امير المؤمنين
لا تجهل شيئا مما اقوله لك قال وكيف اجهله وانا اشاهدك عنه
قال يا امير المؤمنين تسمعه ولا تعمل به قال فصاح به الربيع
واسوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال مه اخطأ
مثوبة لا مجلس عقوبة فقال الاوزاعي يا امير المؤمنين حدثنا
مكحول بن عطية رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته
موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سبقت اليه
فان قبلها شكره والا كانت حجة من الله عليه ليزداد
بها اثما ويضاعف الله بها عليه سخطا وقد بلغني يا امير المؤمنين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما وال بات غاشا

لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره
الله تعالى لان الله هو الحق المبين يا امير المومنين ان الذى
لين لك قلوب الامة حتى ولآل امور هم لقرابتك من نبيه
عليه السلام لحقيق ان تقوم فيهم بالحق وان تكون بالقسط
ولا تقيم عليك دونهم الحجاب وابتهج بالنعمة عندهم وانتعش
لما اصابهم من مكروه يا امير المومنين لقد كنت فى شغل شاغل
من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملك
احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب
من العدل فكيف بك اذا بعثك الله يوم القيامة وليس منهم
احد الا وهو يشكو اليك اذا خلتها عليه او ظلامة
سقتها اليه يا امير المومنين حدثنى مكحول قال كانت بيد
رسول الله صلعم جريدة يتكاك بها ويروع بها المنافقين
فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ما سدة الجريدة التى
كسرت بها قلوب امتك وملأت قلوبهم بها رعبا فكيف
بمن شقق استارهم وسفك مائهم وخرب ديارهم
واخذ اموالهم واجلاهم عن بلادهم ولفاتهم الخوف يا امير
المومنين حدثنى مكحول عن زياد بن خابرته عن حبيب بن سلمة رض

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى الى القصاص من نفسه فى
خدش خدشه الاعرابيا لم يتعمده فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال
يا محمد ان الله تعالى لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعى رسول
الله صلعم الاعرابى فقال اقتص منى فقال الاعرابى قد احللتك
يا رسول الله بابى انت وامى وما كنت لافعل ذلك ابدا
فدعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير يا امير المومنين رض
نفسك بنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب فى جنة
عرضها السموات والارض التى يقول فيها رسول الله صلعم
لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير
المومنين ان الملك لو بقى لمن كان قبلك لم يصل اليك
وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين انترى
ما جاء فى تاويل قول الله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما
عملت الايدى وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغنى
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ
الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك

وسوء على سياطك يا امير المؤمنين اما ترى ما جاء في تاويل هذه
الآية عن جرير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق فلا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين
يديك وكان لك في احدهما هوى فلا تمض نفسك ان تكون
الحق له فيفلح على صاحبه فالمحكوم من بيوتي يا داود انما جعلت
رسلي الى عبادي رعاة كرعاة الابل الذين يجترون
الكسير ويدلون الهزيل على الكلا والماء يا امير المؤمنين
انك قد بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال
لابين ان يحملنه واشفقن منه وقد حدثني جابر عن عبد الله
عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل
رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد اتام مقيما فقال
له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك فيه مثل
اجر المجاهدين في سبيل الله قال لا قال فكيف ذاك قال
لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال
يلي شيئا من امور المسلمين الا اتى يوم القيامة مغلولة يده
الى عنقه فيوقف على جسر من النار فينتفض به الجسر انتفاضة

يزيل بها كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان
كان محسنا نجا بحسابه وان كان مسيئا انخرق به ذلك
الجسر فهوى في النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت
هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر رضي
وسالهما عن ذلك فقالا نعم سمعناه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى عمر رضي الله عنه
فقال واعمراه من يتولانا بما فيها فقال ابو
ذر رضي الله عنه من جزع الله انفه والصق خده
بالارض قال فبكى المنصور واخذ المنديل
فوضعه على وجهه وجعل يتحب في بكائه حتى ابكى
الحاضرين فامسك الاوزاعي ساعة ثم
قال يا امير المؤمنين ان جدك العباس رضي
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة على مكة
شرفها الله والطائف واليمن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عم النبي نفس تحييها خير لك
من امارة لا تحييها وهذه نصيحة منه لجدك وشفقة
منه عليه يا امير المؤمنين بلغني ان عمر الخطاب رضي الله عنه

قال الامراء اربعة امير طلف نفسه وعماله
فذلك كالمحاصدين في سبيل الله تعالى يد الله
باسطة عليه بالرحمة وامير ضعف
طلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على
شفا هلاك الا ان يرحمه الله تعالى وامير طلف
عماله وارتع نفسه فذلك سوا الحطمة التي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاء
الحطمة الهالك وحتن وامير ارتع نفسه وعماله
فهلكوا جميعا يا امير المؤمنين بلغني ان عمر الخطاب
رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني ابال اذا قعد
الخصمان بين يدي علي من مال الحق تحته من قريب
او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد
البشرة القيام لله تعالى بحقه وان اكرم
الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز
بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية
الله وضعه الله تعالى واذله وهذه نصيحتي اليك

الذي

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فلما سكن عن
المنصور البكاء رفع راسه اليه وقال يا اوزاعي انت
مقبول القول غير متهم في النصيحة وقد سمعنا ما منك
فصادفت قبولا ان شاء الله تعالى والله الموفق للخير
والمعين عليه يا ربيع لوفر الاوزاعي ما يستعين به
على زمانه قال يا امير المؤمنين اني في غنى عن ذلك ما كنت
ابيع نصيحة بشيء من عرض الدنيا ثم انه ودع
المنصور وانصرف الروضة الرابعة ما حكاه ابن
عبد ربه قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة شرفها
الله تعالى وعظمها حاجا فنزل في دار الندوة وكان
يخرج في آخر الليل الى الطواف فيطوف ويصلي ولا يعلم
به احد من الناس فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة
وجاء المؤذنون فاقاموا عليه ثم يقام الصلوة
فيصلي بالناس قال فخرج ذات ليلة حين اسحر
فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول
اللهم اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض
وما يحول بيننا وبين اهله من الظلم والطمع قال

فاشرع المنصور في تضييقه حتى املأ صدره من
قوله فرجع فجلس ناحية من المسجد وارسل اليه
فدعاه فلما حضر قال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله
من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق
واهله من الظلم والطمع فقال الرجل يا امير المؤمنين
ان امنيتي على نفسي انباتك بالامور من اصلها
قال له المنصور انت آمن على نفسك فقال الرجل
يا امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور
المسلمين واموالهم فاهملت امورهم واستمتعت بجمع
اموالهم وجعلت بينك وبين المسلمين حجابا من
الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم
السلاح ثم سجنت نفسك فيها وبعثت
عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء ظلمة واعوانا غشمة ان نسيت
لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك ثم قويتهم
على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح
وامرت بان لا يدخل من الناس الا فلانا وفلانا

ولا اسميتهم ولم تامر بادخال المظلوم ولا المهلوف
ولا الجايع ولا العاري ولا الضعيف فلما
زال سؤلك النفر الذين استخلصتهم لنفسك
وآثرتهم على رعيتك قد صنعت هذا كله
قالوا اذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد خان
الله تعالى فايتروا على ان لا يوصلون اليك
من اخبار رعيتك الا ما ارادوا وتمنى اخرجت
عامل فخالفهم في امر اقصوه وابعدوه وبلغوك
عنه المكروه حتى يسقط من عينك فلما اشتهر
ذلك عنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول
من صانعهم بالهدايا والاموال عمالك ليتقووا
على ظلم الرعية ثم فعل ذلك اهل القدرة
والثروة من رعيتك ليتالوا الظلم من
سواهم من الرعية فامتلأت بلادك
الله بالطمع بغيا وفسادا وصار سؤلك
القوم شركائك في سلطانك وانت غافل
فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك

وان ارادت قصتك اليك عند ظهورك لم يأخذ
احد وان اخذها لم يوصلها
اليك واذا استغاث بك مظلوم باعلا صوته
ضربوه ضربا شديدا فابقاء الاسلام
بعد ذلك ولقد كان بنو امية لا ينتهي اليهم
المظلوم الا رفعت ظلامته وكان الرجل
يأتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم
فينادي باعلا صوته يا اهل الاسلام فيتبادر ون
اليه ويقولون مالك مالك فيرفعون ظلامته
الى سلطانهم فينصف بينه وبين ظالمه ولقد
كنت يا امير المؤمنين اسافر الى بلاد الصين
وبها ملك قد ذهب سمعه فجعل يبكي فقال
له وزراؤه لا بكت عيناك ايها الملك ثم
بكاؤك فقال لهم لست ابكي على ذهاب
سمعي وانما ابكي لان المظلوم يقف بالباب
يصيح فلا اسمعه ثم قال لئن كان ذهب سمعي
فما ذهب بصري نادوا في الناس لا يلبس ثوبا

احمر الا مظلوم فكان يركب في كل يوم
فيله ويخرج لعله يرى مظلوما فينصفه
هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله تعالى
قد غلبت عليه الرأفة على المشركين
وانت مؤمن بالله تعالى وابن عم نبيه عليه
افضل الصلوات والتحيات لا تغلبك
رأفتك على المسلمين فما تقول اذا نزع الله
منك ملك الدنيا ودعاك الى الحساب
غدا هل ينفعك الندم اذا زلت بك القدم
قال فبكى المنصور واعلن بالنحيب ثم قال
يا ليتني لم اخلق ثم قال كيف احتيالي ولم ار
من الناس الا خائنا فقال الرجل يا امير
المؤمنين عليك بالائمة المرشدين قال ومن
هم قال العلماء فقال فقد فروا عني
ومربوا مني قال انما فروا عنك ومربوا منك
مخافة ان تحملهم على ما ظهر منك من قبل
عمالك ولكن افتح الباب وسهل الحجاب

وانصر المظلوم وخذ المال من حله واقسمه
في اهله وانا ضامن لك ان يرب منك باتيك
فيعاونك على صلاح امرك فقال المنصور
اللهم وفقني ان اعمل بما قال ثم قال لهذا الرجل
ثم جاء المؤذنون فصلوا عليه واقيمت الصلوة
فخرج يصلي بالناس وقال للحرسي عليك
بحفظ هذا الرجل حتى افرغ من الصلاة
قال فلما فرغت الصلوة التفت الحرسي
يطلب الرجل في موضعه فلم يره فاخبر المنصور
بذلك فاشتد غضبه على الحرسي وقال لين
لم تاتني به لاضربن عنقك فخرج الحرسي
يطوف عليه ولقيه بعض الشجاب
قائم يصلي الضحى فقال له اجب امير المؤمنين
قال ليس الى ذلك سبيل قال فانه قد زعم ليضربن
عنقي ان لم آتيه بك قال انه لن يقدر على ذلك ثم
اخرج من جبته رقعة مكتوبة وقال اجعل هذه
في جيبك فان فيها دعاء الفرج فانه لو راى كل ذنب

عليه وخشع قلبه قال من دعا به صباحا ومساء
ذهبت ذنوبه ودام سروره وبسط الله
له في رزقه واعانه على عدوه وكان امنا
من ظلم الجبارين ولا يموت الا شهيدا قال الحرسي
ثم كانه كان حصاة على ذابت فلم ار له اثرا
فرجع الحرسي الى المنصور فلما دخل عليه نظر اليه
وتبسم وقال ويلك احسن السحر قلت
لا والله يا امير المؤمنين ولكني وجدت
وكان من حديثه كذا وكذا كيت وكيت
فقال المنصور ادفع الي الرقعة فدفعها
اليه فنظر فيها وجعل يبكي ثم امر بنسخها
وامر للحرسي بعشرة الاف درهم وقال
اترفون من كان الرجل قال الحاضرون
لا يا امير المؤمنين قال ذاك موا الخضر
عليه الصلوة والسلام ثم دفع
الرقعة الى من تراها على الحاضرين فكان
فيها اللهم كما لطفت بقدرتك دون اللطفاء

وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت
ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك
وكانت الوساوس كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر في
علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع
كل ذي سلطان لسلطانك وصار
امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل
لي من كل همّ امسيت فيه فرجا ومخرجا
اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن
خطيئتي وسترك عن قبيح عملي ان اسألك
مالا استوجبه مما قصرت ادعوك امنًا
واسألك مستأنسًا وانت المحسن اليّ
وانا المسيء على نفسي فيما بيني وبينك وانت
التواب الرحيم وقيل هذا الاخر من تمته
دعاء الخضر عليه السلام تؤده الي وانتقض
اليك ولكن الثقات بك احملتني على الجراءة
عليك فعد بفضلك واحسانك عليّ وانت ارحم الراحمين

عيينة

فار

قال فلما رجع المنصور عليه الرحمة الى بغداد
استبدل بحاله وحجابه ثم انه فتح
الباب وسهل الحجاب ولم يزل عاملا بقوله
حتى وصل الى رحمة الله تعالى الروضة
الخامسة ما حكاه الفضل بن
الربيع قال لما حج الرشيد حججت معه
فبينا انا نائم ذات ليلة اذ سمعت
قرع الباب فخرجت فوجدت الرشيد
فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي
اتيتك فقال ويحك انه قد جاءني ضرّ
شيء فانظر لي رجلا اسأله فقلت ان ههنا
سفيان بن عيينة فقال امض بنا
اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب
فقال من هذا فقلت اجب امير
المؤمنين فخرج مسرعًا فقال يا امير المؤمنين
لو ارسلت الي اتيتك فقال خذ لما جينا له
لم يرحمك الله فخادثه ساعة ثم قال

ثم قال اعليك دين قال نعم يا امير المؤمنين
قال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا
فقال ما اغنى عنى صاحبك شيئا فنظر الى رجلا
آسنا فقلت من هذا عبد الرزاق بن همام
قال امض بنا اليه فاتيناه فوقعت عليه
الدابة فقال من هذا قلت امير المؤمنين
قال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا
من عنده فقال ما اغنى عنى صاحبك
شيئا فنظر رجلا آخر اسأله
قلت من هذا الفضيل بن عياض
الفقيه الزاهد قال امض بنا
اليه فاتيناه فسمعناه يقرأ آية
من كتاب الله تعالى وهو يرددها
فوقعت عليه الدابة فاخرج
وقال من هذا قلت امير المؤمنين
فقال ما لي ولامير المؤمنين قلت سبحان
الله العلي الكبير انما عليك طاعته فنزل وفتح

فتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فاطفأ
السراج ثم التجأ الى زاوية واخفى حسه
فجعلت تحول عليه بايديها فسبقت كف
الرشيد اليه فقال آه من كف ما ألينها
ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقال
الرشيد خذ لما جئنا له يرحمك الله فقال يا امير
المؤمنين ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
لما ولي الخلافة دعى سالم بن عبد الله بن عمر
ومحمد بن كعب القرظي ورجا بن حيوة وقال
لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا
علي ما اصنع فقد الخلافة بلاء وانت وصحابك
تعدونها نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان
اردت النجاة من عذاب الله عز وجل فصم عن
الدنيا وليكن افطارك فيها الموت
وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا من
عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك ابا
واوسطهم عندك اخا وصغيرهم ولدا فوقر اباك

ابد

وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال لربكا
بن حبيق ان ابغت النجاة غدا من عذاب
الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحبه لنفسك واكره
لهم ما تكره لنفسك ثم مت ميتة شئت فمثل
عندك يا امير المومنين مثل سؤلاء القوم
او من يأمرك بمثل هذا الامر وانى لاقول لك
هذا واخاف عليك اشد الخوف يوم تزل
قال فبكى مرون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى
عليه فقلت له يرحمك الله ارفق يا امير المومنين
فقال يا ابن الربيع قتلتنى انت واصحابك
وارفق انا به فلما افاق قال نفنى عظة
فقال يا امير المومنين بلغنى ان غلاما لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه شكى اليه فكتب
اليه عمر يا اخى اذكر سهر اهل النار فى النار
وخلود الابد ان فان ذلك يطول الى ربك فانما
ويقضانا واياك ان تزل بك قدمك عن هذه البقيد
فيكون آخر العهد بك منقطع الرجاء منك فلما قرأ

كتابه طوى السلاد حتى قدم عليه فقال له
ما اقدمك على فقال لخلعت قلبى والله ما وليت
لك ولاية قط حتى القى الله تعالى فبكا مرون الرشيد ثم
قال زدنى رحمك الله فقال يا امير المومنين ان
العباس عم النبى عليه الصلوة والسلام جاء
اليه وقال يا رسول الله اجرنى امارة فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس
نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة
فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فقال
فبكى هارون ثم التمس زيادة فقال يا شيخ
زدنى يرحمك الله قال يا حسن الوجه
انت الذى يسألك الله تعالى عن هذا
الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تلقى
الله بهذا الوجه من النار فافعل واياك ان تضع
وتمشى وفى قلبك غش لرعيتك فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح غاشيا

لرعيته لم يرح رائحة الجنة قال فاشتد
بكاء هرون فامسك عنه الفضيل فلما افاق
قال صل عليك دين قال الفضيل نعم دين
لربي لم يحاسبني عليه قالوا بل لي ان حاسبني
والويل لي ان لم يلهمني حجتي فقال الرشيد
انما اردت دين العباد فقال الفضيل
رحمه الله لا فان ربي لم يامرني بذلك بل امرني
ان اصدق وعده واطيع امره
فقال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ما ازيد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين فقال هرون هذه
الف دينار خذها وانفقها على عيالك
وتقوى بها على عبادة ربك فقال
الحل فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة
وانت تدعوني الى النار ثم صمت
فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما

صرنا على الباب سمعنا امراة من
نسائه تضارب الفضيل وتقول
يا هذا قد ترى ما نحن فيه من الضائقة
وسوء الحال فلو قبلت من هرون هذا
المال لتقوينا به على زماننا فقال
لها انما مثلي ومثلكم كقوم
لهم بعير ياكلون من كسبه
فلما كبر وعجز عن الكسب نحروه واكلوا
لحمه قال فلما سمع الرشيد ذلك
قال يا فضل ارجع بنا اليه فلعله يقبل
منا هذا المال فدخلنا عليه
ثانيا فلما احس بنا خرج فجلس على الطين
على التراب فجلس الرشيد الى جانبه
وجعل يكلمه فلم يجبه فخرجت جارية
سوداء فقالت يا هذا قد تفوت
الشيخ منذ الليلة فانصرف
عنه يرحمك الله قال فلما خرجنا

من عنده قال لي الرشيد
اذا دللتني على رجل فدلني على
مثل هذا الرجل مثل هذا
اليوم مثل هذا وفي الزمان مثل هذا سيد
المسلمين وبقية الائمة المرشدين

واما الطبقة الثالثة

من الملوك والسلاطين فهم
الاكثرون قلوبهم قسية وانفسهم
عصية يؤثرون اللذات على امور
الديانات وفي المشاهدة منهم
بالابصار كفاية عن
الاخبار وقد انتهينا في
في كتابنا هذا الى ما حاولنا
ايراده وجمعه على الوجه المذكور والخط
المسطور فالمنة والحمد لله
لقد اوعينا فيه كما آلوناه وآتينا

بما ضمناه بعد ما اوضحناه
وذلك وسع الطاقة وجهد
المقل كما قيل
جهد المقل ودموعه
وعلى الله التوكل وبه الاستعين
وهو حسبي ونعم الوكيل
والحمد لله رب العالمين
حمدا اكثر اوصلوه
على سيدنا
محمد

وقع الفراغ من تصوير هذه النسخة من الوسالة في من الاوراق على
يد العبد الى ربه القدير
بحمد الله والمنة على يد العبد الى ربه القدير
ابن الروض المسهر ماس الزلوعي
الوجيه المسلم اس عرب العالمين
محمد نصر وما رح

صفه دوام من الكار كل يوم مثاليف وربع الى ان يشهر ساقط شوه الابيض
وينبت بعوضه اسود وفى رابع شهر والخامس والسادس رابع والاخر
شهر يقوى بصره كاكان صبيا ويزيد سمعه ولو كان عمره مايه
وسنه اعطاوه ويجرى الدم فى عرقه بعد الجفاف ويسترد لحمه وطيبه
لكهته ويرجع له البصر ويسمى هذا دواء السنه والله اعلم

وصفه عمله

ان يوخذ كابلى مزوع النوى ستة وتلثون مثقالا بليلج
واسعد مجوعين مثله افسنتين رومى ودار فلفل
ودار صينى رقيق وقلمونى وسواصول من كل واحد
اربعة عشر مثقالا يلاد مزوع الاقماع ستة مثاقيل
يدق فولوى ويخلط ثم يوخذ فانيذ خراينى ستمائة مثاقيل
يذاب فى دست ماء على النار ويغلى حتى يصير له قوام
الجلاب بنار هادية فى دست مبيض ثم يزال النار
ويذر عليه الحوايج المذكورة ويحرك بوفق حتى يخلط
ثم يزنبر كفه بزيت ويندق بلاق بلماته وستين
تندقه كل بندقه مثاقيل وربع يكل منه كل
صباح بندقه نافعه الله تعالى